دراسات نحوية

تأليف

الأستاذ الدكتور حسن منديل حسن العكيلي

كلية التربية للبنات - جامعة بغداد

دار الكتب العلمية

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

DKi

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الكتاب : دراسات نحوية

Title : **GRAMMATICAL STUDIES**

التصنيف : دراسات نحوية

Classification: Grammatical studies

المؤلف : د. حسن منديل حسن العكيلي

Author : Dr.Ḥasan Mandīl Ḥasan al-ʿUkayli

الناشر : دار الكتـــب العلميـــة – بيـــروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages	256	**عدد الصفحات**
Size	17* 24 cm	**قياس الصفحات**
Year	2012 A.D. -1433 H.	**سنة الطباعة**
Printed in : Lebanon		**بلد الطباعة :** لبنـــان
Edition : 1st		**الطبعة** : الأولى

الآراء والاجتهادات الواردة في هذا الكتاب

تعبّر عن رأي المؤلف وحده

ولا تُلزم الناشر بأي حال من الأحوال

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah baydoun@al-ilmiyah.com

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun

1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: ‎+٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-7013-2
ISBN 2-7451-7013-9

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الكريم وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين. وبعد...

فهذه بحوث ودراسات نحوية أقدمها للقارئ المتخصص، كنت قد نشرتها في مجلات محكمة مختلفة بين سنتي ٢٠٠٣ و٢٠٠٨. هي:

- **المبحث الأول: النحو بين المنطق والاستعمال اللغوي**
- **المبحث الثاني: القياس النحوي بين التجريد العقلي والاستعمال اللغوي**
- **المبحث الثالث: النظام النحوي**
- **المبحث الرابع: المدارس النحوية، رؤية جديدة**
- **المبحث الخامس: جهود الدكتور مصطفى جمال الدين في التجديد والإصلاح والتيسير النحوي**
- **المبحث السادس: النحو وعلم الأصول، الدكتور مصطفى جمال الدين أنموذجا**
- **المبحث السابع: النحو الصوفي**
- **المبحث الثامن: الخلاف النحوي: ماهيته، تاريخه، أسبابه، مصادره**
- **المبحث التاسع: الخلاف النَّحوي والتَّيسير**
- **المبحث العاشر: النواسخ**

أرجو أن تنال الرضا والقبول. والحمد لله رب العالمين.

د. حسن منديل حسن العكيلي

٢٠٠٨/٦/٣٠

المبحث الأول

النحو بين المنطق والاستعمال اللغوي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. وبعد..

فلكل لغة منطق خاص بها، ونظام يراعيه المتكلمون بها "لأنه شرط الفهم والافهام في البيئة اللغوية الواحدة، واذا أخلّ المتكلم بهذا النظام، حكم السامع على كلامه بالغرابة والشذوذ والغموض... ويرتبط هذا النظام بعقول أصحاب اللغة وتفكيرهم الى حد كبير... ولكنه النظام الخاص الذي يختلف من لغة الى اخرى، ويتصف في كل بيئة بخصائص معينة تجعل لكل لغة استقلالها وتميزها من غيرها"[(١)].

فنظام اللغة العربية – مثلا – يختلف عن نظام الانجليزية في كثير من الظواهر والقواعد والأسس ولا سيّما في ترتيب الجملة وفي الافراد والتثنية والجمع وفي التأنيث والتذكير وغير ذلك، فالصفة مثلاً في نظام الانجليزية تخالف الموصوف من حيث الرتبة والمطابقة في العدد والجنس، ويُعد ذلك في العربية لحناً وخطأً ذلك ان نظامها ينأى عن نظام الانجليزية نحو:

ولدان ذكيان .Two clever boys

بنتان ذكيتان .Two clever girls

بنات ذكيات .Clever girls

ولد ذكي .a clever boy

بنت ذكية .a clever girl

---

(١) من اسرار اللغة ١٧٨.

ربط القدماء بين اللغة والمنطق العقلي، فدعا فلاسفة اليونان الى طرائق تهيمن على التفكير الإنساني وجعلوها بديهيات لا يُختلف فيه، ومقدمات لقضايا عقلية ينتهون منها الى حكم خاص لا يتردد العقل في قبوله[١].

هذا المنهج العقلي هو المنطق الذي اكتمل لدى أرسطو، حيث ربط بينه وبين اللغة لتوضيحه ووضعه في قوالب نحوية. صاغها في صور ألفاظ وأصوات. والمنطقيون بعده حاولوا صبّ اللغات في تلك القوالب المنطقية لأرسطو.

وقد أعجب النحاة العرب بمنطق أرسطو وحاولوا تطبيقه على النحو العربي لذا نجد في بحوثهم اللنحوية من الأقيسة والاستنباط ما لا يتصل بروح العربية.

نسب أكثر الدارسين الى سيبويه تأثره بالمنطق الأرسطي لا الفقهي الإسلامي، او منطق العربية ورأوا أنه تصرف بالألفاظ والمعاني تصرّفاً منطقياً نحو تقسيمه الكلام على اسم وفعل وحرف،. وتصنيفه الكلام على: مستقيم حسن، ومحال مستقيم، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.

والحق ان النحاة العرب المتأخرين هم الذين تأثروا بالمنطق الاجنبي وخلطوا بينهما للشبه الكبير بينهما. أما النحاة المتقدمون فقد تأثروا بمنطق الفقه الإسلامي وطبقوه على علوم العربية وهو نابع من منطق العقيدة الإسلامية، فالحضرمي معاصر الحسن البصري استخدم الرأي في الظواهر النحوية مثله، وتبعه تلميذه عيسى بن عمر. وأبو عمرو بن العلاء، والخليل بن احمد تأثروا بقياس أبي حنيفة الذي وسع القياس. وسيبويه تأثر بأبي يوسف محمد بن الحسن الشيباني، الذي تأثر فيه نحاة كثيرون منهم الفراء[٢].

وكان بعض النحاة يفتي الناس من كتاب سيبويه[٣]، وربط ابن جني النحو بالفقه واضح في كتبه، وقد صرّح بذلك[٤]. وتبعه آخرون ولا سيّما أبو البركات

(١) ينظر: المصدر نفسه ١٣٤ - ١٤٣.

(٢) ينظر: في اصول النحو ٨٤، والزمخشري لغوياً ومفسراً ٣٨٦، والقياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة ٥ - ٩٨.

(٣) ينظر: لمع الأدلة ٩٥ والاقتراح ٤٢.

(٤) ينظر: الخصائص ١.

الانباري[١] وغيره.

ويرى بعض الدارسين انّ "القياس الأصولي يختلف عن القياس النحوي، والمنطقي فالقياس الأصولي وبالخصوص قياس العلة، منهج خاص يستهدف معرفة علة الحكم الوارد في النص أي الأصل وإضافة الحكم نفسه على المماثل الذي لا نصّ فيه وهو الفرع وذلك بجامع العلة. ومن أشهر أمثلته: إن علة تحريم الخمر هي الإسكار وان النبيذ مسكر، فالنبيذ محرم بسبب هذه العلة"[٢].

وهناك شبه بينه وبين القياس النحوي لأن كليهما (حمل غير المنقول على المنقول اذا كان في معناه)، فالنحو قياس، وعُرّف بأنه: (العلم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب).

وشبه أبو البركات الانباري والسيوطي[٣] القياس النحوي بالقياس الأصولي بالمقارنة، فجعلا أركانه أربعة: أصل وفرع وحكم وعلة، ومثّلا برفع ما لم يُسمّ فاعله قياساً على الفاعل لعلة جامعة هي الإسناد[٤].

"يتمثل المنطق الأرسطي في استنتاج شكلي من مقدمتين مسلم بهما مثل: (ان كل إنسان فانٍ، وانّ سقراط فانٍ والنتيجة: ان سقراط فانٍ). وهذا النمط من القياس شكل صوري لا يستبعد تطبيقه في وسائل الإثبات بالبراهين العقلية دون أن يصلح منهجاً لعلم معين مثل النحو أو الفقه. وتأثر النحاة له لم يظهر بوضوح إلا في القرن الرابع الهجري، وكان اعتماده في التعريفات والحدود أكثر منه في القياس"[٥]. فهو تمييز بين القياس النحوي والقياس المنطقي الأرسطي والقياس الأصولي.

ومعنى القياس لغة: "تقدير شيء على مثال شيء آخر وتسويته به". والتفكير البياني - لأنه يقوم على القياس - يلتقي مع البيان الذي هو: إنّ الإظهار والإيضاح يتم بتقدير شيء على مثال شيء آخر. بذلك سمّاه الغزالي: القياس البياني تفريقاً له

(١) ينظر: الإنصاف ٣/١.

(٢) تاريخ النحو العربي بين المشرق والمغرب ٢٩.

(٣) ينظر: لمع الأدلة ٩٥، والاقتراح ٤٢.

(٤) تاريخ النحو العربي ٢٩ - ٣٠.

(٥) المصدر نفسه ٢٩.

عن القياس المنطقي الأرسطي[١] و"لا يعني استخراج نتيجة تلزم ضرورة عن مقدمتين او أكثر بل يعني إضافة أمر الى أمر آخر (بنوع من المساواة). انه ليس عملية جمع وتأليف بل هو عملية مقايسة ومقارنة"[٢].

والقياس في العلوم البيانية الاستدلالية (النحو واللغة والبلاغة وعلم الكلام والمنطق) يقوم على المقاربة بين أصل وفرع، شاهد وغائب وليس على التأليف بينهما. والقائس لا يبدي حكماً ولا يستخلص نتيجة من مقدمات بل تقتصر على تحصيل حكم الأصل في الفرع، وهذا يقوم على ظن القائس على ان علة الحكم هي ما اعتبره هو كذلك هذا في الفقه ونجده في القياس النحوي وكذلك في قياس المتكلمين لكنهم يسمونه (الاستدلال) بالشاهد على الغائب.

ويطلق المتكلمون والفقهاءعليه اصطلاح: (الاعتبار)[٣]. وكذلك علماء الطبيعيات كابن الهيثم وابن النفيس[٤].

قال الدكتور الجابري: "القياس، الاستدلال، النظر، الاعتبار، أسماء لعملية ذهنية واحدة تقوم على تقدير شيء على مثال شيء آخر يجمع بينهما"[٥].

وقال: "ان الاستدلال في العلوم البيانية والاستدلالية واقع تحت وطأة إشكالية واحدة، إشكالية تدبير الأحكام"[٦].

وفرّق بعض الباحثين المعاصرين[٧] بين القياس النحوي المعول عليه في بناء اللغة وارتقائها، وبين القياس الذي يراد به "الاستدلال الذهني لاستنباط القواعد وتعليقها فإن في الغلو فيه بعداً عن خصائص اللغة ونأياً عن طبيعتهما، لذلك ان في

---

(١) ينظر: المستصفى ٢٣.

(٢) بنية العقل العربي ١٣٨.

(٣) ينظر: المعتمد ١/ ٣٣٨ والكافيه في الجدل ٦٢، والمقدمات، ابن رشد ١٩.

(٤) بنية العقل العربي ٢٤٤.

(٥) بنية العقل العربي ١٤٤.

(٦) المصدر نفسه ١٧٠ ولمزيد من تفصيل الفروق بين قياس النحو والمنطق والفقه وعلم الكلام، راجع المصدر نفسه ١٤٥ - ١٥٩.

(٧) ينظر: القياس وصيغ المبالغة توطئة في القياس، صلاح الدين الزعبلاوي، مجلة التراث العربي ع ١١، س٣، سنة ١٩٨٣، ص١١.

تحكم المقاييس العقلية في كثير من مسائل النحو تضييق واسع، يمنع سائغاً. بل يحضر صحيحاً فصيحاً، فطرائقهم العربية لا تقاس بمقاييس عقلية كما تقاس مسائل المنطق وقضايا الفلسفة وعلم الكلام، وليس النحو قياساً كله" كما يذكر الكسائي وتبعه أبو البركات الانباري.

ومناظرة متّى بن يونس والسيرافي[١] الذي رفض دعوى المناطقة وكان يقول: (النحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية، والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة).

وقال أبو حيان التوحيدي، وهو الذي وضع هذه المناظرة: "ما بين المنطق والنحو مناسبة" و"النحو منطق عربي والمنطق نحو عقلي، وجل نظر المنطقي في المعاني وان كان لا يجوز له الإخلال بالألفاظ التي هي لها كالحلل والمعارض، وجل نظر النحوي في الألفاظ وان كان لا يسوّغ له الإخلال بالمعاني التي هي لها كالحقائق والجواهر"[٢].

اللغة منطق وعقل، والنحو كذلك، ولا سيّما انّ العربية لها منطقها ونظامها المطّرد القياسي فلا عجب اذن ان نجد هذه التوافقات ولا سيّما لدى المتأخرين كابن مالك والسعد والجزولي وغيرهم ممن جعلوها قوانين ومعايير. قال احد الباحثين المعاصرين ناقداً النحاة المتأخرين: "نقبّوا عن كل ما هو جائز في حيز الممكن دون الواقع والاستعمال النحويين"[٣].

انّ اللغة لا تصح دراستها إلا بمناهج اللغويين والنحويين المتقدمين ذلك انها تخضع لنظام خاص بها مرتبط بالأنظمة الأخرى: الاجتماعية والثقافية وغيرها، ويمكن الاستفادة من المناهج والعلوم الأخرى كما اخذ النحاة القدامى من دراسات الأصوليين والفلاسفة والمناطقة، وكذلك النحاة المعاصرون استفادوا من العلوم المعاصرة كعلوم: النفس والاجتماع والرياضيات، والعلوم الصرفة كالطب والفيزياء

---

(١) وان كانت المناظرة من وضع أبي حيان التوحيدي كما اثبتنا ذلك في محاضراتنا على الدراسات العليا / الدكتوراه عام ٢٠٠٦ بأدلة كثيرة إلا ان ذلك لا يمنع من الاستشهاد بالاقوال التي وردت فيها. مادة (النحو والعلوم المجاورة) (مخطوط).

(٢) المقابسات ٦٧.

(٣) ينظر: خطى متعثرة ١٥٣، والخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير ٧٧.

وغيرهما. ذلك ان الدلالة علم لا يختص باللغة وحدها بل بكل العلوم إلا ان علم اللغة أقربها اليه لذلك يشمل علم العلامات العام اللغة وغيرها من علوم عدّة. وليس الخلط بين العلوم مذموما بل هذا يؤدي الى الإبداع والتطور والابتكار من خلال مزج العلوم والاستفادة بعضها من بعض، فإن كل العلوم الحقة مصدرها واحد هو الله تعالى.

فالدكتور الجابري عند تناوله القياس والقضايا المنطقية والعقلية لدى النحاة واللغويين يبدع لكونه مختصاً بها، أما القضايا اللغوية والبيانية فليس بالمستوى الذي تناول فيه القضايا العقلية المنطقية.

وهناك محاولات لدراسة اللغة والنحو في ضوء المناهج الرياضية والمنطقية قديمة وحديثة، فنشأ احد فروع المعرفة حديثاً هو:

علم اللغة الرياضي (Mathematical Linguistics) أخذت بعض الجامعات بتدريسه والاهتمام به.

ومن المحاولات التي سعت الى تطبيقه على اللغة العربية كتاب (المنطق والنحو الصوري) للدكتور طه عبد الرحمن.

ومحاولة الدكتور ياسين خليل في بحثه: (منطق اللغة، نظريات عامة في التحليل اللغوي)(١). قدّم منهجاً جديداً في تحليل اللغة من نواحيها المختلفة مستعيناً بمبادئ المنطق الرياضي في وضع القوانين والمبادئ الأساسية التي تؤلف طبيعة اللغة الأساسية وتعالج التركيب العام للغة والمعاني المقترنة بالعبارات اللغوية. ثم حاول وضع قاعدة أساسية بوساطتها نشتق الظواهر اللغوية الرئيسة المتعلقة بـ(سنتاكس) Syntax وهو العلم الذي يدرس التركيب اللغوي او المنطقي للغة والسيمانطيقية Semantics وهو علم يهتم بدراسة المعنى والدلالات التي تقترن او تشير اليها العبارات اللغوية. والبراجماتية Pragmatics وهو العلم الذي يدرس علاقة الفرد المتكلم بالعبارات اللغوية.

والعلم الذي يضمها جميعها هو: (السيمطيقية) او (علم العلامات) Semiotics الذي يدرس من نواحيها المختلفة: التركيب والمعنى والدلالة، وصلة

(١) مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع ٥، نيسان ١٩٦٢ ص ٣١٥ - ٣٤٣.

الفرد باللغة، لذا يجب وضع قاعدة عامة تشمل القوانين الرئيسة المكونة لكل لغة.

ومهما يكن من محاولات لإخضاع اللغة الى المناهج العقلية المنطقية، فلا تُدرس اللغة إلا بمناهج اللغويين ومن ثم يمكن الاستفادة من العلوم الأخرى ومناهجها.

ان المنطق العقلي ينأى عن الواقع الاستعمالي للغة، ولا بدّ للمتصدي لدراسة اللغة من التمييز بين منطقها والمنطق العقلي العام، بل أن المنطق العقلي يختلف عن الواقع في أحايين كثيرة. وفي هذا حكمة من الله تعالى، مغزاها أن المنطق اتخذته بعض الأمم ديناً او بديلاً من الدين والشريعة السماوية، وقد اتكأ عليه الملحدون وأعداء الإسلام وحاولوا نشره بديلاً من الشريعة الإسلامية في بعض حقب التاريخ، لذلك نجد كثيراً من الفرق الإسلامية والفقهاء والأصوليين[1] يرفضون المنطق الأرسطي اليوناني الذي يتعبّد العقل وبعضهم حرّمه وفي ذلك خلافات، لذلك تعرض بعض المناطقة عبر التاريخ الى نكبات كثيرة كنكبة ابن رشد.

وما يزال من المعاصرين مَنْ يرفض الفلسفة والمنطق ويهمشهما، قال أحد الباحثين المعاصرين الذين عملوا في الجامعات المختلفة في دول الخليج: المملكة العربية السعودية، والكويت وسلطنة عمان والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة: ان هذه الجامعات ترفض تدريس الفلسفة والمنطق وتهمشهما. ونقل بعض أقوال الأكاديميين في تلك الجامعات الرافضين للمنطق الأرسطي نحو قولهم: ان الذين يدعون الى المنطق يجهلون "مكانة الإسلام وعلومه اليقينية التي هدى الله إليه الفريق الحق المقابل لهؤلاء المفتونين بالمنطق"[2] ورأوا ذلك باطلاً وفساداً فكرياً لذا حذر أهل الحق من العلماء من المنطق وحرّموا الاشتغال به كالشيخ ابن تيمية[3].

---

(١) ينظر: ادب الكاتب ٢١، الرد على المنطقيين ٧٣.

(٢) محنة الفلسفة وازمة العلوم الانسانية في الجامعات الخليجية، دراسة تطبيقية في فلسفة العلوم، سعد توفيق، مجلة نزوى، ع ٤ ص٤٤ - ٥٢.

(٣) نقد ابن تيمية للقياس المنطقي، د. ابتسام احمد جمال، مجلة ام القرى ج٥، ع٢٦، صفر =

وخلص البحث الى أن رأي المانعين يستند الى استغناء المسلمين بكتاب ربهم عزّ وجلّ وسنّة نبيّهم صلى الله عليه وآله وسلم عن منطق اليونان.

لقد أدرك الفلاسفة العرب الفرق بين المنطق والنحو (النحو اللغوي والنحو العقلي). يرى الفارابي ان صناعة المنطق تناسب صناعة النحو، ذلك ان قوانين النحو في الألفاظ وقوانين المنطق نفسها في المعقولات[١]. ورأى ان السيرافي قد فعل حماقة او جاء منكراً عندما فصل بين النحو والمنطق[٢].

و "هذا التمييز هو طريدة دريدا في عصرنا التي تصّيدها عند أفلاطون وعند اللغويين من بعده، قال دريدا: "وإذا جردنا مفردة النحو من الانتماء الى لغة بعينها فإننا سنرى ان النحو هو البنية التي تحكم المنطق عموماً وتحكم قواعد لغة معينة، بل حسب المرء أن ينظر في آليات المنطق الأرسطي او المقولات ليدرك انها لا تعالج غير البنية النحوية القواعدية"[٣].

القياس:

أهم مبحث يؤسس عليه علما النحو والمنطق هو القياس، وهوباب مشترك بينهما لذا تأثر النحاة ولا سيما المتأخرون منهم بالقياس المنطقي ومزجوا بين القياسين: النحوي والعقلي المنطقي.

وقد رفض كثير من الفقهاء القياس وأبطلوه واخذوا مآخذ جمة على الذين يؤيدونه ويقرون به، كأبي حنيفة النعمان الذي يعد كبير المؤيدين للقياس، والمعتزلة والأشاعرة والمتكلمين وغيرهم. ونقل السيوطي أراء الفقهاء في ردّهم على الإمام الشافعي في قوله بالقياس[٤].

وأبرز المعارضين للقياس داود بن خلف مؤسس المذهب الظاهري. فقد كان

=

١٤٢٤ ص ٥٤١.

(١) ينظر: احصاء العلوم ٥٤.

(٢) التنبيه على السعادة ١٢.

(٣) دليل الناقد العربي ١٦٩.

(٤) المزهر ١/٦٠.

بين المذهب الظاهري وبين المذاهب: الشافعية والحنفية والمالكية صراع لأخذهم بالقياس[١].

وفي المغرب ابن حزم الظاهري الذي أبطل القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل[٢]، يرى أن القياس "بدعة حدثت في القرن الثاني ثم فشا وظهر في القرن الثالث وعدّه باطلاً، لأن الدين كله منصوص عليه، ولا علة لشيء من أحكام الله تعالى"[٣].

وتبعه ابن مضاء القرطبي الظاهري، إلا انه لم يبطله[٤]، لكنه حمل على أقيسة النحاة المشارقة، وهي رؤية مذهبه الظاهري نفسها طبّقها ابن مضاء على النحو، وقد تبعه أصحاب التيسير النحوي المعاصرين[٥] وغيرهم من الدارسين المتذمرين من القياس النحوي.

كان المعارضون للقياس من الفقهاء يحتجون بأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (لم يقل برأي ولا قياس)، والصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - كقول ابن سيرين: "القياس شؤم، وأول من قاس، ابليس وإنما عبدت الشمس والقمر بالقياس"[٦].

ان من أسباب رفض القياس لدى بعض اللغويين والنحاة القدامى مذاهبهم الفقهية والسياسية وتطبيقها على اللغة والنحو ذلك لارتباط اللغة بالشريعة الإسلامية المستنبطة من النص اللغوي (القرآن الكريم)، وكان الفقهاء والأصوليون يرون اللغة العربية من الدين الإسلامي، وان دين الله لا خلاف فيه مطرّد في أوامره ونواهيه، وكذلك اللغة العربية، التي هي جزء من الدين.

(١) ينظر: طبقات الشافعية ١/ ٤٥.

(٢) ينظر: ملخص إبطال القياس ٨ والاحكام في اصول الاحكام ٧ /١٧٧.

(٣) ملخص إبطال القياس ٧.

(٤) ينظر: الرد على النحاة ٣٨ - ٤٣، ١٣٤ - ١٣٧.

(٥) ينظر: الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير، وظاهرة الشذوذ ٣٧، ودراسات لغوية، د. شاهين ١٠، والموازنة بين المفاهيم، مجلة اداب القاهرة مج٢٣، ١٩٦٢ ص٢٣.

(٦) ملخص إبطال القياس ٧٠.

وممن تبع الفقهاء من اللغويين ابن فارس[١]، دعا الى غلق باب القياس بعد انتهاء عصر الاستشهاد والرواية عن فصحاء العرب، قال: "وليس لنا ان نخترع، ولا نقول غير ما قالوه ولا نقيس قياساً لم يقيسوه، لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها، ونكتة الباب ان اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن"[٢].

ابن فارس لا يرفض القياس لكنه متأثر بأقوال الفقهاء المانعين للقياس ذلك انه يرى في معجمه (مقاييس اللغة) ان مقاييس العربية ونظامها وقفاً، قال: "أجمع أهل العربية إلا من شذّ منهم - ان للغة العرب قياساً، وان العرب تشتق بعض كلامها من بعض"[٣].

ومنهم أبو العلاء المعري الذي كان يضيق ذرعاً بأقيسة النحاة الذين (قوّلوا العرب ما لا يقولون) بأقيستهم[٤]، إلا أنه لم يرفض القياس انما كان يدعو الى التخفيف منه وهذا موقف التوسط من القياس الذي دعا اليه المعاصرون أيضا وأثنوا عليه ذلك ان "التوسط في القياس خير من المبالغة فيه بفتحه على مصراعيه، وخير من سدّه الى الأبد، إذ هو وسيلة من وسائل نمو اللغة وتطورها ورقيها"[٥].

ان نصوصاً كثيرة فصيحة بليغة تتقاطع مع المنطق والقياس العقلي المنطقي، وفي النص القرآني ترد ألفاظ وتراكيب بل دلالات تبدو غير متفقة مع المنطق العقلي او متقاطعة مع قواعد النحو ومقاييسه المتفق عليها.

وهذا يعرفه أهل المنطق أكثر من غيرهم فابن رشد الفيلسوف المنطقي الذي عالج النحو بمنهج منطقي في كتابه: (الضروري في صناعة النحو)[٦]. أخذ على النحاة قياس المجهول على المعلوم، لكنه لم يرفض نظرية العامل.

قال محقق الكتاب وواصفه: "هذا دليل على ان ابن رشد كان يذهب مذهب

---

(١) ينظر: الصاحبي ٦٧ والمزهر ٣٤٦/١، والمعجم المفصل في فقه اللغة ٣٦.

(٢) الصاحبي ٦٧.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: المهرجان الألفي لذكرى أبي العلاء ٣٦٨، والمعري والنحو ٧٦.

(٥) فقه اللغة العربية ٢٧٥.

(٦) ينظر: اكتشاف مخطوط مفقود لابن رشد، سيدي ولد مناه ص٧.

الرافضين للقياس في علم النحو"[١].

ولا ننسى انه كان يعيش في ظل دولة الموحدين الظاهرية التي يرفض فقهاؤها القياس كابن حزم وابن مضاء القرطبي. والغريب انهم لا يرفضوا المنطق فقد ألفوا فيه. قال الدكتور سعيد الأفغاني محقق كتاب (ملخص إبطال القياس) "ابن حزم منطقي الى ابعد حدود المنطقية"[٢] ولا يرى في ذلك تعارضاً بل انسجاماً. ذلك انه أبطل المنطق في التشريع، وان المنطق نفسه ساعده على ذلك وعلى التحليل وكذلك إبطاله للتعليل. قال: "ليس في الشرائع علة أصلاً"[٣]. فردّ العلل وعدّها فاسدة متوهمة.

ولا اعرف كيف يلغى الشيء بالشيء نفسه هذا ينافي المنطق العقلي. قال الأفغاني: "وحسبك هذا بياناً في التزامه حدود المنطق وإخلاصه وغوصه في دقائقه بفهم وأمانة، فهو لا يستخفه اتحاد النتائج اذا اختلفت المقدمات ولا يرضَ إلا بالضبط فيها كليهما"[٤].

ويبدو هذا سبب اتفاق ابن رشد مع ابن مضاء القرطبي في ردّ القياس، وربما كانت دعوتهما سياسية توافق السلطة آنذاك، لذلك لم تلق هذه الدعوة قبولاً لتناقضها مع المذاهب الإسلامية الأخرى.

لقد دافع ابن رشد عن نفسه وردّ من يرى انه خلط بين النحو والمنطق اليوناني، وخرج عن طريقة النحاة، ذلك ان النحو يعصم النطق عن الخطأ في الألفاظ كما هو الحال في علم المنطق الذي هو آلة تعصم الذهن عن الخطأ في الفكر[٥].

النحو إذن ليس قياساً كله، ونظام العربية ليس نظاماً عقلياً صرفاً فالسماع او الاستعمال الفصيح يخالف المنطق والعقل كثيراً. وبهذا لا يكون الخروج عن

---

(١) المصدر نفسه ٧.

(٢) مقدمة تحقيق: (ملخص إبطال القياس) ١٠.

(٣) التقريب لحد المنطق ١٦٧.

(٤) مقدمة تحقيق: (ملخص إبطال القياس) ١٢.

(٥) اكتشاف مخطوط مفقود لابن رشد ٩.

القياس النحوي شاذاً إلا عن القواعد العقلية المنطقية. وهذا فهم النحاة المتقدمين للشذوذ النحوي او اللغوي فقد يكون فصيحاً لكنه ليس مطرداً مع القياس النحوي.

قال ابن جني: "معاذ الله ان ندّعي أن جميع اللغة تستدرك بالأدلة قياساً"[(١)] وأحد اقسام اللغة التي ذكرها تدل على ذلك وهو (الشاذ في القياس المطّرد في الاستعمال) وهو كثير وقد ساق شواهد لغوية فصيحة مطّردة في الاستعمال اللغوي.

وقول النحاة المتقدمين خاصة بما سموّه بـ(القياس المتروك او المهجور)[(٢)] من ذلك قولهم: "ربما جاء في الشعر ثلاث مئات واربع مئات ونحوهما مضافاً الى الجمع على القياس المتروك"[(٣)]. قال سيبويه: "واما ثلثمائة الى تسعمائة فكان ينبغي ان تكون في القياس مئين او مئات"[(٤)].

ومن أحكام المقيس عليه: (ألا يكون شاذاً في الاستعمال مطّرداً في القياس) قال ابن جني: "فان كان كذلك فاستعمل من هذا ما استعملت العرب وأجز منه ما أجازوا"[(٥)] وإلا "تحاميت ما قالت العرب من ذلك وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله"[(٦)] نحو: (كان زيدٌ يقوم)، و(أقائم أخواك أم قاعدهما) إلا ان العرب لا تقوله لأنه قليل شاذ في الاستعمال انما تقول: (أقائم اخواك ام قاعدان) فتصل الضمير والقياس يتوجب فصله ليعادل الجملة الأولى[(٧)]، ولا يقال: (عسيت اخانا)[(٨)]، ولا (أعسى زيد قائماً او قياماً) فهذا هو القياس غير ان السماع ورد بغيره[(٩)]. وعقد ابن جني في الخصائص باباً سمّاه: (امتناع العرب من كلام بما يجوز في القياس)[(١٠)].

---

(١) الخصائص ٢/ ٤٤.

(٢) ينظر: الايضاح العضدي ١/ ٢٨.

(٣) معاني الأخفش ١/ ٢٦١، ١/ ٧٧ وينظر: معاني الفراء ٣/ ٢٥٦، وابن يعيش ٦/ ٢١.

(٤) الكتاب ١/ ٢٩ وينظر: ١/ ٥٠، ٤٣٦، ٢/٢١، ٥١، ٦٩، ٨٢، ٤٠٤.

(٥) نفسه ١/٤١٤.

(٦) الخصائص ١/ ٣٩.

(٧) الخصائص ١/ ١٠٠.

(٨) كتاب سيبويه ١/ ٥١.

(٩) الخصائص ١/ ٩٧.

(١٠) الخصائص ١/ ٣٩١.

فالقياس النحوي هو الاستعمال وليس المنطق العقلي الرياضي، والاستعمال العربي يخضع لنظام العربية اللغوي ومن نظامها: حمل الكلام بعضه على بعض او حمل المعنى بعضه على بعض. قال الأخفش الأوسط: "وأما قوله تعالى ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ (البقرة ٤٥) فلأنه حمل الكلام على الصلاة، وهذا الكلام منه ما يحمل على الأول ومنه ما يحمل على الآخر"، وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴾ (التوبة ٦٢) "فهذا يجوز على الأول والآخر أقيس، هذا اذا كان بالواو ان يحمل عليهما جميعاً "[(١)].

ان قياس أهل اللغة أسلم من قياس النحويين الذين أجازوا مثلاً: (أعطاكني). قال سيبويه: "إلا انه قبيح، لا تتكلم به العرب، ولكن النحاة قاسوه لكراهة المتكلم ان يبدأ بالأبعد قبل الأقرب"[(٢)]. فاللغة ليست نظاماً هندسياً محكماً ولو كانت كذلك لتوقفت عن الحياة وخلت من الإبداع، وما من لغة إلا وفيها فجوات ومخالفات، أي اختيارات باصطلاح علم الأسلوب يسميه النحاة شذوذاً او عدولاً عن القياس النحوي.

يقول باحث معاصر: "ليست اللغة منطقية دائماً، هي كل ما يتألف من ذكاء وإرادة وحساسية وفي كثير من الأحيان نستطيع أن نلحظ فرقاً بين لغة العقل والمنطق ولغة الإرادة والرغبة ولغة الانفعال والحساسية"[(٣)].

لذلك فرّق البلاغيون بين الأسلوب الخبري ويدخل فيه لغة المنطق، والأسلوب الإنشائي وهو لغة الإرادة والرغبة. وثمة تداخل بين لغة المنطق ولغة الانفعال، وتتأثرالواحدة بالأخرى وتأخذ منها، مثل قول من يرى حادثا فيرثي لحاله فيقول: (آه ! المسكين)، ومصادفة صديق لم يتوقع لقاءه فيقول: (أنت هنا؟)، وهذه الجملة ذات قيمة انفعالية فاذا صيغت في لغة المنطق الجدلية صارت: (أرثي لهذا

(١) معاني القرآن ١/ ٨١، ٢/ ١٢٧، وينظر أمثلة اخرى، المقتضب ٢/ ١٩٣، ٢٤٤، ٢٥٥، وشرح القصائد السبع الطوال.

(٢) كتاب سيبويه ١/ ٣٨٣.

(٣) مدخل الى دراسة النحو، عابدين ٥٩ – ٦٠.

المسكين) او (يدهشني أراك هنا).

وكذلك بين قولنا: "(يا عبد الله) و(أدعو عبد الله)، الأولى أسلوب إرادة ورغبة، والأخرى أسلوب عقل ومنطق كما تختلط اللغتان في الندبة والاستغاثة"[١].

وقال أيضاً: "توشك لغة المحادثة أن تكون لغة انفعالية كما ان اللغة المكتوبة أقرب الى اللغة المنطقية"[٢].

والشواهد على ذلك في اللغة كثيرة، ولا سيّما في المطابقة من حيث الإفراد والتثنية والجمع، او التذكير والتأنيث، او التعريف والتنكير، وكذلك في ظواهر لغوية كثيرة مثل الحمل على المعنى والالتفات والتناوب والتغليب وغيرها. وقد ورد منه في النص القرآني كثيراً في ضوء نظام القرآن اللغوي الذي يبنى على المشابهة وتعلّق الكلام بعضه برقاب بعض لحكمة او لغرض دلالي وان بدا مخالفاً للقياس النحوي والمنطق العقلي لكنه يرد في ضوء نظام لغة القرآن ومنطقه وقد وسمناه ب: العدول النظامي[٣].

وعلل الدكتور إبراهيم انيس تلك الظواهر اللغوية بأنها ظواهر مشتركة بين لغات العالم، وعادات مرتبطة بالفكر الإنساني للارتباط بين لغات البشر والمنطق، ثم حدّد الأمور العقلية المشتركة بين لغات البشر، وهي من المنطق العقلي العام. وتناول الأفراد والجمع، والتذكير والتأنيث وزمن الفعل، والنفي إلا انه فسّر ذلك تفسيراً تاريخياً بحسب المنهج المقارن بين اللغات السامية واللغة العربية الحديثة، قال: "النفي في اللغات (رغم) انه معنى عقلي مشترك بين جميع العقول عبرت عنه اللغات بسبل وأساليب لا تطابق دائماً الأساليب المنطقية او الرياضية"[٤] كظاهرة التضاد الذي يشبه التناقض والمغالطة لدى المناطقة لكنها بمنطق اللغة مقبولة.

وفي اللغة نفي ضمني نحو: (لو لي مالٌ...) ولا يعدّ ذلك نفياً إلا بأداة،

---

(١) المصدر نفسه ٦٢، وينظر: اللغة، فندريس ٨٣، ١٩٢.

(٢) مدخل الى دراسة النحو ٦٢.

(٣) ينظر تفصيل ذلك في: العدول عن النظام التركيبي في لغة القرآن الكريم (اطروحة دكتوراه ثانية).

(٤) من اسرار اللغة ١٧٦.

والمنطقي يعده نفي النفي، ولدى اللغة تأكيد النفي والمنطقي إثبات[١].

وأخذ على النحاة قواعدهم المنطقية، ولا سيّما ربطهم الصيغة الزمنية ببنية الفعل وفي العربية الزمن في أوسع من ذلك كأن تسبق الفعل ادوات نحو: سين وسوف وما النافية والمصدر وغير ذلك[٢]

وفي التذكير والتأنيث وعدم مطابقتهما قال: "ان فكرة التأنيث والتذكير قد اختلطت بعناصر لا تمت للمنطق العقلي بسبب لذا نرى النحاة من العرب يقسّمون التأنيث الى مؤنث حقيقي ومؤنث مجازي ولكل منهما أحكامه النحوية، نحو: المرأة الكاعب، والمرضع[٣] والعاجز... وفي النص القرآني شواهد كثيرة من ذلك:

قال تعالى: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ ﴾[سورة المزمل ١٨]

وقوله تعالى: ﴿ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا ﴾[سورة الفرقان ٤٩]

وقوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾ [سورة هود ٦٧]

وقوله تعالى: ﴿ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ [سورة الشعراء ٤]

وثمة ممازجة بين الجمع اللغوي والجمع المنطقي ذلك ان اللغات تسلك مسالك متعددة في علاج التثنية والجمع. ويرى خروج صيغ الجمع عن دلالتها كجمع القلة للكثرة، وجمع الجمع لم تكن من الظواهر الملتزمة في العربية لكن النحاة ذكروا ذلك[٤].

ومن دلائل خروج الظواهر اللغوية عن المنطق العقلي العلاقة بين العدد والمصدر في العربية، من ثلاثة الى عشرة.

ونحو الجمع وإرادة المثنى وعكسه والواحد وإرادة المثنى وعكسه وتقليباتهما نحو قوله تعالى: ﴿ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١ ﴾ [سورة ص ٢١] و ﴿ قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت ١١]، ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ

(١) المصدر نفسه ١٧٩.

(٢) المصدر نفسه ١٧٠ - ١٧١.

(٣) المصدر نفسه ١٥٨.

(٤) ينظر: الصاحبي ٢١٩، ٢١٠، والبرهان ٢/ ٤١٧.

﴿ ﴾ [سورة طه ٤٩] و﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [سورة ق ٢٤] قالوا: المراد (مالك) خازن النار وقال الفراء: الخطاب لخزنة النار والزبانية وهذا من سنن العرب في مخاطباتها(1).

الخلاصة: اللغة نظام لها منطق خاص بها، يتمثل بواقعها الاستعمالي، الذي ينأى عن المنطق العقلي العام، والخلط بينهما يؤدي الى انحراف الدرس النحوي واللغوي ويضرّ بهما. والبحث سلط الضوء على الفارق بين النحو المنطقي العقلي المعياري وبين النحو اللغوي الاستعمالي أو بين المنطق اللغوي والمنطق العقلي العام.

فاللغة لا تسلك في علاجها (إذن) الإفراد والتثنية، والجمع وغيرها من ظواهر اللغة مسلكاً منطقياً، ذلك ان منطق اللغة ينأى عن المنطق العقلي وان تأثر احدهما بالاخر... والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

- الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي، تح: د. احمد الحمصي ود. محمد احمد قاسم، ط١، جروس برس ١٩٨٨.

- اكتشاف مخطوط مفقود لابن رشد، سيدي ولد مناه، شبكة الاتصالات العالمية، موقع الدكتور محمد عابد الجابري ٢٠٠٧.

- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الانباري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، دار التراث العربي ١٩٩١.

- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ت)

- تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، د. محمد ولد اباه المختار، ط١، دار التقريب، بيروت ٢٠٠١.

- التنبيه على سبيل السعادة، الفارابي، تح: جعفر آل ياسين، دار المناهل،

(1) ينظر: الصاحبي ٢١٩، ٢١٠، والبرهان ٢/ ٤١٧.

بيروت ١٩٨٥.

- الخصائص، ابن جني، تح: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٥.

- صون المنطق والكلام، السيوطي، تح: علي سامي النشار، مكتبة الخانجي، (د. ت).

- خطى متعثرة على طريق تجديد النحو العربي، د. عفيف دمشقية، دار العلم للملايين ١٩٨٠.

- الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة (اطروحة)، د. حسن منديل، الجامعة المستنصرية، آداب ١٩٩٦.

- دليل الناقد الأدبي، ميحان الرويلي، د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، بيروت (د. ت)

- الرد على المنطقيين، الشيخ ابن تيمية، دار المعرفة، بيروت (د. ت)

- الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي، تح: د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر (د. ت)

- شرح المفصل، ابن يعيش (٦٤٣هـ)، مطبعة عالم الكتب، (د. ت)

- الصاحبي في فقه اللغة، ابن فارس، تح: السيد احمد صقر، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، (د. ت)

- ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، د. فتحي الدجني، دار ن والقلم، بيروت ١٩٧٤.

- العدول عن النظام التركيبي في اسلوب القرآن الكريم (اطروحة دكتوراه ثانية) د. حسن منديل، جامعة بغداد ٢٠٠٨.

- في أصول النحو، د. سعيد الأفغاني، ط٢، مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٧.

- القياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة، محمد عاشور السويح، الدار الجماهيرية للنشر، مصراتة، دار الكتب الوطنية، بنغازي ١٩٨٦.

- القياس وصيغ المبالغة توطئة في القياس، صلاح الدين الزعبلاوي، مجلة التراث العربي، ع ١١، س ٣، ١٩٨٣، ص١١.

- الكافية في الجدل، امام الحرمين الجويني، تح: فوزية حسين، البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٩.

- الكتاب، سيبويه (١٨٠هـ)، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخاجي، القاهرة ١٩٨٨.

- اللغة، فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواحلي ومحمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٠.

- اللغة والإبداع، شكري محمد عياد، ط١، بيروت ١٩٨٨.

- لمع الأدلة في اصول النحو، أبو البركات الانباري، تح: سعيد الافغاني، دار الفكر، بيروت ١٩٧١.

- محنة الفلسفة وأزمة العلوم الإنسانية في الجامعات الخليجية، دراسة تطبيقية في فلسفة العلوم، سعد توفيق، مجلة نزوى، ع ٤٤ – ٥٢.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تح: محمد جاد المولى وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٧٨.

- المستصفى من علم الأصول، أبو حامد الغزالي، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، (د. ت)

- معاني القرآن، أبو زكريا الفراء، تح: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والنشر، (د. ت)

- معاني القرآن، الأخفش الأوسط، تح: فائز طه، ط٢، الشركة الكويتية ١٩٨١.

- المقتضب، أبو العباس المبرد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د. ت).

- ملخص أبطال القياس، ابن حزم الظاهري، تح: سعيد الأفغاني، بيروت ١٩٧٣.

- من أسرار اللغة، د. إبراهيم انيس، ط٦، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٨.

- المنطق والنحو الصوري، د. طه عبدالرحمن، ط١، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٣.

- منطق اللغة، نظريات عامة في التحليل اللغوي، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع ٥، نيسان ١٩٦٢، ص٣١٥ – ٣٤٣.

- الموازنة بين المناهج، د. احمد مكي الأنصاري، مجلة آداب القاهرة، مج ٢٣، ١٩٦٢، ص ٢٣.

- نقد ابن تيمية للقياس المنطقي، د. ابتسام احمد جمال، مجلة ام القرى، ج٥، ع٢٦ ، صفر ١٤٢٤، ص ٥٤١.

المبحث الثاني

القياس النحوي بين التجريد العقلي والاستعمال اللغوي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد.

تناول القياس كثيرٌ من الدارسين القدامى والمعاصرين[1]. ولا نريد هنا تناول القياس تناولاً تقليدياً فنبدأ بالقياس لغة ثم اصطلاحاً ثم نكرر ما قاله الدارسون من ذكر أركان القياس وأنواع العلل وغير ذلك. ولسنا ملزمين باستقصاء دارسيه وآرائهم به كل الإلزام وإنما نتناول القياس على وفق منهج نقدي، وفي ضوء نظام اللغوي للعربية. حيث تختلف نتائج البحث ومساراته بحسب الاهداف والمناهج وطرائق التفكير، فيضيق أو يتسع او يكون تقليدياً أو أصيلاً.

تناول النحاة النظام اللغوي للعربية في ضمن مباحث القياس النحوي وتوسعوا فيه بمنهج عقلي ولا سيّما لدى المتأخرين. على الرغم من الفارق الكبير بينهما، فالنظام اللغوي للعربية أكثر دقة وأقرب إلى واقع اللغة العربية و(النصّ القرآني). يؤسس على المشابهة وتعلق الكلم بعضه برقاب بعض وحمل المعاني النحوية بعضها على بعض.

والقياس النحوي يهدر مواد لغوية كثيرة ويضيف أخرى خارجة عن النظام اللغوي والاستعمال، داخلة في النظام العقلي المنطقي المعياري التعليمي. والقياس جزء من نظام العربية إلا ان النحاة جعلوا نظام اللغة

(١) استقرأ الدكتور سعيد الزبيدي جلّ قضايا القياس ودارسيه في كتابه (القياس في النحو) ١٦٩ – ١٨٠ وقد فاته بعضهم نحو(القياس في اللغة العربية) د. محمد حسن عبد العزيز و(القياس بين المدرستين البصرة والكوفة)، السويح.

العربية قسماً من أقسام القياس النحوي، ثم انحرفوا عنه كما سنرى.

ومصطلح القياس عام، تشترك فيه علوم مختلفة، حيث تتغير مفاهيمه تبعاً للمادة العلمية التي يتناولها، والغاية منها، كالفقه الذي يستخدمه لاستنباط الحكم الشرعي وإصدار الفتيا. وكذلك الفلسفة والمنطق لانضباط المادة العلمية على وفق نظام عقلي محكم(١).

لذلك نجد له أكثر من فهم في مصادر اصول النحو تبعاً للمنهج والهدف، والأهم من ذلك انّ اللغة العربية لا تخضع له خضوعاً مطرّداً وتتقاطع معه كثيراً. من هنا ظهرت إشكالات لدى النحاة اضطروا إلى تأويلها أو الانقسام حولها بين متشدد ومتسامح، لأنهم بَنُوه على المنطق العقلي، والعربية لها منطقها ونظامها الخاص بها.

القياس "استنباط مجهول من معلوم"(٢) سواء في اللغة او غيرها، لذا عرّفه اللغويون والنحاة بأنه "حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه"(٣).

والفهم العام له اليوم هو "محاكاة العرب في طرائقهم اللغوية وحمل كلامنا على كلامهم في صوغ المادة وفروعها وضبط الحروف وترتيب الكلمات وما يتبع ذلك من إعلال وإبدال وإدغام وحذف وزيادة... "(٤) فهو معيار لضبط حركة الاستعمالات اللغوية الجديدة وعدم خروجها عن سنن الفصحى، واللغة تحتاج إليه في تطورها لتراكيب التطور الحاصل بمناحي الحياة التي تنعكس على اللغة.

وتتم عملية القياس اللغوي والنحوي على مراحل:

١- رصد الظواهر اللغوية وتصنيفها بحسب تماثلها في التركيب الاعرابي او الصيغ الصرفية، وتقرير القاعدة اعتماداً على استقراء

---

(١) ينظر: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب ٢٩ والمعجم المفصل في فقه اللغة ١٣٥.

(٢) من اسرار اللغة ٩.

(٣) الأغراب في جدل الاعراب ٥.

(٤) اللغة والنحو، عباس حسن ١٢٠.

الغالب في السماع.

٢- استبعاد الصيغ التي لم ترد في السماع ولو كانت موافقة للقياس النظري.

٣- اعتبار ما خرج من القاعدة المطرّدة سماعاً منقولاً، لا يقاس عليه مثل الشاذ والنادر وما دعت إليه الضرورة الشعرية[١].

لذلك نجد مفاهيم كثيرة للقياس في الموروث النحوي، يخلطون بينها وبين مستويات اللغة المختلفة، يتوسعون به ويضيقّون بحسب المادة اللغوية التي اختلفوا فيها وبحسب المناهج المختلفة التي تناولوه في ضوئها. اختزلها المتأخرون في منهجين واسعين من غير تحديد دقيق هما: المنهج البصري الذي يمثل الاتجاه العقلي المتشدد في المادة اللغوية التي هي أساس القياس. يقابله المنهج الكوفي الأقل تشدداً في ذلك.

وقد استخلص المعاصرون أقساماً أخرى من القياس لدى القدامى واحتمالاته منها حمل غير المنقول على المنقول من اللغة، ومنها قياس المشابهة في الأحكام، والقياس المجازي لدى الفقهاء[٢].

وذكر بعض الدارسين أقساماً للقياس تبعاً للاستعمال، والعلة الجامعة، والمعنى واللفظ، والوضوح والخفاء. وأكّد على التمييز بين القياس اللغوي والقياس النحوي وأخذ على الدارسين خلطهم بين النوعين[٣]. وصنفه آخر إلى: القياس العام (الأصلي) والقياس النظري (التعليلي)[٤].

وعلى كثرة هذه التقسيمات لا نجد بينها تصنيفاً يبنى على التفريق بين اللغة الفنية واللغة الايصالية والعلمية لأنهم حدّدوا لأنفسهم حدوداً وأهدافاً ومسارات أهمها التحديد الزماني والمكاني للمادة الخام التي يبني

(١) تاريخ النحو العربي بين المشرق والمغرب ٣٣.

(٢) ينظر: القياس في اللغة العربية، محمد الخضر حسين ٢٥، ودراسات لغوية ٣١.

(٣) ينظر: القياس في النحو، د. سعيد الزبيدي ٣٥، ١٧١، ١٧٩.

(٤) ينظر: فقه اللغة ٢١، ١٢٨ وتاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب ٣١.

عليها القياس في ضوء نظرة قدسّية اللغة والخشية على لغة القرآن من التغير والانحراف. معتمدين على المنطق العقلي المجرّد المتمثل في الاطّراد وانعكاس القاعدة على مواد اللغة جميعها. وفصله أحياناً عن السماع في الدراسة، "لا يوجد القياس النحوي مستقلاً في الذهن عن السماع لأنه لا يتصوّر احدهما إلا اقترانه بالآخر"(١)

ويمكن تصنيف الأنواع الكثيرة للقياس النحوي ومفاهيمه المتعددة والتسميات المختلفة في الموروثين: اللغوي والنحوي على اتجاهين او نزعتين ظلتا مستمرتين لدى الدارسين منذ نشأة النحو حتى عصرنا:

النزعة العقلية والنزعة اللغوية وكلتاهما قصرت في تمثيل واقع اللغة. ونضيف نزعة ثالثة تمثل واقع اللغة وتربط القياس بالنظام الاستعمالي الذي يختلف عن القياس العقلي، وتدرسه في ضوء النصّ القرآني ونظامه المعجز. يمكن ان نطلق عليها التسميات الآتية تمييزاً لها:

تجريد القياس، والقياس اللغوي، وتصحيح القياس (قياس النظام). الأول: أقرب يبدو إلى النحو، والثاني اقرب إلى اللغة وروايتها، والثالث شامل للغة والنحو والبلاغة:

١- تجريد القياس(٢):

أي تجريده عقلياً سواء اتفق مع الشواهد الواردة او تقاطع فهو أقوى من الشاهد وهو قيمٌ على اللغة، يهدر منها ويضيف إليها. لذلك طعنوا على فصحاء العرب وشعرائهم(٣) في ضوئه.

نسبت هذه النزعة أولاً إلى ابن أبي اسحق الحضرمي ١١٧هـ ومن تبعه ثم إلى البصريين نسبة عامة تقابل الكوفيين عامة، او عدّوها الفارق

(١) رؤية جديدة في قضية السماع والقياس، د. احمد الجنابي، (مخطوط) هدية من المؤلف.

(٢) ينظر: الموازنة بين المناهج البصرية ٦٥ والتيار القياسي في المدرسة البصرية ٢٠. وينظر ايضاً طبقات فحول الشعراء ٦٠، ونزهة الالباء ٢٢ والأشباه والنظائر ٢/ ١٠٤.

(٣) الروايات في ذلك كثيرة ولا سيّما بين الحضرمي والفرزدق. ينظر: المصادر السابقة. وطبقات فحول الشعراء ١/ ١٥ وانباه الرواة ٢/ ١٠٥، ٣٧٥، والقياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة ١٢١ وبروكمان ٢/ ١٣٠.

الأساس بين المذهبين النحويين البصري والكوفي وهي غير دقيقة كما أثبت البحث النحوي المعاصر(١).

وظهرت هذه النزعة واضحة لدى أبي علي الفارسي (٣٧٧هـ) القائل "لأن أخطئ في خمسين مسألة مما به الرواية أحبّ إليّ من ان اخطئ في مسألة واحدة قياسية"(٢)، والمازني (٢٤٧هـ) القائل "ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب"(٣)، وابن جني (٣٩٢هـ) الذي كان أكثر اهتماماً بالقياس وتوسعاً حيث "كان مولعاً بالقياس كثير الأخذ به، داعياً إليه، القائل: "لا تسرع إلى إعطاء اليد بانقاض بابه والقياسَ القياسَ"(٤). وان كان يشير إلى مذهب أبي عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) ومن تبعه أحياناً نحو قوله: "وان شذّ الشيء في الاستعمال وقوى في القياس كان استعمال ما كثر استعماله أولى وان لم ينته قياسه إلى ما انتهى إليه استعماله"(٥). وصرّح بإبطال القياس عند تعارضه مع السماع.

وتسود هذه النزعة لدى غالب المتأخرين فعدّوا النحو هو القياس ومزجوه بمناهج دخيلة ولا سيّما الفقه والمنطق والفلسفة، واستمر ذلك في عصرنا متمثلاً بالمتشددين في حركة التصحيح المعاصر (٦).

٢- القياس اللغوي:

نزعة نسبوها إلى أبي عمرو بن العلاء(١٧٥هـ) وبعض تلامذته ومن تبعهم كانوا أكثر عناية باللغة وروايتها وجمعها وتنظيمها والقياس على الأعم الأغلب، ولا تحكم القياس ولا تعد ما خالف القياس لحناً او خطأ

---

(١) ينظر: تفصيل ذلك: الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير ٢٨، ٤٩ والقياس في النحو، الزبيدي ٤٧.

(٢) العلة النحوية ٧٤.

(٣) التصريف ١/ ١٨٠.

(٤) الخصائص ٢/ ٢٣٣.

(٥) نفسه ٢/ ٩٥، ١/١٢٥.

(٦) ينظر: حركة التصحيح، الضاري ١٧٥ والدراسات اللهجية، النعيمي ٤٧.

وإنما لغات تحفظ ولا يقاس عليها او سماعاً لا يُرد[١].

ولا يبتعد المعاصرون عن النزعتين في تفريقهم بين ما سموه بالقياس النحوي والقياس اللغوي وانكروا الخلط بينهما[٢]. ويبدو ان الذي ساد لدى المعاصرين (القياس اللغوي) وتحت تسميات مختلفة نحو (القياس الطبيعي) وهو الذي تتسع به اللغة لتواكب التطور الاجتماعي والعلمي، فهو استنباط مجهول من معلوم مما لم يذكره القدماء في المعاجم[٣]. أي اتخذوه وسيلة من وسائل تنمية اللغة ربما لحاجتهم إلى التعريب وتوليد ألفاظ جديدة ووضع المصطلحات أكثر من حاجتهم إلى وضع قواعد النحو ساد هذا النوع في ضوء قياس كلامنا على كلام العرب. وسمّاه الدكتور تمام حسان بـ(القياس الاستعمالي) وقال: "انه تطبيق عملي وهو انتحاء كلام العرب ومحاكاته"[٤] وسمّاه د. محمد حسن (قياس الأنماط)[٥] وأقرب تسمياته إلى مضمونه يبدو (القياس الاشتقاقي الصرفي) واللغوي، قال الزعبلاوي عنه: هذا بحث ظريف خاض فيه الباحثون إذ لم يصرح الأئمة الأوائل بقياس اشتقاق... "[٦]. إذن هو قياس تبعاً لحاجة التطور لكنهم جمعوا فيه بين النزعتين العقلية وكثرة المنقول، وليس على وفق نظام العربية الاستعمالي.

٣- قياس النظام:

هو فهم الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ) للقياس ومنهجه في تحليل النصّ القرآني وتفسيره له، ولا سيّما فيما يبدو خروجاً عن القياس

(١) ينظر: الكتاب ٣/ ٢١٨، اخبار النحويين البصريين ٢٦ والخصائص ١/ ٣٦ وطبقات اللغويين والنحويين ٣٩ وانباه الرواة ٢/ ٣٧٥ والموازنة بين المناهج البصرية ٦٧ والقياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة ١٩، ١٢٢ والمفصّل في تاريخ النحو ١٧١.

(٢) القياس في النحو، الزبيدي ١٦٩ – ١٨٠.

(٣) من اسرار اللغة ١٥، ٣١.

(٤) الاصول ١٤٧، ١٧٧.

(٥) القياس في العربية ١٩.

(٦) القياس وصيغ المبالغة، الزعبلاوي، مجلة التراث العربي ٧.

النحوي المجرد، لذلك قالوا عنه انه صحح القياس بعد أن جرده الحضرمي (١١٧هـ) أي ان الحضرمي فصله عن النصّ وواقع العربية الاستعمالي في ضوء نظامها.

الخليل لا يحكم القياس العقلي ولايجرّده من نظام النصّ القرآني، ولا يقيس على الكثير كما فعل أصحاب نزعة السماع إذا كان خارجاً عن نظام العربية كالنسب إلى قريش بغير ياء وسماه معدولاً ويقيس على القليل الشاذ إذا كان موافقاً لنظام العربية وان لم يرد به السماع او ورد بخلافه ويتخذه أصلاً يقيس عليه. فالقضية ليست سماعاً ورواية ولا كثرة او قلة عددية[1].

وبهذا شادّ (النحو) واستقام بناؤه واكتمل على يده. وما زلنا نردد أقواله وآراءه في كثير من الدراسات النحوية. ذلك انه درس العربية في ضوء الفهم الإسلامي لها معتمداً على المأثور في لغة القرآن وقدسيتها وربطها بالقرآن والشريعة والعقيدة الإسلامية.

ولا يعني هذا انه لم ترد له أقيسة كما لدى اصحاب النزعة الأولى لكنه يفرق بينها وبين نظام العربية لذلك توصل احد الباحثين المعاصرين إلى أن الخليل كان لا يسير على وتيرة واحدة في أقيسته[2].

فهو قياس أقرب إلى نظام اللغة العربية الخاص بها مبني على المشابهة وحمل الكلام بعضه على بعض، كالتشبيه له طرفان ووجه شبه وعلة جامعة. لذلك سماه النحاة المتأخرون قياس العلة والطرد والشبه. وقد أشار الدكتور تمام حسان إلى قريب من هذا حيث قال: "ان القياس كالمجاز اللغوي بحاجة إلى علاقة تربط بين طرفيه إما ان تكون عقلية (كالمجاز المرسل) او تخيليه كما في (الاستعارة)، فالعلاقة العقلية في القياس (مناسبة) العلة او (اطراد) الحكم والعلاقة التخيلية إنما تكون هي

---

(١) ينظر: كتاب سيبويه ٣/ ٣٣٥ والقياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة ١٤٤.

(٢) نفسه ١٠٦، ١٥٧، ١٤٨، ١٥٦.

(الشبه) بين المقيس والمقيس عليه"[١]

لذلك ذكر النحاة المتأخرون أركاناً تشبه أركان التشبيه سموّها (أركان القياس)[٢] وهي المقيس عليه والمقيس (او الأصل والفرع) والعلة الجامعة بينهما. والحكم وهو ليس مطلوباً دائماً. ولتعدد أوجه التشبيه وأنواعه وجدنا القياس أيضاً متعدداً.

لكنهم اختلفوا في بعض شروط المقيس عليه والمقيس[٣]، قال د. تمام حسان: "شرط المطرد في السماع ألا يكون شاذاً في القياس وألّا يحفظ ولا يقاس عليه. وإذا اطرد المقيس عليه في القياس، وقلّ في السماع جاز القياس عليه ترخصّاً في كثرة المسموع وذلك كأن تقيس على النسب إلى شنوءة (شنئي) فتقول في حلوب (حلبي). وإذا كثر في السماع وخالف القياس لم يجز أن نقيس عليه كما في (قرشي) وسلمي وثقفي، ومغزى هذا ان موافقة القياس في هذا المجال أولى من كثرة السماع فإذا عرفنا هذا فهمنا السبب في قول النحاة، " ان النحو هو القياس"[٤].

ثم ذكروا شروطاً لكل ركن وتفصيلات وفروعاً، واختلفوا في كثير منها خلافاً جدلياً عقلياً غير مبني على الواقع الاستعمالي متأثرين بالفقه والمنطق والجدل ولا سيّما في العلة فأصبحت غاية في دراساتهم النحوية نحو لم رفع الفاعل ونصب المفعول ولِمَ لم يعكس الأمر، ولم بنيت بعض الأسماء. وقسموها على أقسام ثلاثة العلة القياسية التي هي اقرب لنظام العربية في حمل الكلام بعضه على بعض والعلة التعليمية التي هي تقرّب اللغة للتلاميذ تربط السبب بالمسبب. والعلة الجدلية التي تنأى عن الواقع الاستعمالي وتدخل في علوم عقلية مجردة لذا يكثر فيها الخلاف والنقض

(١) الأصول ١٦٩.

(٢) لمع الأدلة ٤٢ والاقتراح ٩٦.

(٣) ينظر: الخصائص ١/١١٥، ٣٦، ٨٤، ٣٥٧ والمنصف ١/ ١٨٠ والاقتراح ٣٨، ٧٢ والقياس في النحو ٢٠ – ٢٤، ٢٦.

(٤) الأصول ١٦٩.

فيدخلون في جدلٍ حولها لهذا سميت جدلية.

نحو: لِمَ نَصَبَتْ (إنَّ) الاسم بعدها ورفعت الخبر بعدها. فيقال في العلة التعليمية، (إنّ) تنصب الاسم بعدها في لغة العرب وبهذا ربط بين السبب والمسبب ويقال في العلة القياسية: لمشابهة (إنّ) الفعل من وجوه إلا انها فرع بالعمل لذا تقدّم منصوبها على مرفوعها. اما العلة الجدلية فكل ما يختلفون فيه حولها فيدخل في باب الجدل[1].

وبنوا هذا الجدل على أسس نظرية العمل التي فلسفوها ووضعوا لها شروطاً وقوانين تحكمت في نظام اللغة وإن كانت هي في الأصل جزء من هذا النظام إلا أن النحاة نأوا عنه ودرسوا العمل النحوي في ضوء المنطق الأرسطي والتدخل في واقع الاستعمال اللغوي. فطبقوا قواعد المنطق الأرسطي على اللغة نحو قولهم: لا يجوز الجمع بين العوض والمعوض في مثل (أبتِ) بحذف ياء المتكلم، و(اللهم) بحذف ياء النداء وغير ذلك.

وقسموه على ثلاثة أقسام: قياس علة وقياس طرد وقياس شبه "ذلك أن القياس إما أن تراعى فيه العلة وإما ألّا تراعى فيسمى (قياس شبه) كإعراب الفعل المضارع واسم الفاعل لمشابهته في مطلق الحركات والسكنات وفي تعاقب المعاني عليه. واذا روعيت العلة فإما أن تكون مناسبة سمي (قياس علة) كرفع نائب الفاعل بعلة الإسناد، وإلا (فقياس طرد) كبناء (ليس) لاطراد البناء في كل فعل غير متصرف[2].

ولأجل هذا السبب يبدو حمل المعاصرون على النحو وأقيسته وعلله. فمنهم من ابطل القياس ومنهم من دعا إلى إلغاء نظرية العامل ومنهم دعا إلى إلغاء العلل النحوية جملةً وتفصيلاً ومنهم أبقى على العلة التعليمية.

منهم أصحاب التيسير النحوي المعاصر الذين يضيقون ذرعاً بالتعليل النحوي فقدّموا مئات المحاولات والدراسات تحت تسميات مختلفة:

---

(١) الإيضاح في علل النحو ٦٤.

(٢) الأصول ١٦٤، ١٦٧، ١٦٩.

إصلاح النحو وتيسيره وإحيائه وتجديده وتهذيبه وغير ذلك. ولا سيما في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي وجلّها اليوم مهمل ذلك إن الغالب منها لم تعالج النحو في ضوء نظام العربية الاستعمالي، ونظام القرآن الكريم ومنها الدعوات التي دعت إلى (النحو القرآني)[١].

ومنهم المتأثرون بالمناهج الغربية الحديثة ولا سيّما: المنهج الوصفي الذي لا يقرّ بالجانب العقلي في الدراسات اللغوية فدعوا الى الغاء التعليل ونظرية العمل وغير ذلك، ثم تراجعوا بعد ذلك بظهور النظرية التوليدية التحويلية التي بنيت على العقل بدراستها للغة[٢].

ومن الدارسين المتذمرين من القياس النحوي الدكتور إبراهيم أنيس الذي حمل على القياس النحوي. قال: "ولست أعرف مصطلحاً من مصطلحات الدراسة اللغوية العربية قد أُسيئ فهمه وأسيء استعماله بقدر ما أسيء فهم واستعمال مصطلح القياس"[٣]

وكان على الدارسين المعاصرين أن يميّزوا بين الدخيل في دراسة القياس وبين ما هو يمثل نظام العربية. ويصحّحوا الانحراف الذي لحق بدراسة القياس، ويدرسوه في ضوء نظام العربية الشامل، الذي ينأى عن الخلط الشديد الذي نجده في كتب النحو وأصوله والمشكلات الكثيرة التي يعاني منها النحو كقضية الاطراد والشذوذ والكثرة والقلة التي لم تحدد وكان كثير من النحاة ومنهم المتأخرون لم يطمئنوا اليها كابن هشام (٧٦١ هـ) لما فيها من غموض أوقعت الباحثين في حيرة واضطراب، أهي عددية او أمر (ذاتي نسبي) ناهيك عن عدم جدواها[٤]. فأقرّوا بما سموه بـ(القياس المهجور) أو (المتروك) وهو ينافي الكثرة العددية بل السماع والرواية،

(١) ينظر: تفصيل ذلك: الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة ٧٠.

(٢) المصدر نفسه ٧٣.

(٣) طرق تنمية الألفاظ في اللغة ١٥، وينظر: من أسرار اللغة ٩، والموازنة بين المناهج البصرية ٢٠ وظاهرة الشذوذ في النحو العربي ٣٧ ودراسات لغوية، د. عبد الصبور شاهين ١٠.

(٤) اللغة والنحو، عباس حسن ٣٤، والقياس في العربية، د. محمد حسن ٢٦، ٤٤.

وكان كبار النحاة يقيسون على التعليل والشاذّ كيونس بن حبيب (١٨٢هـ) والأخفش الأوسط (٢٢٥هـ) ومنهم المتشددون في القياس كالمبرد (٢٨٥ هـ) والفارسي (٣٧٧هـ).

والقياس النظري الذي نسبوه إلى الكوفيين، وهو قياس من غير شاهد أو أصل (مقيس عليه) يقاس عليه[١]. كتجويزهم العطف بلكن في الإيجاب حملاً على (بل) كقولنا (جاء عمرو ولكن خالد) وقد يكون ذلك من افرازات التنافس الشديد بين البصريين والكوفيين. وعدّه الشيخ الخضر حسين من الاجتهادات العقلية وعرّفه الدكتور محمد المختار ولد أباه: "هو إلحاق اللفظ بنظير غير مماثل أو بنظير غير مسموع كقياسهم ترخيم المركب المزجي على الأسماء المنتهية بتاء التأنيث... "[٢].

والذي أراه أن قضية الكثرة والقلة أمر متعلق بحاجة المجتمع في الاستعمال فإن بعض المواقف الخطابية اليومية الحياتية أكثر وروداً واستعمالاً من غيرها. وهي قضية لا تميز بين اللغة التواصلية والإبداعية. كما سنجد في قياس النظام.

وكان أبو زيد الأنصاري وهو أحد شيوخ سيبويه يجعل الفصيح والشاذ سواء فضلاً عن أبي عمرو والأصمعي كما مرّ بنا. وقد أدرك المتأخرون ذلك فذهبوا إلى إن الشاذ ليس هو الخارج عن سنن نظام العربية وليس بتفرّده او قلّته فلا يقاس عليه إنما هو الخارج عن سنن القياس العقلي المنطقي كحذف نون التوكيد في قول الشاعر:

اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس[٣]

فقد يقاس على القليل والنادر والشاذ لموافقته القياس ويمتنع على الكثير لمخالفته القياس[٤]. وقال الأشموني: "ان الكثير الوارد لا يصلح

(١) القياس في العربية ٢٦، والبحث اللغوي عند العرب ١٢٣ ومن قضايا اللغة والنحو ٩٨.

(٢) تاريخ النحو العربي ٣١.

(٣) ينظر: الخصائص ١/ ١٢٦، والاقتراح ٣٩.

(٤) الاقتراح ٧٣.

للقياس عليه"[١].

إن دراسة القياس في ضوء نظام العربية يجنبنا أيضاً المشكلات الناجمة عن الاستقراء اللغوي وخلافهم في كونه ناقصاً او تاماً ولهذا أثرٌ كبير في أقيسة النحو لأنها مبنية على الاستقراء والرواية والجمع فأوقعهم في خلاف وتشعب.

فضلاً عن ان جمع المادة والاستقراء خلط بين مستويات لغوية عدّة كاللهجات والقراءات والشعر وما سموّه ب: اللغة في حال السعة والاختيار مما أوقعهم في خلط شديد اصطدم معها القياس واضطربت قواعدهم فاضطروا إلى اللجوء إلى التأويل والتعليل والخلاف النحوي والجدل، وتسميات مختلفة كاللحن والضرورة والعدول عن الأصل والخروج عن القياس النحوي والشذوذ والمجاز واللهجات والقراءات وغير ذلك.

وقد جمع المستشرق نولدكه كتاباً كبيراً في الخروج على قواعد النحو واللغة[٢] وكذلك الدكتور عبد الفتاح الدجني بلغ كتابه أكثر من ستمائة صفحة في الشذوذ النحوي.

وقد اتخذوا القياس معياراً نقدياً، فكثرت مصطلحاتهم في تقسيم اللغة ومستوياتها كالمردود والمقبول والتضعيف والوجه والكثير والغالب والقبيح والشاذ والخبيث وغير ذلك[٣].

حمل المعاصرون حملاً شديداً على هذا النوع من القياس الذي هو أقرب إلى أنظمة العربية. فقد سمّاه أنيس بـ(الصوغ القياسي) وقال: انّه صناعة نحوية، وسخر منه، ورأى انه "لا يمت للقياس النحوي الحقيقي بصلة لأنها من علل النحاة المخترعة التي ادعوا ظلماً وتجنياً"[٤] وانه مجرد مشابهة أسرف النحاة المتأخرون في استعماله إسرافاً كبيراً حتى عدّوا النحو

(١) القياس في العربية، د. محمد حسن ٤٩.
(٢) ينظر: المناهج اللغوية لدى المستشرقين ٧٧.
(٣) ينظر: القياس في النحو، الزبيدي ١٩٥.
(٤) من اسرار اللغة ١١٤.

كله قياساً[١].

وكان عليه أن يميّز بينه وبين الصناعة المنطقية التي شوهته وانحرفت به، وان يصحح مسار هذا الانحراف. بدلاً من المهاجمة الشديدة على النحاة ونعتهم بأقسى النعوت من غير تحقيق علمي رصين. ففي هذا النوع من القياس تكمن أسرار العربية ونظامها المعجز، وان دارس العربية لا بدّ أن ينطلق من النصّ القرآني المرتبط بنظام العربية المبني على المشابهة والتعلق والارتباط.

وسمّاه الدكتور تمام حسان بـ(قياس الأحكام والأصول)[٢]. وسمّاه الدكتور محمد مختار ولد اباه بـ(القياس التعليلي) وقال: "هو ما يرد للتنبيه على علة الحكم مثل قول النحويين ان الفعل المضارع أعرب قياساً على الاسم لمشابهته له في احتمالات"[٣].

وكثير من الدراسين المعاصرين أطلقوا عليه تسمية (القياس) النحوي ونسبوه إلى الحضرمي وقد تسرب إلى النحو من المتكلمين والفقهاء[٤]. وهو خلط بين منهج تجريد القياس العقلي وقياس النظام الذي يبنى على حمل الكلام بعضه على بعض وتعلق بعضه برقاب بعض.

خلاصة المشكل في رأينا: - مبني على أساسين:

أولاً: المزج بين المنطق وواقع الاستعمال.

ثانياً: قضية السماع (الأنموذج اللغوي).

أما المشكل الاساس فثمة فارق بين الواقع والمنطق العقلي، نلحظ هذا في كثير من المواقف الحياتية، فالمنطق مثلاً يرى إن العرب كانوا أهل فصاحة وبيان وان لغتهم لا تختلف عن لغة القرآن الكريم، ذلك إن الله تحدّاهم بأن يأتوا بمثل القرآن او بسورة مثله، ولا يصح التحدي - منطقياً -

---

(١) نفسه ١١٨.

(٢) الاصول ١٤٥.

(٣) تاريخ النحو العربي ٣٢.

(٤) الاصول ١٦٤ والقياس النحوي، السويح ١٠٤، ومن أسرار اللغة ٨.

إلا إذا كانوا مبرزين فيما تحدّوا به. لكن الواقع والتحقيق العلمي اثبت غير ذلك كما سنرى.

إذا عرفنا ذلك فهمنا موقف بعض المذاهب الإسلامية بإبطال القياس وذم الفلسفة. فالدين الإسلامي يختلف عن الفلسفة اليونانية ومنطق أرسطو المبني على العقل المجرد.

قال ابن جني: "معاذ الله ان ندّعي ان جميع اللغة تستدرك بالأدلة قياساً"[١]. وقال في أحكام المقيس عليه: "ألّا يكون شاذاً في الاستعمال مطرّداً في القياس فإن كان كذلك، فاستعمل من هذا ما استعملت العرب وأجز منه ما أجازوا"[٢] وهو رأي سيبويه أيضاً[٣].

فالمنطق يبيح عبارات لغوية كثيرة غير مستعملة ولا يبيحها الاستعمال اللغوي، قال سيبويه، ان القياس يجيز مثل: أعطاكني واعطاهوني، "إلا انه قبيح لا تتكلم به العرب ولكن النحاة قاسوه، لكراهة المتكلم ان يبدأ بالأبعد قبل الأقرب"[٤]

"فاللغة ليست نظاماً هندسياً محكماً ولو كانت كذلك لتوقفت عن الحياة وخَلَت من الإبداع"[٥].

وقد أشار النحاة إلى ذلك في مسائل وأبواب نحوية كثيرة مثل قولهم بـ(القياس المتروك او المهجور)[٦]. قال ابن يعيش: "مما جاء في الشعر ثلاث مئات وأربع مئات ونحوهما مضافاً إلى الجمع على القياس المتروك"[٧].

وقال سيبويه: "وأما ثلثمائة إلى تسعمائة فكان ينبغي ان تكون في

---

(١) الخصائص ٢/ ٤٤.

(٢) نفسه ١/ ٣٩.

(٣) الكتاب ١/ ٤١٤.

(٤) نفسه ١/ ٣٨٣.

(٥) اللغة والإبداع ١٠٧.

(٦) الايضاح العضدي ١/ ٢٠١.

(٧) شرح المفصل ٦/ ٢١.

القياس مئين او مئات"[١] وأقوالهم في ذلك كثيرة.

ومن ذلك باب الحمل على المعنى وهو باب واسع. قال الأخفش الأوسط: "وأما قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ (البقرة ٤٥) فلأنه حمل الكلام على الصلاة، وهذا الكلام منه ما يحمل على الأول ومنه ما يحمل على الآخر، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ (التوبة ٦٢) فهذا يجوز على الأول والآخر أقيس هذا اذا ما كان بالواو ان يحمل عليهما جميعاً"[٢].

فالقياس اللغوي هو الاستعمال وليس المنطق العقلي الرياضي، المبني على نظام العربية فهو أدق وأكثر اطراداً وأشمل وأنسب في تفسير العدول الكثير الوارد في النصّ القرآني.

ثانياً: قضية السماع

تحوم الشكوك في كثير من المادة اللغوية التي جمعها رواة اللغة، فضلاً عن اختلاطها في مستويات لغوية متباينة كالشعر والنثر واللهجات والقراءات لا يمكن للباحث الاطمئنان اليها من غير تحقيق ودراسة واسعة. فقد كان ذلك السبب الرئيس في انحراف النحو واضطراب القياس فضلاً عن السبب المذكور: (الخلط بين القياس العقلي واللغوي).

وقد ذكرت أدلة كثيرة لاختلاف (كلام العرب) عن (كلام الله) في النصّ القرآني في بحث (العربية قبل الإسلام)[٣]، إبان نزول القرآن.

ان كثرة الألفاظ الجديدة والتراكيب التي ادخلها الإسلام المتمثلة بالنصّ القرآني والحديث الشريف اكبر دليل على اختلاف العربية اختلافاً كبيراً بعد نزول القرآن الكريم، ناهيك عن الألفاظ والتراكيب التي تغيّرت دلالتها في ضوء الاستعمال القرآني والشريعة الإسلامية الجديدة.

وحسناً فعل الدكتور إبراهيم السامرائي بما اصطلح عليه بـ(كلم

---

(١) الكتاب ١/ ٢٩. وينظر: ١/ ٥٠، ٤٣٦، ٢/ ٢١، ٥١، ٦٩، ٨٢، ٤٠٤.

(٢) معاني القرآن ١/ ٨١، ٢/ ٣٢٧. وينظر: أمثلة اخرى المقتضب ٢/ ١٩٣، ٢٤٤، ٢٥٥.

(٣) البحث مقبول للنشر، مجلة كلية التربية للبنات.

القرآن) التي لم يسبق إليها [١].

وذكرت العوامل التي أدت إلى التشويه والخلط والوضع شعراً ونثراً، منها التعصب القبلي والعوامل السياسية والشعوبية والدينية فضلاً عن العوامل الشخصية كالتكسب وحبّ الظهور. ناهيك عن (الحلقة المفرغة) في تاريخ الدراسات اللغوية الذي استمرت أكثر من قرن ونصف القرن بعد نزول القرآن، قبل تدوين التراث الإسلامي واللغوي. وقد شهدت هذه الحلقة صراعاً سياسياً على السلطة ولا سيّما بين العرب وغيرهم من المسلمين وبين المسلمين والملحدين والشعوبيين والفلاسفة والأديان الأخرى، وهجوما عنيفا وجه للقرآن الكريم (معجزة النبي محمد صلى الله عليه وسلم) ورد الطعون في لغته والشبهات.

وشهدت أيضاً هذه الحلقة تثبيت الدولة الأموية التي اتجهت سياستها إلى تعريب الدولة الإسلامية واعتمادهم على العنصر العربي في بناء الدولة. يقول الأستاذ عبد الرحيم الشريف: "كان هاجس الأمويين على الدوام يتمحور على مسألة تجسيد الروح العربية في جميع مناحي الحياة" وقال: "ان عملية التعريب هذه كانت أبعد أثراً من المعارك والفتوح في باب توطيد أركان وأسس الدولة العربية"[٢] والدولة إذا تبنّت أمراً بإمكاناتها الكبيرة ساد وانتشر وان تصدّ لذلك من يتصدى.

وشهدت هذه الحلقة الأسس العلمية التي بنيت عليها الدراسات اللغوية والقرآنية، والفرضيات العقلية والمنطقية المبنية على ردود أفعال المسلمين على المطاعن التي وجهت للغة القرآن. فنسبوا إلى العرب ما لم يقولوه، وقولهم بأن لهجة قريش أفصح لهجات العرب، وان القرآن لا يفسر إلا بلغة العرب. فإن القرآن لا يكون معجزاً ولا يتحدى قوماً إلا بما يحسنون، فنسبوا اليهم ما لم يقولوه. قال ابن فارس عن سنن العرب في

---

(١) من بديع لغة التنزيل ٣١٤.

(٢) ظاهرة الانتحال في الشعر العربي، موسوعة الإعجاز العلمي، شبكة المعلومات العالمية ١٢/ ٢/ ٢٠٠٧.

كلامه: " لتكون حجة لله - جلّ اسمه - عليهم أكبر ولئلا يقولوا، إنما عجزنا عن الإتيان بمثله لأنه بغير لغتنا وبغير السنن التي يسلكونها في أشعارهم ومخاطباتهم، ليكون عجزهم عن الإتيان بمثله اظهر وأشهر"[١].

والسنن او المجازات التي ذكروها كلها تحاكي أساليب العدول في القرآن التي تخالف القياس النحوي لمخاطبة الواحد بالجمع والاثنين والعكس وغير ذلك والتي طعن بها أعداء الإسلام.

وقد نسبوا إلى ابن عباس ﷺ انّه كان يفسّر لغة القرآن بالشعر العربي قبل الإسلام[٢]. ولم نجد اشارة إلى ذلك في كتاب سيبويه او الشيوخ الذين نقل عنهم، وكان بهم الأولى أن يشيروا إلى هذا الأمر المهم.

اعتمد العلماء في تلك الحلقة التاريخية المفقودة التي تسرب فيها الانحراف في النموذج اللغوي الذي بني عليه النحاة دراساتهم، اعتمدوا المشافهة والرواية التي كان يتناقلها الاخباريون قبل التدوين، وقد شكّك البحث المعاصر في كثير من رواياتهم. وكثرة الرواة الذين عرفوا بالوضع والضعة والانتحال.

وقد استغرب مؤلف كتاب (الأعراب الرواة) من ان جلّ الرواة لم يكونوا من الأعراب الذي تنقل عنهم العربية، وإنهم غير صريحي العروبة وليسوا من العرب الصليبة[٣] وهذا خلاف المنطق.

فضلاً عن قضية الشك بالمروي من الشعر في العصر الجاهلي التي افتعلها بعض المتشرقين ومن تبعهم، ولا يعني استشهادنا بهم إننا نؤيدهم في إنكار الشعر قبل العصر الأموي ولكنا نشير إلى ضرورة التثبت والتحقيق من اللغة التي اتخذها النحاة سماعاً لقياسهم النحوي[٤].

---

(١) الصاحبي ١٩٦.

(٢) الكامل ٢/ ١١٠ - ١٤٥ والاتقان ١/ ٢٠ والبرهان، الزركشي ١/ ٢٩١.

(٣) الاعراب الرواة ١١.

(٤) ينظر: الأدب الجاهلي في اثار الدراسين، د. عفيف عبد الرحمن حول الشك بالشعر الجاهلي. واصول الشعر العربي، وجيلوث ٣، ١٤ والمعايير النقدية في رد شواهد النحو الشعرية ٦٠ ولغة محمد (ص)، مجلة افق الالكترونية، وضحى الإسلام ٢/ ٢٥٩.

قال الخليل: "ان النحارير ربما ادخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة للبس وللتعنيت"[(١)].

ان النص الوحيد العربي الموثوق به هو النصّ القرآني، أما غيره فعلى الدارس التثبت منه قبل بناء الأحكام عليه. وهذا ما ندعوا إليه لتستقيم لنا الدراسة والنتائج. وان ندرس النصّ القرآني في ضوء نصّه نفسه ونظامه المرتبط بنظام العربية. وقد أشار الباحثون المعاصرون إلى ذلك وأكّدوا على هذه الحقيقة[(٢)]

الخلاصة:

البحث محاولة لدراسة القياس النحوي في ضوء النظام اللغوي الاستعمالي للعربية، الذي ينأى عن النظام العقلي المنطقي التجريدي التعليمي ويتقاطع معه كثيراً. وقد درس النحاة - ولا سيّما المتأخرون منهم - القياس في ضوء النظام العقلي لذلك أهدرت مواد لغوية، وأضيفت أخرى خارجة عن النظام اللغوي الاستعمالي للعربية.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة المشهد الحسيني، مصر (د. ت).

- الادب الجاهلي في آثار الدارسين قديما وحديثا، د. عفيف عبد الرحمن، ط١، دار الفكر، عمان١٩٧٨.

- أثر القرآن والقراءات في النحو العربي، د. محمد سمير اللبدي، ط ١، دار الكتب الثقافية، الكويت ١٩٧٨.

- الأشباه والنظائر، السيوطي، ط٣، دار الحديث للطباعة والنشر،

(١) المزهر ٨٥.

(٢) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٨/ ٥٦٤، وأثر القرآن في الدراسات النحوية ٣٨ والشواهد والاستشهاد في النحو ٢٩ والتطريز النحوي ٢٠١.

بيروت ١٩٨٤.
- الأصول، دراسة ايبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، د. تمام حسان، منشورات عالم الكتب، القاهرة ٢٠٠٤م.
- أصول الشعر العربي، ديفيد مرجيلون، ترجمة: إبراهيم عوض، دارالفردوس ٢٠٠٦.
- الاعراب الرواة، عبد الحميد الشلقاني، ط٢، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا١٩٧٥.
- الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، ط ١، تحقيق د. احمد سليم الحمصي، د. محمد احمد قاسم، ط١، جروس برس ١٩٨٨.
- الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي (٣٣٧هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ط٥، دار النفائس، بيروت ١٩٧١.
- البحث البلاغي عند العرب، د. احمد مطلوب، الموسوعة الصغيرة (١١٦)، دار الجاحظ للنشر، بغداد ١٩٨٢.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ت).
- تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، د. محمد ولد أباه المختار، ط١، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت ٢٠٠١.
- التيار القياسي في المدرسة البصرية، د. أحمد مكي الانصاري، مجلة آداب القاهرة، مج٢٤، ج٢، السنة ١٩٦٢.
- حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث، د. محمد ضاري، دار الرشيد للنشر، بغداد١٩٨٠.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٥.
- الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير، د. حسن منديل حسن العكيلي، (اطروحة)، كلية الاداب، الجامعة المستنصرية ١٩٩٦.

- دراسات لغوية د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٨٥.

- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د. حسام الدين النعيمي، دار الرشيد للطباعة والنشر، بغداد ١٩٨٠.

- رؤية جديدة في قضية السماع، د. أحمد نصيف الجنابي، (مخطوط) هدية من المؤلف.

- شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش (٦٤٣هـ)، مطبعة عالم الكتب، (د. ت).

- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، تحقيق: السيد احمد صقر، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة (د. ت).

- ضحى الإسلام، احمد امين، ط ١٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة١٩٨٢.

- ظاهرة الشذوذ في النحو العربي، د. فتحي الدّجني، ط١، دار ن والقلم، بيروت، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٤.

- العدول عن النظام التركيبي في النص القرآني، (اطروحة دكتوراه ثانية) د. حسن منديل العكيلي، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات ٢٠٠٨.

- فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ط ٦، دار نهضة مصر القاهرة ١٩٨٢.

- القياس في اللغة العربية، الشيخ محمد الخضر حسين، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٥٣هـ.

- في أصول النحو، د. سعيد الأفغاني، ط٢، مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٧.

- القياس في النحو العربي، د. سعيد الزبيدي، ط١، دار الشرق، عمان، الاردن ١٩٩٧.

- القياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة، محمد عاشور

السويح، دار الجماهيرية، بنغازي ١٩٨٦.

- القياس وصيغ المبالغة توطئة في القياس، صلاح الدين الزعبلاوي، مجلة التراث العربي، ع ١١، س ٣، ١٩٨٣، ص١١.

- الكامل أبو العباس المبرّد (٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته، دار نهضة مصر بالفجالة (د. ت).

- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه (١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار غريب للطباعة ١٩٨٨.

- لغة محمد ﷺ، إبراهيم الجبين، مكتبة المشكاة الإسلامية http: www. almeshkat. net في ٢٠٠٦/٩/٤.

- اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي، شكري محمد عياد، طذ، بيروت ١٩٨٨.

- اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، ط٢، دار المعارف، مصر ١٩٧١.

- لمع الأدلة في أصول النحو، أبو البركات الانباري، تحقيق: سعيد الافغاني، ط٢، دار الفكر، بيروت ١٩٧١.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمد جاد المولى وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت١٩٨٧.

- معاني القرآن، أبو زكريا الفراء (٢٠٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والنشر، مطابع سجل العرب (د. ت).

- المعجم المفصل في فقه اللغة، إبراهيم الجرمي، دار القلم، دمشق (د. ت).

- المقتضب، أبو العباس المبرد (٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، (د. ت).

- من أسرار اللغة، د. إبراهيم انيس، ط٦، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٨.

- من بديع لغة التنزيل، د. إبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، عمان ١٩٨٦.

- من قضايا اللغة والنحو، د. احمد مختار عمر، عالم الكتب، مصر ١٩٧٤.

- المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد امين ط ١، دار احياء التراث، مصر١٩٥٤.

- الموازنة بين المناهج، د. احمد مكي الأنصاري، مجلة آداب القاهرة، مج ٢٣، ١٩٦٢، ص ٢٣.

المبحث الثالث

النظام النحوي

نظام اللغة العربية يشمل أنظمة مرتبطة بعضها ببعض كلها تخدم المعنى أهمها النظام الصوتي وقوانينه. والنظام الصرفي الذي يقوم على جذور واشتقاقات مطرّدة قد تصل الى أكثر من مئتي تصريف محفوظ للجذر الواحد تتسع بالزوائد والحذف والإعلال والإبدال وتعاور الحركات وقوانين جمع التكسير والنسب والتصغير والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث على وفق نظام مرن مفتوح يستوعب كل معنى جديد لمواكبة التطور ويسعف المبدعين والمعربين وغيرهم[1].

قال د. تمام حسان: "إن الصرف يتكون من نظام من المعاني التي تعبّر عنها المباني لأنّ هذه المباني تتحقق بدورها بواسطة العلاقات فمن المعاني والمباني تتكون اللغة، ومن العلاقات يتكون الكلام... "[2].

ونحن معنيون بالنظام النحوي وهو نظام تركيب المفردات للتعبير عن الدلالة. والنظام نفسه دلالة كما يتضح بالترجمة الحرفية والنصية الذي مرّ بنا.

ويعتمد النظام النحوي على أنظمة اللغة الأخرى ولا سيّما النظام الصرفي كلها تتعاضد لخدمة الدلالة والبيان كالنظام الإعرابي ونظام الربط وغيرها. قال تمام حسان: "النحو يتخذ لمعانيه مباني من الصرف لذا لم يفصلوا بينهما في كتب

---

(١) بلغت بعض كتب تعليم اللغة العربي لغير الناطقين بها إلى أكثر من مئتي تصريف للجذر الواحد. ينظر:

An Introduction to Modern Arabic, by Farahat J. Ziadeh and R. Bayiy winder, ١٩٥٧, London :Oxford University Press.

وينظر: أطلس النحو العربي، عباس المناصرة، ٨ وقاموس تصريف الأفعال والأسماء، د. أميل بديع يعقوب.

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ١٦٤.

النحو[١]. وقال: "ان النحو لا يستعمل من المباني المعبرة عن معانيه إلا ما يقدمه له الصرف من مباني التقسيم وتحتها الصيغ، ومن مباني التصريف وتحتها اللواصق ومن مباني القرائن وتحتها العلامات الإعرابية، والرتبة وزوائد العلاقة كالهمزة والتضعيف للتعدية وكأدوات العلاقات وكالتضام وأدوات الربط وهلم جرّا مما يعبر عن معاني نحوية صرف"[٢].

ويرى أن النظام النحوي للغة العربية ينبني على الأسس الآتية:

١- طائفة من المعاني النحوية العامة التي يسمونها معاني الجمل أو الأساليب.

٢- طائفة من المعاني النحوية الخاصة او معاني الأبواب المفردة كالفاعلية والمفعولية.

٣- مجموعة من العلاقات تربط بين المعاني الخاصة حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها كعلاقة الإسناد والتخصص والنسبة والتبعية وكل فرع وهي قرائن معنوية على معاني الأبواب الخاصة كالفاعلية والمفعولية.

٤- ما يقدمه علماء الصوتيات والصرف لعلم النحو من قرائن صوتية وصرفية كالحركات والحروف ومباني التقسيم ومباني التصريف ومباني القرائن اللفظية.

٥- القيم الخلافية او المقابلات بين أفراد كل عنصر مما سبق وبين بقية أفراده.

يرى الدكتور تمام حسان اللغة نظاماً، ولكل نظام ثوابته ومتغيراته، فالثوابت أطر دائمة لا غنى للنظام عنها، ولا يقوم بدونها. والمتغيرات لا تتصف بالدوام، وإنما تخضع لظروف تدعو الى تحولها في حدود اطر الثوابت وبشروطها الأولى كالإستراتيجية (الثوابت) والثانية كالتكتيك بحسب المتغيرات. وثوابت النحو العربي ثلاثة هي: أمن اللبس في المعنى وطلب الخفة في المبنى، والاطّراد أي نظام العربية

---

(١) نفسه ١٧٨.

(٢) اللغة العربية مبناها ومعناها ١٧٨، ١٦٤.

يُبنى على المعنى والمبنى والاطراد[١].

الدكتور تمام حسان من ابرز المعاصرين الذين حاولوا الكشف عن أنظمة اللغة العربية وربطها بالمعنى، إلا انه تناولها في ضوء المنهج الوصفي الحديث الغربي الدخيل على لغة القرآن وخصوصيتها فضلاً عن اعتماده على المتأخرين من النحاة كأبي البركات الأنباري في كتابه(الإنصاف في مسائل الخلاف). ولا سيّما في كتابه (اللغة العربية مبناها ومعناها) الذي عدّه أجرأ محاولة شاملة لإعادة ترتيب الفكر اللغوي تجري بعد سيبويه وعبد القاهر[٢] خلص الى تقسيم جديد للكلم العربية يقوم على فروق في المعنى والمبنى وتعدد المعنى الوظيفي لحروف المعاني والأدوات والضمائر تكشف عن الطابع المرن بل الاقتصادي لنظام اللغة الذي يصل بالقليل من العناصر اللفظية الى ما لا حصر له من المعاني بوساطة نقل العناصر من أحد أقسام الكلام الى آخر، كنقل (ما ومن وأي) من الموصولية الى الشرطية وحاول في كتبه الأخرى تفسير العدول على فكرة الأصل الذي قال بها النحاة والبلاغيون وحلّ نظام القرائن المعنوية محل العمل النحوي كقرينة الإعراب والتضام والرتبة النحوية وغيرها[٣]، ونتيجة للنقد الموجه إليه انبرى في كتابه (الخلاصة النحوية) ليقدم محاولة تطبيقية لنظريته بعد وقت طويل، أعاد فيها ترتيب أبواب النحو والصرف بحسب منهجه ونظريته يبدو للقارئ للوهلة الأولى انه تقسيم ملفق بين أنظمة اللغة المختلفة: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية فضلاً عما سمّاه المكملات والظواهر الإعرابية التي تناول فيها العدد والممنوع من الصرف والحكاية وإعراب المقصور والممدود مستخدماً الجداول والخطاطات كعادته. تناول ذلك كله باقتضاب من غير تفصيل فقد يختزل عدة أبواب في باب واحد موجز بأقل من صفحة. فضلاً عما أهمله من أبواباً وذكر أبواب دعا أكثر أصحاب التيسير النحوي المعاصر الى تركها او دمجها في أبواب أخرى[٤].

---

(١) الخلاصة ١٥.

(٢) الخلاصة ٦.

(٣) نفسه ٣٤ – ٣٥، ٤٣.

(٤) الخلاصة النحوية ٧ – ٨.

يسمح النظام النحوي بالتوسع من خلال المشابهة وحمل الكلام بعضه على بعض ويتصف بالمرونة والتداخل كنظام الـ Windows في الحاسوب بكثرة نوافذه التي يؤدي بعضها الى بعض والدخول إليه من أي نافذة وليس على شكل سلسلة وإنما منتشر متداخل الفروع متماسك كأبواب النحو التي تقوم على المشابهة والمرونة، لذلك نجد في كتب النحو كثرة الإحالات في هوامشها على الأبواب والمسائل والفروع وخير شاهد على ذلك كتاب (النحو الوافي) لعباس حسن الذي جاءت هوامشه وإحالاته أكثر من المتن الذي هو كالمفاتيح على دخول النظام النحوي.

وللأستاذ عباس المناصرة محاولة تكشف هذا النظام جلياً في كتابه (أطلس النحو العربي)[١]، فقد عرض النحو على شكل شجرة لها فروع تمثل أبواب النحو الرئيسة تتفرع منها فروع متصلة بعضها ببعض، عرضها على شكل مشجرات تمثل مسائل النحو ومكوناته، وان كانت محاولته معيارية تعليمية لأنه أراد ان ينظم أجزاء النحو المتناثرة ويربطها بنظامها الشامل للتلاميذ بدلاً من تناولها مشتتة في سنوات الدراسة. لكنها محاولة تدل على الترابط والتماسك بين أبواب النحو وفروعه ومسائله على وفق نظام رصين مطرد، كثير المداخل.

وكذلك محاولة العقيد الركن انطوان الدحداح في (معجم قواعد اللغة العربية في جداول ولوحات) وهو أوسع تناولاً وأكثر تفصيلاً وتطبيقاً وأشمل موضوعات وغيرها من الكتب النحوية التعليمية التي تكشف عن النظام النحوي المترابط الذي يقوم على التعاضد والمداخل والترابط وان لم تكن تقصد إليه قصداً بقدر هدفها التعليمي.

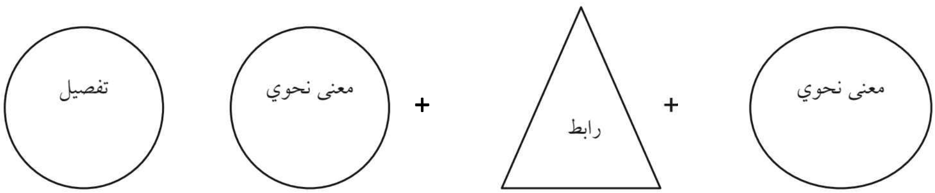
وهذا النظام كان سبباً لما امتازت به كتب النحو الأولى من التداخل والتكرار والاضطراب المنهجي أحيانا مثل كتاب سيبويه. والكتب التي لها صلة بأنظمة اللغة العربية (كدلائل الإعجاز) للإمام عبد القاهر و(الخصائص) لابن جني وغيرها، وكذلك في هذا البحث إذ ستتكرر الفكرة في أكثر من مبحث.

---

(١) تنظر الصفحة ١٢.

النظام النحوي يؤسس على مواقع محددة تسمى معانٍ نحوية أو وظائف اصطلح عليها النحاة بمصطلحات محددة كالإسناد والفاعلية والمفعولية والوصفية والتبعية وغيرها على وفق ترتيب مرن يسمح بتغيرات داخل نظامه مشابهة له وتعضده أنظمة أخرى كنظام الإعراب والربط والنظام الصرفي ونظام الإضافة والتعلق وغيرها.

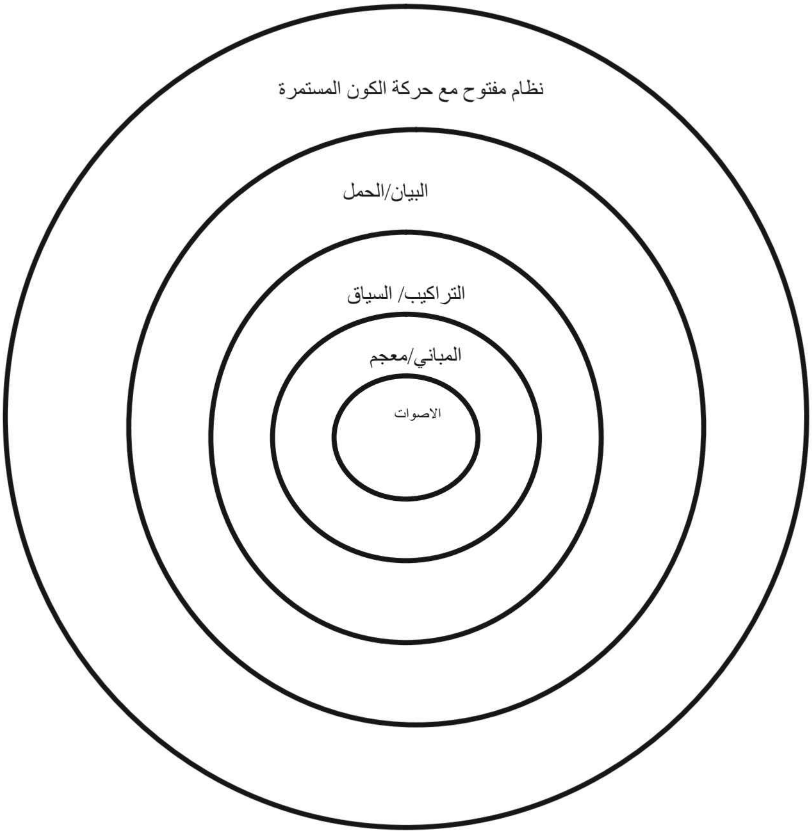
نظام مبني على أصول محدودة ثم يتوسع فيها باتجاهات عديدة بحسب المعنى المراد وان كان دقيقاً او ملمحاً او لغزاً او إبداعيا او ابلاغياً بتوسع هذه الأصول الى ما يشبهها وهذا الشبه قد يكون واضحاً جلياً كقواعد النحو ونظام الإعراب وقد يكون خفياً كالعدول في ضوء النظام نفسه.



فالأصل يركب من معنيين نحويين ورابط وتفصيل يزيد المعنى وضوحاً وبياناً كالتمييز والحال والنعت والتوابع الأخرى ثم يتوسع بإحلال معانٍ مختلفة بالموقعين النحويين او الوظيفتين او المعنيين وكذلك الرابط يتوسع فيه بإحلال روابط مختلفة كالأداة والضمير والحرف وحركات الإعراب التي تعضد النظام، وكذلك الأمر للتفصيل، وكل معنى نحوي او موقع تحل محله وظائف نحوية مختلفة كالفعل والاسم المبتدأ وما يشبهها من الأفعال الناقصة والأخرى المشبهة بالفعل في المعنى النحوي الأول. وتحل محل المعنى النحوي الثاني او الموقع معانٍ نحوية او وظائف متعددة كالمفعولية والخبرية وغيرهما، وتحل معانٍ نحوية مختلفة في (التفصيل) كالتبعية. ومهما يتوسع النظام فيقوم على مشابهة الأصل حتى الأساليب التي يختلف نظامها كالاستفهام والشرط والاستثناء والنداء وغيرها.

والنظام الصرفي يعتمد على النظامين الصوتي والدلالي والنظام النحوي يعتمد على الأنظمة الصوتي والصرفي والدلالي والنظام الاسلوبي يعتمد على أنظمة اللغة جميعها.

ص30



مخطط النظام اللغوي يمثل تلازمه وانتشاره وتداخله وارتباطه بعضه ببعض ليؤدي المعنى المتحرك بحسب تطور المجتمع والثقافات وغيرها. قال تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠ ﴾ (سورة يس: ٤٠)، أي في نظامه وليس الحركة خارج الفلك دائماً وإنما يسبح ضمن نظامه وفلكه والله اعلم.

إن البشرية تغيرت على وفق أحداث كبرى تبعتها تغيرات في التفكير والمعتقدات والعلوم واللغات وطرائق العيش والعادات وغيرها فالعلم اختلف مثلاً بعد الحروب العالمية وبعد الحرب الباردة وبعد الانفجار المعرفي وعصر الصناعة والكهرباء وأخرها شبكة الاتصال الالكترونية العالمية – (الانترنت). لكن نظام القرآن المفتوح استوعب كل هذه التغيرات وتحرك معها المعنى مع بقاء النص ثابتاً. ولولا هذا الأمر لفسّر النبي محمد ﷺ القرآن تفسيراً نهائياً، لذلك قالوا القرآن (حمّال أوجه). وقد خضعت اللغات المختلفة للتطور والتغيير إلّا النصّ القرآني كما نزل يحوي المتغيرات بسبب نظامه المعجز.

ونظام الإعراب يعضد هذه المعاني فيمنح لكل معنى حركة إعرابية الرفع للإسناد والفاعلية والفعل المعرب. والنصب للمفعولية وان أحدثتها عوامل ظاهرة او مقدرة فحملاً على الأصل، والجر للإضافة والجزم خاص بالأفعال ولكلٍ دلالته.

هذا أصل الإعراب وينوب عنه علامات فرعية في نفس معناه كالإعراب بالحروف والإعراب المقدر والمحلي الذي لا يظهر لدواعٍ صوتية، كالثقل والتعذر واشتغال المحل، فيحمل على الأصل في ضوء صفة الأطراد والانعكاس لنظام العربية.

أما البناء فغالباً لأسباب تخص اللفظة ولا سيّما الأدوات تلزم حركة بناء واحدة لكنها تقع في مواقع الإعراب المختلفة، ويقدر عليها النظام الإعرابي نفسه، هذا للبناء اللازم.

أما البناء العارض كالمنادى العلم واسم لا النافية للجنس ومركب الأعداد فسنرى انها محمولة على معانٍ نحوية اخرى تشبهها.

إن النظام الإعرابي أوضح أنظمة العربية لذلك أولاه النحويون جلّ عنايتهم. ان سعة النحو العربي لا يتضح بهذه العجالة وسيزداد الأمر وضوحاً فيما يأتي في هذا المبحث والمباحث الأخرى ان شاء الله.

أدرك علماء العربية القدامى نظام العربية الذي يختلف عن المنطق العقلي الذي خلط بينهما النحاة المتأخرون، وكان منهج الخليل بن احمد رحمه الله تعالى (١٧٥هـ) النحوي في معالجة النصّ القرآني يقوم على لحظ هذا النظام الذي يقوم

على مشابهة الكلام العربي بعضه ببعض وتعلق بعضه برقاب بعض. قال تلميذه سيبويه: "ومن كلامهم ان يشبهوا الشيء بالشيء وان لم يكن مثله في جميع الأشياء"[١].

وكان ; يفسر العدول عن القياس النحوي المنطقي لا اللغوي الذي يرد في النصّ القرآني في ضوء نظام العربية، وكان فهمه للقياس النحوي على هذا الفهم لذلك قالوا عنه انه صححّ القياس بعد أن جرّده ابن أبي اسحق وغيره أي جعله منطقياً عقلياً وليس لغوياً في ضوء الواقع الاستعمالي للغة.

فمن أقيسته بناء المنادى على الضم على بناء (قبلُ) و(بعدُ) على الضم في حالة إفرادهما وعدم تنوينهما ونصبه على حالة نصبهما[٢]، وجزم (إنْ) الفعل على جزم جواب الأمر[٣]. وهكذا كما سيمر بنا.

وكتاب سيبويه مليء بمعالجة العدول عن القياس العقلي المنطقي المجرّد نقلاً عن شيخه الخليل، الذي كان سيبويه يسأله عنه فيفسره في ضوء نظام العربية رابطاً إياه بالمعنى ذلك أن هذا النظام من خلال اتساعه يستوعب المعاني المختلفة ولا سيّما الدقيقة منها التي اختصّ بها كتاب الله تعالى. وهي ملامح أسلوبية تنطلق من حقيقة العربية ونظامها ويعد ذلك أهم تفسير للعدول اسلوبياً.

قال سيبويه: (هذا باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل اذا كان جواباً لأمر او نهي او استفهام او تمنٍ او عرضٍ) نحو (أتني أتِكَ، لا تفعلْ يكنْ خيراً لك، ألا تأتني أحدِثْك، أين تكن أزرْكَ، ألا ماءَ أشرْبهُ، ليته عندنا يُحدِّثْنا، ألا تنزل تُصِبْ خيراً).

قال الخليل: "كلها فيها معنى (إنْ) فلذلك انجزم الجواب. " ومما ورد منه في القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ ﴾ (سورة الصف: ١٠ – ١١) فلما انقضت الآية قال: (يغفر لكم)..." [٤].

(١) الكتاب١/ ٩٦ وينظر١/١٢٢، ١٨٢، ٢٧٨/٣، ٣٢٠. والاصول١/٩٣والخصائص١/١١٠.

(٢) كتاب سيبويه ١٩٩/٢.

(٣) نفسه ٦٢/٣ وينظر ٣٧٤/٣.

(٤) الكتاب ٩٨/٣.

إن للدلالة نظاماً مبنياً على أصول وفروع تناوله البلاغيون في علم البيان: فهي أما خبر أو إنشاء، أي طلب ثم تتفرع على المعاني المختلفة: استفهام وأمر ونداء وغيرها ثم تتركب مع غيرها من المعاني وتتداخل. ونظام العربية خير من يعبر عنها لأنه يتوسع بحسب تركيب المعاني وتشعبها فيعبر عن الشرط مثلاً بالأداة (إنْ) ثم تحمل عليها أدوات وأساليب أخرى للتعبير عن معاني إضافية فضلاً عن معنى (الشرط). كاجتماع الأمر والشرط في الجملة الأولى والنهي والشرط في الثانية والعرض والشرط في الثالثة والاستفهام الشرط في الرابعة وهكذا.

قال ابن جني: " من عادة العرب أنّهم يؤثرون التجانس والتشابه فلذلك حملوا الفرع على الأصل وردّه إليه، فمن ذلك حمل النصب على الجر في التثنية والجمع الذي على حدّه ألا ترى أنهم لما أعربوا بالحروف في التثنية والجمع الذي على حدّه، فأعطوا الرفع في التثنية الألف والرفع في الجمع الواو، والجر فيهما الياء، وبقي النصب... "[١]، فحملوه على الجر.

ومن ذلك حمل النصب على الجر في جمع المؤنث السالم نحو: (رأيت الهنداتِ)، مع قدرتهم على فتح التاء " فدلّ دخولهم تحت هذا، مع ان الحال لا تضطر إليه على إيثارهم واستحبابهم حمل الفرع على الأصل[٢].

قال ابن السراج: "وكثيراً ما يعملون الشيء عمل الشيء اذا أشبهه في اللفظ وان لم يكن مثله"[٣].

ومنه توكيد الفعل المضارع بعد (لا) النافية حملاً على لفظ (لا) الناهية[٤]. قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (سورة الأنفال: ٢٥)، ويعملون الشيء عمل الآخر للشبه المعنوي كأعمال (ما) عمل (ليس) لاشتراكهما في النفي، وحمل (أنْ) الناصبة على (ما) المصدرية في الإهمال، ولأنهما تكونان مع الفعل بعدهما بمنزلة المصدر، كما ان

(١) الخصائص ١/١١١، ٣٠٦.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) الاصول ١/٩٣.
(٤) ينظر: الخصائص ١/١١ ومغني اللهيب ٢/٤٧٦.

(ما) تكون مع الفعل بعدها بمنزلة المصدر. وحمل (إنَّ) وأخواتها على (الفعل) في العمل، لشبههما في اللفظ والمعنى والبناء على الفتح واقتضاءهما الاسم(١).

وغير ذلك الكثير مما ذكرته كتب النحو ولا سيّما المتأخرة منها وكتب أصول النحو. مما أخذه النحاة المعاصرون عليهم ولا سيّما أصحاب التيسير النحوي وعدّوه جدلاً ومنطقاً ينبغي رفعه من النحو، لكنه هو الذي ينبغي دراسة العربية في ضوئه لأنه يكشف لنا عن نظامها الدقيق ويفسّر لنا ظواهر لغوية كثيرة اختلف فيها النحاة كما سيمر بنا في باب (الحمل على المعنى).

يمكننا تلخيص أرضية التفكير النحوي عند النحاة بأنهم قاسوا المنصوبات على المفعول به، والمرفوعات على الفاعل، والضمير في البناء على الحروف لشبهه في قلة الحروف. والتوابع على المجاورة لما قبلها بسبب، والأسماء العاملة على الأفعال والممنوع من الصرف على الأفعال(٢).

هذا الذي ينبغي الالتفات إليه في الدرس النحوي العربي ذلك انه مرتبط بحقيقة اللغة العربية ونظامها الذي يرجع الى أصول ثم تتوسع في داخله، وهو مطّردٌ في النصّ القرآني.

وليس العربية مبنية على المشابهة الشكلية إنما على نظام دقيق بعضه واضح جلي وكثير منه خفي لا يستنبطه إلا العلماء كونه أسرار العربية، وبعضه يبدو لنا عدولاً عن القياس النحوي وانحرافاً إلا انه يقع في داخل النظام اللغوي للعربية نفسه ولكنه يحتاج الى تدبر وقد ورد في النص القرآني الكثير منه للتعبير عن معاني دقيقة لا تؤدى بالكلام المباشر.

ولا بدّ له من داعٍ يدعو إليه وهو التوسع في اللغة وفي المعنى بحيث تتسع العربية لتؤدي أي معنى كالمعاني المطلقة الإلهية. ويضيق فيعبر به العامة وبين ذلك درجات تلبي حاجة المبدع للتعبير عن تجربته النفسية بالمعاني المباشرة والمعاني الثانية وظلال المعاني من خلال استعمال فني إبداعي داخل النظام نفسه الذي هو مبني على المشابهة في كل مستوياته الصوتية والصرفية والنحوية والاسلوبية.

---

(١) ينظر: الإنصاف م٧٧ ص٢/ ٥٦٣، و٤٨٤، ٦٢٧، والحمل على المعنى في العربية ٧.

(٢) ينظر: أطلس النحو العربي، عباس المناصرة ٣٢.

فالمستوى النحوي مثل:

المحمول عليه	المحمول	السبب	الحكم
اسم الفاعل	الفعل المضارع	الشبه اللفظي من حيث عدد الحروف والإعراب والإسناد	الرفع
الحرف	الضمير	قلة الحروف	البناء
ما النافية	ليس	النفي	البناء
الفعل	إنّ المشبّه بالفعل	الشبه اللفظي واقتضاء الاسم	البناء
الفاعل	النائب عن الفاعل	الإسناد	الرفع

وقد ذكر النحاة ضروباً من القياس من هذا النوع يمكننا تتبعها في النحو كله.. وليس غرضنا الاستقصاء بل الاستدلال فإن ما يدل على التشابه في النحو ومسائله واقيسته في اقوال النحاة وخلافاتهم كثيرة كقول الكوفيين " ينتصب المستثنى لأنه مشبه بالمفعول ". وقولهم بالتقريب وهو ان يعمل اسم الاشارة عمل كان وغير ذلك كثير [(١)].

إلا ان مناهج المتأخرين والمعاصرين نأت في دراسة العربية عن هذا النظام.

أما المتأخرون فقد أسرفوا فيه لأدنى مشابهة، وفلسفوه وتناولوه تناولاً عقلياً لا فنياً اسلوبياً، ومزجوه بالمنطق الأرسطي فانحرفوا عمّا كان الأوائل عليه، وغالوا فيه وصار جزءاً من علم الجدل الذي اختلفوا فيه اختلافاً كبيراً وتناولوه في جدلهم وعللهم تناولاً منطقياً فانحرفوا عن حقيقته التي تكشف لنا عن أساليب العربية الفنية الدقيقة الجميلة.

فكانت العلل لديهم: علة شبه وعلة طرد، واختلفوا في حجية التعليل، وذكروا

---

(١) ينظر: مجالس ثعلب ٤٣/١ الإنصاف، مسألة ٢٣ ص١٨٥/١.

قوادح للعلة كثيرة أي أموراً تبطلها نحو: النقض وتخلف العكس، وعدم التأثير، والقول بالموجب وفساد الاعتبار، وفساد الوضع وهلم جرّا مما لا جدوى فيه [(١)].

لقد تناولوا النظام اللغوي الجميل تناولاً عقلياً منطقياً افقدوا روحه وحقيقته، على شكل أركان: مقيس ومقيس عليه او أصل وفرع وعله جامعة سبب المشابهة والحكم الذي هو وجه الشبه وفرّعوا الأخيرين فروعاً كثيرة، واشترطوا للمقيس عليه والمقيس شروطاً عقلية متأثرين بذلك بالمنطق الأرسطي.

وبعضهم كان تناوله أما جزئياً، أو مشتتاً هنا وهناك، او مختلطاً مع المنطق الأرسطي أو دراسته دراسة غير مباشرة على وفق مناهج وأسس لا تبنى على النظام العام كما في كتب الإعجاز وأساليب القرآن. وفي كتب أصول النحو كتجريد القياس.

فمن تناولهم الجزئي المشتت لنظام العربية في البلاغة باب الحمل على المعنى وفروعه الكثيرة، أما في النحو فتناولوه من خلال ظاهرة النيابة النحوية والتناوب والتضمين وغير ذلك. وظاهرة النيابة النحوية باب واسع يشمل ظواهر لغوية كثيرة بمستويات مختلفة فضلاً عن تداخلها مع الظواهر الأخرى من غير حدود فاصلة واضحة فهي مشتتة في أبواب المجاز والاتساع والحمل على المعنى.

وقد توسع الدكتور هادي نهر بهذه الظاهرة لتشمل كل مستويات اللغة وظواهرها وجعلها بديلاً من نظام العربية الذي نعنى به. قال: "نحن نألف هذه الظاهرة شاخصة في المستويات اللغوية كافة صرفاً ونحواً ودلالةً، فهي في الدرس الصرفي تستأثر بنصيب كبير في أبنية المصادر وأنواع المشتقات وجموع التكسير وموضوعات النسب والتصغير والتثنية والجمع وغير ذلك"[(٢)].

وقال في الدرس النحوي قلما نجد باباً من أبوب النحو يخلو من ذكر النيابة او ما اختلط بها وتداخل منها مصطلحات متعددة أمثال: العوض، التعويض، والبدل، الساد مسدّه والقائم مقامه، والاستغناء والتعاقب والإبدال والحمل والتأويل

---

(١) ينظر: لمع الأدلة ٥٨ - ٦٣ والأغراب في جدل الإعراب ٦٠ والاقتراح ١٥، والقياس في النحو، الزبيدي ٣٢.

(٢) النيابة النحوية في القرآن الكريم وأنماطها ودلالاتها ١٥ - ١٩.

والإيجاز والاختصار والحذف والاتساع والتجوز والمجاز وغيرها ثم تناول أبواب النحو والصرف في ضوء النيابة متوسعاً بها كنيابة الحروف عن الأفعال والأسماء نحو: يا عبد الله، تنوب عن ادعوا أو أنادي لدى النحاة و(إلّا) تنوب عن الفعل (أستثني) و(الواو) عن (أعطف) وليت عن (أتمنى) و(هل) عن (استفهم) و(ما) عن (انفي) وغير ذلك. ونيابة الحروف عن الأسماء كنيابة (عن) عن جانب و(على) عن فوق و(إلا) عن (غير). وفي باب المرفوعات، كنيابة المبتدأ عن الفعل ونيابة المصدر عن الذات الواقع خبراً او نيابة الحال عن الخبر، ونائب الفاعل، والنيابة في الموصولات الاسمية، وفي باب المصدر وهو باب واسع وفروع كثيرة والنيابة في باب المفعول فيه والمضاف إليه عن المضاف ونيابة الجمل، والنيابة في الأفعال، كالاسم عن الفعل واسم الفعل عن الفعل وغير ذلك متوسعاً بذلك ومعتمداً على تأويلات النحاة وتقديراتهم وفلسفتهم وشواهدهم المؤولة كنيابة (الحمد لله) عن (احمد الله)، وهو موضوع نحوي وليس اسلوبياً كما في تناوب حروف الجر بعضها عن بعض الذي ردّها متابعاً للبصريين، والقول بتضمين الفعل معنى فعل آخر كما سيمر بنا[1].

أمَّا خلطه بالمنطق وأصول الفقه فبمباحثهم في أصول النحو كالجواز والتقدير وتجريد القياس واستصحاب الحال، ونظرية العامل، وركزوا على النظام الإعرابي خاصة لكونه أظهرها وهو جزء من النظام العام للعربية تابع له يعضده وقولهم بالإعراب المحلي والمقدّر، إذ قالوا بسريان النظام الإعرابي وأثر العوامل وان لم تظهر الحركة الإعرابية فيقدروها.

وتقدير العوامل، ونيابة بعضها عن بعض كنيابة (لو) عن الفعل و(يا) عن (أدعو) في النداء، ونيابة الجملة الفعلية عن الخبر وغيرها مما هو كثير ومقيس ومما يعدّ بعضه عدولاً عن أقيستهم النحوية وغيره[2].

وقد ذكر أبو البركات في ما نقله من أصول الفقه الى أصول النحو: (استصحاب الحال) فقد جمع أقوال النحاة مما يتصل بهذا النظام مختلطاً بالمنطق

(١) النيابة النحوية ٧٤. وينظر: اعراب القرآن، الدرويش ٣/ ٣١٦.

(٢) ينظر: النيابة النحوية، د. هادي نهر ٩.

نحو قولهم: الأصل في الأسماء ان لا تعمل واصل العمل للأفعال، والأصل في الجزاء ان يكون بالحرف، والأصل في الأسماء التنكير والجمع فرع على الواحد، والأصل في الأسماء الصرف، والأصل في الأفعال البناء، والأصل في البناء ان يكون على السكون، وأصل كان الناقصة التمام، والأصل في الفعل الدلالة على الحدث والزمان(١).

وغير ذلك مما جمعه من كتب المتقدمين(٢) ويدل على النظام والتشابه الاسلوبي في العربية إلا انه ورد مختلطاً بالمنطق وعلم الجدل.

ومنه قولهم الحمل على الضد والنقيض وحمل الأصل على الفرع، أي حملاً معكوساً وقد يدل على مرونة نظام العربية وكثرة مداخله وان كان معكوساً، ومن الأصول النحوية التي ذكروها: "الحمل على ماله نظير أولى من الحمل على ما ليس له نظير". و(الحمل على أحسن القبيحين) و(الحمل على الأكثر أولى من الحمل على الأقل). و(الحمل على الظاهر) و(الحمل على أحسن الوجوه)... وغير ذلك(٣).

وتناولوه بمناهج مختلفة وأسامي مغايره نحو: (خلع الأدلة) ويريدون به تجريدها من المعاني المعروفة لها وإرادة معان أخر لها كخلع أدلة تعريف (أل) في نداء لفظ الجلالة(٤). ونحو باب (السلب) أي سلب معنى الفعل وسلب معاني أسماء الاستفهام والشرط في (كم ومن وأي وغيرها)(٥).

و(تقارض اللفظين)(٦) كإعطاء (غير) حكم (إلا) في الاستثناء بها، وإعطاء (إلا) حكم غير في الوصف بها. وإعطاء (إذا) حكم (متى) في الجزم بها وإهمال

---

(١) ينظر: الإنصاف، المسائل ٥، ١١، ١٨، ٢٢، ٩١، ١٠٦، ١١٦، ص١/ ٤٦، ٧٨، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٧، ٢/٦٤٤، ٧٣٥، ٨٠٧، ٨٢٦، وغيرها. وارتقاء السيادة في علم أصول النحو ٥٧.

(٢) كتاب سيبويه ١/١٤٢، ٢٧٦/٤٢، المقتضب ١/١٤٢، الأصول لابن السراج ١/٥٠، ١٢٣.

(٣) ينظر: الخصائص ٢٥٩، ٤٤٠، ٤٦٦، ٣/٧٧. والأشباه والنظائر ١/ ١٣٨، ١٧٩، ١٩٨، ٢٠٢، ٣١١، ٣٢١. والحمل على المعنى في العربية ٧. والحمل على النقيض في الاستعمال العربي ٣٣٧.

(٤) الخصائص ١/ ١٨١ والأشباه والنظائر ١/٢٠٢.

(٥) الخصائص ٣ /٧٧.

(٦) مغني اللبيب ٢/٥١٧ – ٥٢١.

(متى) حملاً على (إذا)، وإعطاء (ما) النافية حكم (ليس) في الاعمال، واعطاء (ليس) حكم (ما) في الاهمال عند انتقاض النفي بـ(إلّا) كقولهم: (ليس الطيب إلا المسك) وإعطاء الفاعل إعراب المفعول وعكسه كقولهم (خرق الثوبُ المسمارَ)، ومنها تناوب حروف الجر وهو باب واسع سنفرد له مبحثاً ان شاء الله.

ومنه ما يدخل في الخلافات النحوية بين المذهبين البصري والكوفي نحو (الحمل على أحسن القبيحين)، قال ابن جني: "وذلك أنَّ تَحضُرَك الحال الى ضرورتين لا بدّ من ارتكاب أحداهما، فينبغي حينئذٍ ان تحمل على أقربهما واقلهما فحشاً نحو (هذا قائماً رجل) و(فيها قائماً رجلٌ) فإما ترفع (قائماً) فيتقدم الصفة على الموصوف، وهذا غير جائز، واما ان تنصبه على الحال من النكرة وهذا قبيح لكنه جائز، فعملنا على أحسن القبيحين"[1]. وهو رأي سيبويه خلافاً للكوفيين[2].

ومنه (حمل الأصول على الفروع) كاستواء النصب والجر في المظهر نحو: (رأيت الزيدين ومررت بالزيدين). ومنه حذف حرف العلة في الجزم وهي أصول حملاً على حذف الحركات وهي زوائد نحو (لم يخشَ) و(لم يذهبْ)، وحمل الجر على النصب في الممنوع من الصرف إذ الأصل أن يُجر الممنوع من الصرف لكن الجر حمل على النصب فنصب في حالة الجر[3]. ومنه ما سمّوه (بالاستغناء) كاستغناؤهم عن تثنية (سواء) بتثنية (سيّ) فقالوا: (سيان) ولم يقولوا (سواءان) [4].

وغير ذلك مما شوّه نظام العربية وانحرف به الى درس جافٍ يفقد جمال العربية وحيويتها ويفقد أسرارها وإعجازها.

وكان ابن جني مسؤولاً عن هذا المنهج في تناول نظام العربية تناولاً عقلياً منطقياً افقدها جمالها وأسرارها الاسلوبية. ولا سيّما في كتابه (الخصائص). وخلط بين لغة القرآن التي استعملت هذا النظام استعمالاً دقيقاً وبين القراءات القرآنية واللهجات ولا سيّما الشواذ منها والضرورات الشعرية، وعدّها كلها مستوى لغوياً

---

(١) الخصائص ١/ ٢١٢، والاشباه والنظائر ٣٨/١.

(٢) الكتاب ٢٧٨/١، ومجالس ثعلب ٤٣/١.

(٣) الخصائص ١/ ٣١٠، ٣٠٦.

(٤) الاشباه والنظائر ٣١٠/١، ٣٠٦.

واحداً. ومن جاء بعده بنى على دراساته العقلية فكثرت التعليلات والتأويلات المنطقية وابتعدوا كثيراً عن نظام اللغة العربية، إذ كان يستشهد كثيراً للنّص القرآني بالضرورات واللهجات والانحرافات اللغوية[١].

أما التناول الجزئي فكاهتمامهم بالنظام الإعرابي وتغليبه على أنظمة العربية الأخرى كالنظام اللغوي والبلاغي، ولا سيّما لدى المتأخرين من النحاة كابن هشام والسيوطي وغيرهما.

ومنهم من اهتم بما سمّوه بـ(الكليات في النحو) وهو مصطلح اقرب الى المنطق اللغوي لا الواقع الاستعمالي، نحو قولهم: كل فاعل مرفوع، وكل مفعول منصوب وكل مضاف مجرور (لفظاً او تقديراً) وهكذا، وان كانت طريقة ميسرة في التعليم في إعطاء قواعد كلية شاملة مطّردة، وتدل على الاستقصاء والشمول والإحصاء والتتبع الدقيق ثم الاستنباط، لكنها لا تطرد مع نظام العربية دائماً ولا تستمر كما سنرى في النظام الإبداعي (البلاغي). وقد ذكر الكفوي مئات القواعد الكلية ولا سيّما في آخر كتابه (الكليات في النحو)[٢]، وكان الاخفش الأوسط سعيد ابن مسعدة استعملها في بحوثه القرآنية فتوصل الى قواعد كلية عرف بها نحو كل شيء في القرآن قوله (حقاً) انما هو (أحق ذلك حقاً). وكل ما كان بدلاً من اللفظ بالفعل فهو نصب بذلك الفعل، وكل شيء بعد القول فهو حكاية، وكل شيء في القرآن (أو) فللتخيير إلا قوله تعالى: ﴿ أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ ﴾[٣]، وغير ذلك.

ومن التناول الجزئي لهذا النظام ما تناوله علماء الإعجاز القرآني الذين تناولوا النظم القرآني وأساليبه كالخطابي والباقلاني والقاضي عبد الجبار لإثبات وجه الإعجاز بنظمه والذي استوت لدى عبد القاهر الجرجاني نظرية مشهورة ما زالت، تكشف عن جوانب هذا النظام وليست كله ولا سيّما إنهم انطلقوا من البحث في وجه إعجاز القرآن من ردّ المطاعن التي كانت توجه لاسلوب القرآن ولغته ولم

(١) ذكرنا تفصيلات عن ذلك في بحثنا (المخطوط) : (الطعن الخفي لدى ابن جني).

(٢) ينظر: الكليات ٢٠٣.

(٣) ينظر: منهج الاخفش الاوسط، الورد ٣٣٤ - ٣٦٤، وتاريخ النحو العربي بين المشرق والمغرب ١٤٢.

تكن غايتهم دراسة هذا النظام اللغوي وربطه بالنظام القرآني وقد ولد منها علم المعاني الذي يفترض خروقات النظام المنطقي العقلي وليس النظام للواقع الاستعمالي كالتقديم والتأخير والتنكير والتعريف والذكر والحذف وغيرها من المباحث التي عدّوها أساس علم المعاني والحق ان النظام البياني او البلاغي للغة العربية هو نفسه النظام النحوي إلا انه يوّلد تراكيب جديدة وأساليب في ضوء النظام نفسه كما سنرى.

وهذا التناول الجزئي أيضا تناولته كتب نحوية ولغوية وصرفية مختلفة نحو الجمهرة لابن دريد وما تناوله من اشتقاق أسماء القبائل وردها الى أصولها أي النظام اللغوي(١). وتأثر ابن فارس به في معجمه (مقاييس اللغة) الذي أرجع المواد اللغوية الى معنى مشترك، قال "إنّ للغة العرب قياساً وان العرب تشقّ يعض كلامها من بعض"(٢). وقال في مقدمة معجمه المذكور: "إن للغة العرب مقاييس صحيحة وأصولا تتفرع منها فروع، وقد ألف الناس في جوامع اللغة ما ألفوا ولم يُعربوا في شيء عن ذلك عن مقاييس من تلك المقاييس ولا اصل من الأصول، والذي أومأنا إليه باب من العلم جليل، وله خطر عظيم، وقد صدّرنا كل فصل بأصله الذي يتفرع منه مسائله حتى تكون الجملة الموجزة شاملة للتفصيل، ويكون المجيب عمّا يَسأل عنه مجيباً عن الباب المبسوط بأوجز لفظ وأقربه"(٣).

وان كان ما ذكرناه لدى النحاة من تناول جزئي للنظام وخلطه بالمنطق، يعدّ دلائل واضحة على النظام الذي اختصت به العربية، إلا ان المعاصرين قد أهملوا هذا النظام عن قصدٍ وغير قصد لأسباب مختلفة، منهم لاعتماده وبنائه على المتأخرين من غير تحقيق وتدبر وملاحظة دقيقة ومعالجة جذرية لدراساتهم والتحقق منها، وكان المتأخرون بنوا دراساتهم على مناهج الدرس النحوي والدراسة الشكلية للنص القرآني في دراسات القرن الرابع الهجري ولا سيّما كتب ابن جني التي خلطت بين نظام العربية والعلوم العقلية وأصول الفقه.

---

(١) ينظر: الجمهرة ٢٣.

(٢) مقاييس اللغة ١/ ٣٩.

(٣) مقاييس اللغة ١/١.

ومنهم من تأثر بالمناهج الغربية ودراساتهم اللغوية التي استنبطوها من واقع لغوي وأنظمة لغوية تختلف اختلافاً كبيراً عن نظام اللغة العربية الذي نزل به القرآن الكريم، وان التقت في الأطر العامة كون العربية لغة إنسانية وقد أثرت وتأثرت باللغات الأخرى في تاريخها الطويل.

فقد أخذ جلّ المعاصرين مآخذ كثيرة على الموروث النحوي ولا سيّما على أقوالهم التي تتصل بنظام العربية كقياس العلة واستصحاب الحال ونظرية العامل والتعليل النحوي [١].

وبعضهم دعا الى إهمالها لأنها سببٌ في تعسير النحو والخروج به عن جادته العلمية الرصينة لكنهم لم يقدّموا بديلاً نحوياً يبنى على نظام العربية مرتبطاً بالنظام القرآني حتى اولئك الذين دعوا الى (النحو القرآني) [٢].

لذلك ارتفعت اليوم اصواتٌ ما كان لها ان ترتفع لولا الانحرافات القديمة والمعاصرة في الدراسات النحوية وعدم بناء نحو جديد يقوم على هذا النظام فدعوا الى هدم النحو واستباحوا حرمة سيبويه وشيوخه الذين حاولوا بناء النحو على وفق نظام العربية[٣].

---

(١) ينظر: الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير: ٩٣ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه: ٦٩.

(٣) نحو كتاب (جناية سيبويه) وكتاب نظرية (النحو العربي) د. كمال شاهين وغيرهما.

المبحث الرابع

المدارس النحوية رؤية جديدة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد.

فلا بدّ للباحث قبل مناقشة حقيقة المدارس النحوية ومسائل الخلاف بينها، من تحديد مدلولات ثلاثة مصطلحات يكثر تداولها بين الباحثين هي: *(المنهج، والمذهب، والمدرسة)*.

المنهج:

هو الاتجاه أو الطريقة التي يسلكها النحوي أو مجموعة من النحاة في بحوثهم مسائل النحو واللغة، وغالبا ما يتضح بعد أكتماله كالمذاهب الادبية المشهورة، الرومانسية والكلاسيكية وغيرها.

قال لانسون وهو يتحدث عن منهج الادب: «ليس المنهج الذي أحاول أن أعطي فكرة عنه من أبتكاري وما هو الا نتيجة لتفكيري في الخطة التي جرى عليها عدد من سابقّية ومعاصريّة، بل واللاحقين من الناشئين»[1].

فهو إذن موقف يلتزم به مجموعة من العلماء في عصر واحد إزاء نشاطات المتقدمين وآرائهم المختلفة[2].

المذهب:

دلالة هذا المصطلح هي دلالة المصطلح السابق نفسه، إلا أن القدامى استخدموه دون السابق، وكان يعني عندهم (الخلاف)، فقالوا: مذهب البصريين

---

(١) النقد المنهجي عند العرب ٣٨٧.

(٢) مناهج واتجاهات الدراسات النحوية، مجلة آداب المستنصرية ع٢ / ص ٢٤٥.

ومذهب الكوفيين أو مذهب أحد النحاة مثل مذهب سيبويه ومذهب الفراء[١].... الخ.

أما انا فأميل الى استخدام هذا المصطلح دون المصطلحين الآخرين، متابعة للقدامى أولا، ولانعدام الفرق بينها[٢] ثانيا، الا أن مصطلح مدرسة قد يكون أوسع معنى، اذ يتصور سامعه أنه: «طائفة من أولي العلم الواحد او الفن الواحد، تجمعهم وحدة أصوله، ومناهج البحث فيه وان تعددت اوطانهم واختلفت أجناسهم ومهما تنوعت شخصياتهم العلمية، وتباعدت آراؤهم في الفروع والتفاصيل» [٣].

فضلا عن ذلك فإن أصل كلمة (مدرسة)، مترجم عن الفرنسية [٤]، وتعني عندهم ما كان يعني به العرب بكلمة مذهب [٥]، لكن المعاصرين استحسنوا مصطلح: (مدرسة) فاستخدموه في مادة الخلاف النحوي وفي قضايا أدبية أخرى، مثل طه حسين والعقاد والمازني وشوقي ضيف، وغيرهم فقالوا: مدرسة أوس بن حجر، ومدرسة الديوان، والمدارس النحوية.. وهكذا [٦].

المدرسة:

اختلف في تحديد مدلول هذا المصطلح، وفي وجوده أيضاً، فمنهم من نفى اطلاقه عند القدامى والمعاصرين، ومنهم من نفى وجوده قديما فقط، ومنهم من لم ينفِ وجوده لا قديما ولا حديثا [٧].

ويبدو أن العرب القدامى لم يستخدموا كلمة (مدرسة). وأنّهم استخدموا

---

(١) ينظر: المدارس النحوية، اسطورة وواقع ١٣.

(٢) المدارس النحوية، خديجة الحديثي ٣٠، ومعجم المصطلحات النحوية والصرفية ٨٦.

(٣) نقد الأستاذ علي النجدي ناصف لكتاب شوقي ضيف (المدارس النحوية) مجلة المجمع/دمشق، ج٢٥ / ١٩٦٩، والبحث اللغوي عند العرب ٩٠.

(٤) المدارس النحوية اسطورة وواقع ٥٦.

(٥) المصدر نفسه ١١٩.

(٦) المصدر نفسه ١٢.

(٧) ينظر: الاتجاهات النحوية الحديثة ١ – ٣، وأبو زكريا الفراء ٥١١، المدارس النجوية، د. خديجة الحديثي (مقدمة الكتاب)، والمدارس النحوية اسطورة وواقع ١٢، ١٣٩، وابن الحاجب النحوي ٢٧ – ٥١.

كلمة (مذهب) نسبة الى البلد، وكان ابن النديم أول من استخدمه في التقسيم، وغالبا مع البغداديين الذين خلطوا المذهبين وأول من استخدم مصطلح (مدرسة) هم المعاصرون، وقد سبق الى ذلك المستشرقون من أمثال بروكلمان وفايل ثم الباحثون العرب: المخزومي، وضيف، وعبد الرحمن السيد... وغيرهم [١].

هل هناك مدارس نحوية ؟ !

إنّ الخلاف في هذا لا يكاد يُصدّق لكثرته وتشعباته الكثيرة المتناقضة والمضطربة، حتى يمكن للناظر أنْ يتخذ ذلك سببا لرفضه فكرة المدارس.

لقد كان المستشرقون أول من بحث في ذلك، ثم تبعهم الباحثون العرب المعاصرون مثل: محمد طنطاوي في كتابه (نشأة النحو) عام ١٩٣٨ وضيف في كتابه (المدارس النحوية) عام ١٩٦٨ وغيرهما...

ويمكننا تقسيم هذه الآراء على ثلاث طوائف:

أولا: طائفة أقرّت وجود المذاهب، وهم جمهور القدامى[٢] والغالبية العظمى من المعاصرين منهم:

الدكتور شوقي ضيف [٣]، فقد اتخذ التوزيع الجغرافي معيارا لتقسيمه المدارس، وهذا ما فعله القدامى، لا سيّما المتقدمون منهم اذ كانوا ينسبون النحاة الى بلدانهم بحسب الأقاليم[٤].

والدكتورة خديجة الحديثي: بعد أنْ عرضت الآراء في ذلك قديما وحديثا –

---

(١) ينظر: تفصيل ذلك: المدارس النحوية، د. خديجة الحديثي ٧ – ١٧.

(٢) ينظر: طيقات الزبيدي (٣٧٩ هـ)، ص ١٢٠، ١٦٨، ١٧٠. ونورالقبس للمرزباني (٣٨٤ هـ)، والفهرست لابن النديم(٣٨٥هـ)، ٦٥، والنزهة لأبي البركات (٨٥ هـ)، وإنباه الرواة للقفطي ١/ ٢٥٢.

(٣) المدارس النحوية ٥، وقد نقد كتابه غير واحد مثل: الأستاذ علي النجدي ناصف /مجلة مجمع اللغة العربية / دمشق ج ٢٥ نوفمبر ١٩٦٩ ص ١٧٨ – ١٨٩، والدكتور محمد إبراهيم البنا، مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي / جامعة ام القرى / كلية الشريعة ص ٥٨٥ وما بعدها ع٥ / سنة ١٤٠٢ هـ.

(٤) ينظر: طبقات فحول الشعراء، ابن سلّام(٢٣١هـ) ١ / ١٢، ومراتب النحويين، وأبو الطيب اللغوي (٣٥١هـ)١٠٢، وأخبار النحويين البصريين، السيرافي ٢٥، ٣٩، ١٨، ١٤١.

انتهت الى أنْ المذاهب النحوية حقيقة لا تنكر وقد أقرت التوزيع الجغرافي [١].

أمّا الدكتور أحمد مختار عمر، فلم يرتض المعيار الجغرافي أساسا للتقسيم المدرسي، لكنه أقرّ بوجود المدارس أو المذاهب النحوية[٢].

وغير هؤلاء، ولا سيما أصحاب الدراسات الذين تابعوا القدامى في كل شيء من دون رؤية جديدة ودراسة عميقة ونظر ثاقب. والذي نعجب له أنّ بعضهم لم يكتف بإقرار المدارس متابعة للمتأخرين بل زاد على تبعيته فتعصّب لأحدى المدارس لا سيما البصرية مثل سعيد الافغاني [٣]، والأستاذ طه الراوي[٤] وغيرهما كثير [٥]. وأنّ بعضهم نسبَ بعض المعاصرين الى تلك المدارس المزعومة [٦]، وثمة طائفة من الدارسين أقرّت وجود المدارس، لكنّهم أنكروا المبالغة في القول بالتنافس بين المدارس والمغالاة في تصويره [٧].

ثانيا: وطائفة نفت وجود المدارس، وقد سبق الى ذلك فايل من المستشرقين[٨]. وتابعه باريه [٩]. ثم تابعهما بعض الدارسين العرب، منهم: د. محمد

---

(١) المدارس النحوية ٤، ٢٨.

(٢) ينظر: البحث اللغوي عند العرب ٩١ – ٩٩. والعربية والغموض ٤٢.

(٣) ينظر: من تاريخ النحو ٤٦، ٦١، ٧٢، ٧٥، ٩٤.

(٤) ينظر: تاريخ العلوم العربية ١٢٢.

(٥) ينظر مثلا: (مقالات في النحو العربي) طه عبد الحميد طه، القسم الثاني، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس ١٩٦٨ ص١ – ٦٢. واللغة العربية وعلومها، عمر رضا كحالة ١١٦. واسرار النحو لابن كمال باشا (مقدمة التحقيق) ٣٩.

(٦) منهم: د. محمد عبد المطلب البكاء في كتابه: (مصطفى جواد وجهوده اللغوية) ٧٩، ٢٤٢. وكريم أحمد جواد في رسالة الماجستير: (محمد عبد الخالق عضيمة وجهوده اللغوية) ٨٨ – ١٠٢.

(٧) منهم: د. عبد الفتاح الدجّني في كتابه: (ظاهرة الشذوذ في النحو العربي) ٣٢٩. ود. أحمد ماهر البقري في كتابه (نحاة ومناهج)٢٠. وغيرهما.

(٨) ينظر: الدرس النحوي في بغداد ١٩٢، وأبو زكريا الفرّاء ١٥٤، نقلا عن مقدمة تحقيق كتاب (الإنصاف) لفايل.

(٩) ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، مادة (ثعلب)، الطبعة الأولى العربية ١ / ٢٠٠.

خير الحلواني[١]، ود. كمال محمد بشر[٢]، ود. علي أبو المكارم[٣]. ود. إبراهيم السامرائي، [٤] ود. عدنان محمد سلمان [٥]، وغيرهم كثير [٦].

ثالثا: وطائفة نفت بعض المدارس وأقرت بعضها الاخر، كما فعل المخزومي في حماسته للمذهب الكوفي ودعوته الى احيائه، وعده حلا لجميع المشكلات النحوية التي تواجه الدارس والتلميذ في الدراسة النحوية. وهاجم الذين أخذوا على الكوفيين مأخذ خاصة المتأخرين الذين أهملوا وشوهوا مذهبهم، وأتهموهم بالضعف[٧].

و هو اندفاع وتحمس شديدان عمّقا فكرة المدارس وأخذا شكلا من أشكال التعصب القديم واثارا جدلا طويلا لا سيّما بينه وبين الدكتور إبراهيم السامرائي، [٨] وقد هاجم المخزومي المعاصرين أيضاً [٩] الذين تابعوا المتأخرين في ذلك مثل: أحمد أمين[١٠]، وعبد الرحمن السيد[١١]، وطه الرواي[١٢]،

(١) ينظر: كتاب الإنصاف والخلاف النحوي ٥٦.

(٢) ينظر: دراسات في علم اللغة، القسم الثاني ٦١.

(٣) ينظر: تقويم الفكر النحوي ٢٤٣.

(٤) ينظر: النحو العربي نقد وبناء ٣٣. والمدارس النحوية اسطورة وواقع ١٥٩، و(ألنا مدارس نحوية) مجلة المجمع الاردني ع ٣١ - ٣٢ المزدوج، وهو ردّ على المخزومي الذي تحمس للمدرسة الكوفية، وقد ردّه د. نعمة العزاوي بدلاً من الدكتور المخزومي في جريدة الجمهورية الخميس١٢/تموز/١٩٩٠.

(٥) ينظر: مقال العزاوي المذكور، في الهامش السابق.

(٦) ينظر مثلا: النحو العربي مذاهبه وتيسيره ٥٣. والمسائل الخلافية في كتاب الاصول ٩.

(٧) ينظر: مدرسة الكوفة٩١، ١٠٩، والدرس النحوي في بغداد ٨٥.

(٨) ينظر: (ألنا مدارس النحوية) مجلة المجمع الاردني، العدد المزدوج ٣١، ٣٢. ورد الدكتور مهدي المخزومي: (عود الى المدارس النحوية)، وقد نشر كلا البحثين الدكتور إبراهيم السامرائي في نهاية كتابه (المدارس النحوية اسطورة وواقع) ١٥٩، وقال د. طارق الجنابي ان بحث المخزومي لم ينشر كما هو في آخر كتاب السامرائي.

(٩) ينظر: الدرس النحوي في بغداد ٨٦ - ١٠٥.

(١٠) ضحى الإسلام ٢/٢٩٦.

(١١) مدرسة البصرة النحوية ١٤٦، ١٥١.

(١٢) تاريخ علوم العربية ٤٩.

وسعيد الأفغاني[١]، وشوقي ضيف... [٢]وغيرهم. ونفى وجود المدارس عدا البصرية والكوفية. وساق أدلّة كثيرة على ذلك، لا سيّما لنفيه البغدادية [٣]، وناقش حجج من دافع عن وجودها كما سيمر بنا [٤].

ورأى باحث آخر: أن «التسليم بوجود مذهبين نحويين بصري والآخر كوفي أمر يقره التاريخ اللغوي وتشهد به الاثار العلمية لكلا الفريقيين ولكن الجدير بالانكار هو وجود مذهب بغدادي وآخر شامي وثالث مصري ورابع أندلسي»[٥].

وفريق آخر اثبت وجود ثلاثة مذاهب هي: - البصري والكوفي والبغدادي، ومن هؤلاء: بروكلمان على الرغم من تلميحه بعدم دقة فكرة المدارس[٦]. وأحمد أمين أيضاً[٧]. والشيخ محمد الطنطاوي[٨]، والأستاذ سعيد الأفغاني[٩]، والدكتور أحمد مكي الأنصاري[١٠]. والدكتور محمود حسني[١١]، الذي دافع كثيرا عن المذهب البغدادي.

وفريق آخر أقر وجود أربعة مذاهب: البصري والكوفي والمصري والأندلسي، ونفى وجود المذهب البغدادي، واختلفوا في ذلك كثيرا كما سيمر بنا.

---

(١) في اصول النحو ١٨٨.

(٢) المدارس النحوية ٩٥.

(٣) ينظر: الدرس النحوي في بغداد ٦، ١٢٦، ١٥٢ لكنه أقر وجود البغدادية في كتابه: مدرسة الكوفة ٩١، ١٠٩.

(٤) تنظر الصفحة ٢٥ من الرسالة.

(٥) (ألنا مدارس نحوية ؟، على هامش ندوة جامعة الكوفة) د. نعمة العزاوي، الجمهورية، الخميس ١٢ تموز ١٩٩٠. ومن الذين أقرّوا وجود مدرستين حسب: الأستاذ علي النجدي ناصف في رده على كتاب ضيف(المدارس النحوية) مجلة المجمع - دمشق، ج٢٥/١٩٦٩. وفيصل أحمد فؤاد في رسالته (الاتجاهات النحوية الحديثة) ٨.

(٦) بروكلمان ٢٢١ - ١٢٥.

(٧) ضحى الإسلام ٢ / ٢٩٤ - ٢٩٨.

(٨) نشأة النحو ١٣٥.

(٩) في اصول النحو ٧٩. وبحثه في مجلة الدراسات الإسلامية - مدريد، وقد تناول في كتابه (من تاريخ النحو) المذاهب الثلاثة فقط.

(١٠) أبو زكريا الفراء ٣٦٣ - ٣٩٣.

(١١) المدرسة البغدادية ٦٠ - ٧٥، ١١٧، ١١٩.

وثمة آراء اخرى لا تنتمي الى ما ذكرنا من آراء، فقد زاد بعضهم مذاهب اخرى غير التي ذكرنا مثل: أبو بكر الزبيدي فقد زاد مذهب (القرويين)(١) ولم يذكر البغداديين، وذكر ابن برهان العكبري (المدينة)(٢)، ومن المعاصرين: د. هادي عطيه مطر فقد زاد المذهب اليمني (٣)، وزاد د. حسن عون (٤). مدرستي الشام وما وراء النهر.

هذه خلاصة الآراء التي ذكرت في هذه القضية، وثمة أقوال أخرى سنذكرها في أثناء المباحث القادمة وهي متعددة، متفرعة، مضطربة، تدعو الى اعادة النظر في قضية المدارس النحوية، ودراستها دراسة جديدة، وهذا ما سنقوم به في هذا الفصل. وسنسوق أولا الأدلة على نفي وجود المدارس النحوية ثم نقدم رأينا في ذلك.

دلائل نفي وجود المدارس النحوية.

أولا: - كثرة اختلاف الدارسين - قدامى ومعاصرين - في وجود المدارس النحوية او بعضها على الرغم من اقرار القدامى بالمذهب الكوفي مثلا (٥)، فقد شكّ عددٌ من المعاصرين منهم: المستشرق فايل والأستاذ باريه وبروكلمان وإبراهيم السامرائي وغيرهم (٦) في حين أقرّ وجوده عدد آخر من الدارسين على رأسهم الدكتور مهدي المخزومي كبير المدافعين عنه والدكتور شوقي ضيف والدكتورة خديجة الحديثي والدكتور عبد العال سالم مكرّم والدكتور محمد حسين آل ياسين وكريم سلمان الحمد(٧).

(١) ينظر: طبقات النحويين واللغويين ٢٢٥ وما بعدها.

(٢) شرح اللمع ١/١.

(٣) في كتابه: نشأة الدراسات النحوية في اليمن وتطوّرها ٥.

(٤) ينظر: قضية النحو والنحاة جهل أم حذلقة أم خذلقة أم عقوق، المجلة، ٥٨٤، شباط ١٩٧٠، ص٨.

(٥) ينظر: المدارس النحوية، د. خديجة ١٤٧، فقد تابعت اقوال القدامى في ذلك.

(٦) ينظر: مدرسة الكوفة ٣٥١، والمدارس النحوية د. خديجة ١٦٥، والمدارس النحوية اسطورة وواقع ٣٦، ١٤٢.

(٧) ينظر: الدرس النحوي في بغداد ٩٧ / ١٠٥، ١١١، والمدارس النحوية، د. ضيف ١٥٥، والمدارس النحوية، د. خديجة ١٤٧، والقرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية ٩٠، وفي المدارس النحوية، المورد، مج ٣ ع ٣، ١٩٧٤ ص ٦٧.

وكذلك اختلاف القدامى والمعاصرين في وجود المذهب البغدادي، اختلافا كبيرا، فقد نفى بعض القدامى هذا المذهب ولم يذكروه في كتبهم [١]. مثل أبي الطيب اللغوي (٣٥١ هـ) وابن برهان وغيرهما في حين أقرّ وجود البغدادية ابن النديم ٣٨٥ هـ والمرزباني ٣٨٦ هـ وغيرهما [٢].

أما المعاصرون فلم يقل اختلافهم عن القدامى، بل إنّ الذين أثبتوا المذهب البغدادي، اختلفوا أيضاً بشأن مفهوم (البغداديين) وتاريخ مدرستهم ومراحلها، ورجالها على الرغم من كثرة المؤيدين لوجودهم والمدافعين عنهم[٣].

أما الذين نفوا وجود هذا المذهب فعلى رأسهم (فايل) في مقدمة نشرته لكتاب (الانصاف في مسائل الخلاف)، ثم تابعه كثير من الدارسين العرب[٤].

و قد اختلفوا في وجود المذهب البصري أيضاً، فنفى كثير من الدارسين المعاصرين وجوده [٥]، ولم يقل اختلافهم بوجود مذهب أندلسي نحوي على الرغم من حجم وقيمة الدراسات التي انتجها المصريون والأندلسيون بعد القرن الخامس

(١) ينظر: مراتب النحويين ١٠١، وشرح اللمع لابن برهان ١/١.

(٢) ينظر: الفهرست ٦٥، والخزان ١/١ والهمع ١/١١٢، ٢٣٩.

(٣) ينظر: المدرسة البغدادية ٤٧، وبروكلمان ٢ / ٢٢١، ونشأة النحو ١٥٨، وضحى الإسلام ٢/ ١٩٣، والمدارس النحوية، ضيف ٢٤٥، ومدرسة الكوفة ٦٣ - ٧٤، وتاريخ علوم العربية ٩، والمدارس النحوية د. خديجة ٢٥٨ - ٣٦٢، وفي اصول النحو ٢١٧، وأبو زكريا الفراء ١٩٥، والتيار القياسي في المدرسة البصرية، د. أحمد مكي الأنصاري، آداب /القاهرة ج ١٤ ص ١٥، ومنهج البحث اللغوي في القرن الثالث الهجري، د. محمود العباسي، مجلة كلية التربية للبنات ع ٤، ١٩٣.

(٤) ينظر: الدرس النحوي في بغداد ١٩٣، وأبو علي الفارسي ٢٤٧، والاتجاهات الحديثة في النحو ١٥، ٥٦، وكتاب الإنصاف والخلاف النحوي، د. محمد خير الحلواني ٤٨، وابن جني النحوي ٢٥١، وابن الحاجب النحوي ٣١١، وابن الشجري ومنهجه في النحو ٢٨٣.

(٥) ينظر: الدرس النحوي في بغداد ١٥٩، والدراسات النحوية واللغوية في مصر ١٠٧، ٥١٧ - ٥٦٥. وتاريخ اللغة العربية في مصر ٦١، والمدارس النحوية واللغوية في مصر والشام ١٣ - ١٨، والمدارس النحوية د. ضيف ٢١٥، والمدارس النحوية د. خديجة ١٢٦، وأبو حيان النحوي ٣٦٨، وظهر الإسلام ٩٣/٣، والقواعد النحوية ١٢٨، وفي أدب مصر الفاطمية، د. محمد كامل حسين ٧، ١١٨، والاتجاهات النحوية الحديثة ١٧، وابن الحاجب النحوي ٢٧٠، ودراسات في علم اللغة - القسم الثاني ٦١.

الهجري خاصة [(١)].

ثانيا: - اضطراب الآراء في تحديد النحاة وطبقات المذاهب، فقد اختلفوا في مؤسس المذهب الكوفي مثلا: بين الرؤاسي والكسائي ويونس بن حبيب والأخفش الأوسط والفّراء[(٢)]، واختلفوا في مؤسس المذهب البغدادي بين الفرّاء والاخفش والأوسط والزجاج وغيرهم [(٣)]. واختلافهم في مذهب ابن جني وشيخه أبي علي الفارسي، فنسبوهما الى المذهب البغدادي في حين كانا ينسبان أنفسهما الى المذهب البصري [(٤)].

ثالثا: - عدم وجود حدود واضحة بين المذاهب النحوية المزعومة، لا في نحاة المذهب الواحد ولا في الأقاليم المعروفة، إذ لم تنقطع رحلات النحاة بين الأقاليم حتى عصور متأخرة، وقد بدأت مبكرة منذ عصر أبي الأسود الدؤلي، فقد تلمذ عليه بعض الكوفيين، ثم أخذ نحاة البصرة يرحلون الى بغداد مثل سيبويه والمبرد وغيرهما، ثم أخذ النحاة يرحلون الى الأندلس فالقاهرة وهكذا [(٥)].

رابعا: - نشأ النحو نشأة متشابه في جميع الأقاليم متأثرا بالدراسات الإسلامية

(١) ينظر: في اصول النحو ٩٨ - ١٠٢، ومن تاريخ النحو ١٠٠، وهل في النحو مذهب أندلسي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد مج ٧ و٨ عام ١٩٥٩، والدرس النحوي في بغداد، ونحاة أندلسيون، المعلم الجديد ج ٣ ج ٢١ / ١٩٥٨ ص ٧، والمدارس البغدادية، ٤٤.

(٢) ينظر تفصيل ذلك في: المدارس النحوية، ضيف ٩٦، ومدرسة الكوفة ٣٧٢، وأبو جعفر الرؤاسي نحوي من الكوفة ٢٢ ومابعدها، وأبو جعفر الرؤاسي المؤسس الحقيقي الأول للنحو الكوفي، د. عبد العال سالم مُكرّم ج ٣ / ١٩٨٩ ص ٥١. وفي المدارس النحوية، د. محمد حسين آل ياسين، المورد ٦٧ - ٧٢.

(٣) ينظر: أبو زكريا الفراء ٣٥٢، ٣٦٦، والمدارس النحوية د. خديجة ٢٨٧، وما ينصرف وما لاينصرف (مقدمة التحقيق) ٢٧، والدرس النحوي في بغداد ١٢٨.

(٤) ينظر: الخصائص١ / ١٨، ١٩٩وأبو علي الفارسي ٤٤٦ والخاطريات ٥٩.

(٥) ينظر: الفهرست ١ / ١٨٦، وإنباه الرواة ١ / ٩٩، ٢ / ٢٤٠، وبغية الوعاة ١ / ١٨٦، ١٥٨، والدراسات اللغوية والنحوية في مصر ٣٨، ٥٣، ٩٠، والمدارس النحوية في مصر والشام ٩ - ٢٠ ومناهج واتجاهات الدراسات اللغوية والنحوية في العالم العربي في القرنين السابع والثامن الهجريين، د. هادي نهر، آداب مستنصرية ع ٢. تاريخ اللغة العربية في مصر ٦٤.

والدراسات القرآنية واللغوية والنحوية في المشرق [١].

خامسا: - لقد أثبت الدرس النحوي الحديث أنه لا حدود فاصلة بين المذاهب في مجال القياس والسماع والاصول النحوية الأخرى وان الكوفيين كانوا أكثر اهتماما من البصريين بالقياس، وإنّ البصريين كانوا يقيسون على الشاذ والنادر كذلك [٢].

سادسا: - إنّ قضية الخلط بين المذهبين: البصري والكوفي لا يمكن أنْ يكون منهجا أو مذهبا نحويا ثالثا هو المذهب البغدادي لأن الخلط قائم الى يومنا هذا وبمرور العصور السالفة وبمختلف الأقاليم، إذْ يختار النحوي، ما يراه ملائما لتفكيره ورؤيته [٣].

سابعا: - وقد أثبت الدرس الحديث أنّ ما عرضه أبو البركات الأنباري من مسائل الخلاف باسلوبه الجدلي الفلسفي لا يمثل الخلاف النحوي الحقيقي، فقد كان غير دقيق في نسبته كثيراً من الآراء الى أصحابها. ووقع له الوهم، وعرض له شيء من تحريف الحقائق[٤]، فضلا عن ذلك فقد استدرك عليه البحث الحديث مسائل خلافية كثيرة «فوق أن تحصى» [٥].

رأي في المذاهب النحوية:

وبعد هذا العرض السريع للخلاف النحوي ومذاهبه وما وجدناه من خلاف

---

(١) ينظر تفصيل ذلك في: المدارس النحوية د. خديجة ٣٤٠، وصنيف ٣٢٧، وأبو حيان النحوي ٣٦٥ - ٣٦٨ وخصائص مذهب الأندلس النحوي ٣٨.

(٢) ينظر تفصيل ذلك في الصفحة ٤٤ من الرسالة.

(٣) ينظر: منهج البحث النحوي في القرن الثالث الهجري، د. محمود العباسي، مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ع ٤ ص ٣، عام١٩٩٣.

(٤) ينظر: تفصيل ذلك في: كتاب الإنصاف والخلاف النحوي ١١٩. وابن الأنباري في كتابه الإنصاف ٤٩. ومسائل الخلاف النحوي بين علماء مدرسة البصرة ٤٠ - ٤٤، وأبو البركات الأنباري ودراساته النحوية ٦٥.

(٥) كتاب الإنصاف والخلاف النحوي ٦٣. وينظر المصادر السابقة، فقد استدركوا عليه مسائل كثيرة. ينظر: المسائل الخلافية في كتاب الاصول ٢٢٠. والخلاف النحوي في اعراب القرآن للنحاس ١٠٦ - ١٣١. وابن الشجري ومنهجه في النحو ٢٩ والمسائل الخلافية في شرح المفصل ٢٣١. وغيرذلك.

واسع بين الدارسين قديماً وحديثاً في المذاهب النحوية، نحاول دراسة تاريخ النحو العربي والخلاف النحوي دراسة جديدة بعيدة عن الاضطراب الذي وقع فيه أصحاب الدراسات السابقة، مع دقّة في نسبة الآراء النحوية إلى أصحابها بعيدة عن التعميم. هي: أنْ ندرس تاريخ النحو دراسة عامة، وأنْ نقف عند أئمة النحاة الذين تركوا أثراً كبيراً في الدرس النحوي، متجاوزين التقسيم الجغرافي المعروف، أعني التقسيم على (مدارس) معينة.

إنّ النحو العربي واحد في كل زمان ومكان، تعاونت على بناء صرحه أجيال من النحاة، وانما الخلاف في الفروع والجزئيات. وقد لمع نحاة قليلون عبر تاريخه الطويل، قياسا الى العدد الكبير الذي نتصوره. وإنّ عددا من النحاة منذ نشأة النحو حتى يومنا هذا قد تميزوا بقابليات واسعة وطرائق للبحث جديدة، وزيادات فريدة، وأصالة فكرية، وابداعات متميزة، وتأثير فيمن جاء بعدهم، تاركين آثاراً في الدرس النحوي، وثمة أسباب أخرى غير علمية تؤدي إلى شهرة بعض النحاة فيَتبعهم الآخرون مثل: التقرّب الى الجاه والسلطان.

إنّ اعتماد التقسيم الجغرافي المعروف حسب الأقاليم الخمسة: البصرة والكوفة وبغداد ومصر والأندلس هو تضييق للمذاهب النحوية الكثيرة التي انفرد بها أئمة النحو، بحيث يصعب تصنيف جميع مذاهب النحاة ضمن هذه المذاهب الخمسة وحدها.

وإنّ تسمية المذاهب النحوية باسماء أئمة النحو الكبار، أمر يدعمه أكثر من دليل، منها ما نجده من مذاهب علم اللغة الحديث والعلوم الأخرى كالفلسفة والفقه والتفسير، قديما وحديثا، تُنسب المذاهب فيها الى العلماء. فالبنيويه اليوم تُنسب الى دي سوسير، والتوليدية تُنسب الى جو مسكي. ومذاهب الفلسفة عند الاغريق تُنسب الى الفلاسفة الاعلام: أرسطو وافلاطون وغيرهما وفي الفقه نجد أربعة مذاهب مشهورة عند المسلمين تنسب أو تسمى باسماء أصحابها. وفي التفسير عدّ المؤرخون بعض أئمة المفسرين، أصحاب مذاهب في التفسير أو مدارس فقالوا: مدرسة ابن عباس في مصر، ومدرسة ورش في القراءات اشتهرت في مصر، ومدرسة الجاحظ التي تعني بالتأويل والتفسير العقلي، ومدرسة ابن جرير الطبري

المفسّر بالمأثور، ومدرسة الزمخشري صاحب الكشاف[١].

فاذا زدنا على ذلك ما ذهب اليه أكثر من باحث من نبذ التقسيم الجغرافي للمذاهب النحوية لأنها لا تمثل تاريخ النحو ولا تطوره تأكد أمامنا صحة ما ندعو اليه:

فقد جعل بروكلمان لعمرو بن العلاء(١٥٤ هـ) وللاصمعي مدرستين ونسب اليهما نحاة متعددين[٢]وجعل أحد الباحثين لأبي عبيدة (٢١١هـ) ولعبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ)، مذهبين مختلفين لم يقدر لهما البقاء [٣]، ودعا الى احيائهما في الدراسات النحوية المعاصرة.

ويرى أكثر الباحثين أنّ ابن مضاء كان صاحب مذهب يختلف عن النحو العربي عامة لو وجد له صدى بين علماء الأندلس لكان من الممكن ان نطلق على الأندلس اسم: مدرسة نحوية [٤].

وقد قسّم الدكتور. حسن عون تاريخ الدرس النحوي وتطوره على وفق أئمة النحاة الكبار مثل مدرسة سيبويه ومدرسة الزمخشري ومدرسة ابن مالك وغيرهم، وقد دعا الى العدول عن تسمية المدارس النحوية باسماء أماكنها والى تسميتها باسماء الأئمة الذين برزوا فيها[٥].

وذهب باحث آخر الى أنّ أبا الأسود الدؤلي كان قد أسس مدرسة للنحو أشهر تلاميذها: عبد الرحمن بن هرمز ونصر بن عاصم وعنبسة الفيل وغيرهم [٦]، مهّدوا لظهور مدرسة بعدهم كان على رأسها أبو اسحق الحضرمي وتلميذاه[٧] وقد

(١) ينظر: مناهج البحث عند مفكري الإسلام ١ - ١٤، ومناهج في التفسير ٣ - ١١، ٤٤، ١٠٧، ٢٩٠، ٣٠٠، والدراسات اللغوية والنحوية في مصر ٩١ - ١١٨، ٣٢، ومنهج الزمخشري في تفسيره ١٣ ومابعدها.

(٢) بروكلمان ١ / ١٦٨.

(٣) احياء النحو ١٩.

(٤) ينظر: في تاريخ العربية، نهاد الموسي ١٢، العربية وعلم اللغة البنيوي ٣.

(٥) تطور الدرس النحوي ٦، ٣١ - ٧٦.

(٦) الحلقة اللمفقودة من تاريخ النحو ٥٣.

(٧) المصدر نفسه ٣٥، ١٠٧.

عني باحث آخر بالجهود الشخصية للنحاة وابداعاتهم فوقف عند ابرز النحاة مثل: ابن جني وابن مالك وأبي حيان وابن هشام [(١)].

ولا نعدم في العصر الحديث جملة من كبار النحاة واللغويين ممن تركوا اثراً كبيرا في الدرس النحوي خصوصا واللغوي عموما وصار لهم مريدون يأخذون بأفكارهم ويلتزمون مناهجهم [(٢)].

إنّ تقسيمنا تاريخ النحو العربي ومذاهبه الذي ندعو اليه يجّنبنا الاضطراب الذي نلقاه في أغلب الدراسات التي تناولت هذه القضية، ثم إنّه لا ينفي الفروق بين المذاهب الخمسة المشهورة، ولا ينفي وجودها، ولكنا نقدم تفسيرا لها أكثر ملاءمة لتاريخ النحو، فالمبرد مثلا كان يمثل المذهب البصري المعروف وإنّ الفراء كان يمثل المذهب الكوفي وابن جني كان يمثل المذهب البغدادي، وأبو جعفر النحاس كان يمثل المرحلة المتقدمة من المذهب المصري النحوي، ثم مثّلهما نحاة عديدون منهم: ابن مالك، ثم ابن هشام وغيرهما. وفي الأندلس ابن مضاء وأبو حيان النحوي... وهكذا.

و بذلك نكون أكثر دقة في نسبة الآراء الى أصحابها الحقيقيين ونبتعد عن الخلط والتعميم في نسبة الآراء الى مذهب لا يعرف أوله ولا آخره مثل المذهب البصري الذي نَسَب أكثر النحاة أنفسهم اليه حتى المتأخرين منهم. مثل ابن كمال باشا[(٣)]، الذي كان ينسب نفسه الى البصريين وابن عدلان الذي نسب نفسه الى الكوفيين[(٤)]وغيرهما.

إنّ الأخذ بهذا التقسيم سيبتعد بنا - فيما ارى عن اوهام كثيرة موروثة،

---

(١) الاتجاهات النحوية الحديثة ٣٤ - ٣٩.

(٢) مثل الدكتور تمام حسان. فقد قال عنه د. فاضل الساقي تلميذه إنّه كان رائداً لمدرسة لغوية، سار عليها تلاميذه الذين أخذوا بأفكاره والتزموا بمنهج أستاذهم العلمي. ينظر: أقسام الكلام العربي ٢٦، واللغة العربية معناها ومبناها ٩. ومثل الدكتور مهدي المخزومي فقد تأثّر بمنهجه بعض الاساتذة مثل د. طارق الجنابي وغيره. وكان المخزومي متأثراً بمنهج إبراهيم مصطفى وهكذا.

(٣) أسرار النحو ٢٦.

(٤) التبيان في شرح الديوان المنسوب الى العكبري. ١ / ٢٠٨، ٢٧٧، ٢ / ١٣٦، ١٥٣، ١٦.

كالخلاف الطويل في عمر المدرسة البصرية، واسباب انتشارها وسيادتها في عصور محتلفة، وان المدرسة البصرية سبقت المدرسة الكوفية، لقلة المصادر الكوفية الى غير ذلك[١]. فقد رأى بعضهم ان سبب سيادة المذهب البصري وسيادته دون المذاهب الأخرى. هو انهم كانوا اوفر حظوظا من الكوفيين واكثر مؤلفات [٢]. ورأى بعضهم الآخر أنّ السبب هو الظروف التي مرّت بكل مذهب من المذاهب المعروفة [٣]، ورأى بعضهم الآخر ان السبب هو اهتمام البصريين بالتقعيد [٤] غالبا. ورأى بعضهم الآخر إنّ السبب هو التزام البصريين بالمنهج التعليمي لا العلمي[٥]. وغير ذلك من التفسيرات المتعددة [٦] التي تبتعد أحيانا عن المنطق والمعقول.

إنّ تقسيمنا الجديد يعفينا من البحث في مثل هذا، ويريحنا من الخلاف فيه ولا يجعلنا نتمحّل في تقديم الاسباب لذلك. إذْ نرى أنّ الذي سادَ بين النحاة في كل العصور والأقاليم هو النحو العربي عامة وليس المذهب البصري، وقد تخلّلته كثير من المذاهب الانفرادية.

و قد يرى بعضهم أنّ هذا المقترح سيولد اضطرابا، إذْ إنّ مئات من النحاة لا يمكن نسبتهم الى أحد الائمة المشهورين. والحق أنّ كل دارس للنحو او متخصص فيه لا بد من ارتباطه في سلسلة النحاة حتى نصل الى شيوخ الخليل.

ولكي نقّدم البرهان العملي الذي يمكن الاستناد اليه في تأكيد دعوتنا قمت باحصاء تقريبي للنحاة منذ نشأة النحو حتى عصرنا هذا لنرى الفرق الكبير بين عدد النحاة أو دارسي النحو وعدد الأئمة الكبار الذين تركوا أثرا كبيرا في الدرس النحوي بعدهم، معتمدا اشهر كتب التراجم وهو: (بغية الوعاة) لأنّه متأخر عن كتب

(١) ينظر: المؤاخذات النحوية ٢٨٦ – ٣١١، ونشأة الخلاف بين النحويين، مصطفى السقا، مجلة المجمع – القاهرة ٩١ – ١٠٣، والمدارس النحوية د. خديجة الحديثة ١٥١ – ١٦٠.

(٢) ينظر: الزجاجي حياته وآثاره ومذهبه، مقدمة التحقيق ٩٧.

(٣) ينظر: المدخل الى دراسة النحو العربي ٧١.

(٤) ينظر: المدارس النحوية للدكتور صنيف ١٦٢.

(٥) الاتجاهات الحديثة في النحو ١٠ – ١٢.

(٦) ينظر أيضا: النحو العربي نقد وتوجيه، مقدمة الأستاذ السقا ٧١، وابن الأنباري في كتابه الإنصاف ٢٧٩.

كثيرة، وأنّه متخصص بترجمة النحاة، ولأنه جامع شامل وقد اعتمد على مصادر كثيرة منها ما هو مفقود، ولم يستثنِ اقليما أو عصرا من العصور. فقد أودع فيه ما في كتب الأدب والتاريخ «من ترجمة نحوي طالت او قصرت، خفيت أخباره أو اشتهرت»[١]، فترجم لـ: (٢٢٠٩) من النحاة، وقد اشار الى أنه اختصر الكتاب اختصارا كبيرا فجعله مجلدا واحدا بعد أنْ كان سبعة مجلدات[٢]. وهذا يعني أنه أهمل ذكر آلاف من النحاة، فضلاً عّما فاته اساساً ولم يقف عليهم لأسباب متعددة ومن جاء بعد عصره من النحاة الى عصرنا هذا. فلو أحصينا عدد النحاة منذ نشأة النحو الى عصرنا هذا لوجدنا فرقا كبيرا بين عدد النحاة ودارسي النحو وبين النحاة الاعلام، إذْ سرعان ما انشئت للنحو حلقات في الجوامع، انتشرت في رقعة كبيرة جدا في اكثر من (٥٠) دولة أو بقعة إسلامية تقريباً عشرون حلقة تقريباً. على هذا تكون (١٠٠٠) حلقة للنحو في الجيل الواحد لدارسي النحو، وتقدر الأجيال خلال (١٢٠٠) سنة بعد انتشار الإسلام الى يومنا هذا بأكثر من مئة جيل دَرَسَ النحو، في كل جيل ألف حلقة تقريبا، فضلا عن عصرنا الحالي الذي انتشرت فيه الجامعات والاقسام التي تعنى باللغة العربية في جميع الدول العربية وبعض الدول الإسلامية والاجنبية وعلى هذا يكون عدد دارسي النحو منذ النشأة الى اليوم أكثر من مليونين ونصف المليون نحوي أو دارس نحو، على وجه التقريب لا الدقة، وقد يزيد العدد[٣]. ولكن هل نعرف هذا العدد من النحاة ودارسي النحو كلهم ؟ بالطبع لا، فلا نعرف الا ما ذكرته كتب تراجم النحو، ولم يكن تأثير في الدرس النحوي الا لعدد ضئيل منهم، هم أئمة النحاة وهم الذين ندعو أنْ يكون التقسيم الى المذاهب النحوية باسمائهم. وسنحاول الوقوف عندهم:

أبو الأسود الدؤلي ٦٩ هـ:

كان الدؤلي أول المشتغلين بالنحو، له آراء قليلة، وصل الينا أقلُّها وكان على

(١) ينظر: بغية الوعاة ١ / ٨٠١.

(٢) المصدر نفسه ١ / ٦، ٧.

(٣) لقد أخذنا بنظر الاعتبار التفريق بين النحاة من أصحاب الرأي والتصنيف وبين المعلمين والمتعلمين.

رأس مذهب أو اتجاه ظهر آنذاك أكثرهم قُرّاء، منهم: عنبسة الفيل، وميمون الأقرن، ونصر بن عاصم الليثي (٩٠ هـ)، وعبد الرحمن بن هرمز، ويحيى بن يعمر العدواني (١٢٩ هـ)، وعطاء بن أبي الأسود [١] وغيرهم. وقد ذهب أحد الباحثين المعاصرين إلى أن أبا الأسود كان قد أسس مدرسة في النحو [٢].

ابن أبي اسحاق الحضرمي ١١٧ هـ:

مهدّ الدؤلي وتلاميذه الى ظهور مذهب جديد في النحو، هو الاهتمام البالغ بالقياس على الغالب من كلام العرب، وكان الحضرمي أول من بعج النحو ومدّ القياس وشرح العلل، وله مواقف مشهورة مع الشعراء [٣].

قال تمام حسان: أنه كان «رئيس الجيل الذي تلا جيلهم» [٤] وقد مضى على هديه تلاميذه، لا سيّما: عيسى بن عمر (١٤٩هـ) الذي مضى يطرد القياس، وينقد الشعراء والفحصاء [٥]. وهو اتجاه استمر في النحو العربي، نجده عند نحاة مثل: الخليل فسيبويه فأبي علي الفارسي وغيرهم، يقابله اتجاه آخر هو الاهتمام بالسماع وتغليبه على القياس يمثله أبو عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب وغيرهم.

الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٧٠ هـ[٦]:

كان الخليل بن أحمد من مفاخر العرب والمسلمين، بلغ النحو على يديه النضج والكمال، وكان يمثل الاتجاه القياسي، وهو أول من توسّع بالعوامل والعلل، وقد استقرت على يديه نظرية العامل لكن النحاة بعده أساءوا أستخدامها فخلطوها

(١) ينظر: أخبار النحويين البصريين ١٧، ومعجم الأدباء ١/٢١٠، وإنباه الرواة ٢/١٧٢، ٣٨٠، ٤/ ١٧٩.

(٢) ينظر: الحلقة المفقودة في تاريخ النحو ٥٣.

(٣) ينظر: اخبار النحويين البصريين وإنباه الرواة ٢ / ١٤٣، ٣٧٥، وبغية الوعاة ٢ / ٤٣، وطبقات فحول الشعراء ١٤.

(٤) الأصول ٣٢، وينظر: الحلقة المفقودة ٣٥، ١٠٧.

(٥) أخبار النحويين البصريين ٣١، والفهرست ٦٨، والمدارس النحوية د. ضيف ٢٥، ود. خديجة ٧٢.

(٦) ينظر: النحو عند الخليل من خلال معجمه في الأسماء والافعال والحروف، د. هادي نهر، آداب مستنصرية ع٢٢و٢١، ١٩٩٢. والتراكيب اللغوية في العين، د. هادي نهر ٢٥.

بالمنطق والفلسفة.

وكان تأثير مذهب الخليل في النحو العربي كبيراً إذْ استمرّ في العصور التي تلت عصره في مختلف الأقاليم العربية والإسلامية، ومازال لأنه طبع النحو بطابع تفكيره الفذّ وعقليته الاستثنائية وعبقريته الخالدة، وقد «تحوّل ما ذكره من قواعد النحو والصرف الى ما يشبه نجوماً قطبيةً ثابتةً ظلّ النحاة بعده الى اليوم يهتدون بأضوائها في مباحثهم ومصنفاتهم» (١). لذلك جعله الدكتور شوقي ضيف واضع النحو الأول (٢)، وجعله المخزومي أستاذ المذهبين: البصري والكوفي على السواء(٣). وتابعه الدكتور محمد حسين آل ياسين (٤).

لم يترك الخليل كتاباً في النحو إلا أنّ آراءه النحوية سجلها تلميذه البارّ سيبويه الذي مضى على هدى شيخه في البحث النحوي. فجاءت شهرة سيبويه من آراء شيخه التي سجلها في الكتاب، لذا اختلف الباحثون في كتاب سيبويه، فذهب بعضهم إلى أنّه من علم الخليل وغيره ولا فضل لسيبويه فيه غير الجمع والاملاء(٥). وقد اعتمد الباحثون في ذلك على القدامى الذين ذكروا أن الكتاب مؤلف من علم الخليل وغيره (٦). ودافع فريق آخر عن جهود سيبويه في الكتاب ولم ينكروها، وناقشوا أقوال القدامى والمعاصرين (٧).

وعلى أي كان الامر فإن لسيبويه فضلا لا يستهان به، والكتاب ينمّ على عقل راجح حصيف مُنظّم، وعلى ثقة صاحبه بعلمه، لكنه ينسب الى مذهب الخليل عندنا، وينسب معه كل المتأثرين به من القدامى والمتعصبين له. فالخليل هو

(١) المدارس النحوية، د. ضيف ٦١، ٣٠ – ٥٦، وينظر: الفراهيدي عبقري من البصرة ٧٦، ع ١٦/ ١٩٨٨ ص١٣، ومكانة الخليل، عبابنة ١٠٩، ١٦٣.

(٢) ينظر: المدارس النحوية ٥٦.

(٣) ينظر: مدرسة الكوفة ٧٩، ٣٥٧.

(٤) ينظر: في المدارس النحوية، مج٣ ع٤ سنة ١٩٧٤ ص٦٧ – ٧٢.

(٥) مدرسة الكوفة ٥١، والقواعد النحوية، ٢٥٨ ومن أعلام البصرة، الدكتور أبو جناح ٦٦.

(٦) ينظر: الفهرست ٧٦، وأخبار النحويين البصريين ٣١، وطبقات الزبيدي ٤٩، ومراتب النحويين ٦٥، وإنباه الرواة ١ / ٣٢١.

(٧) ينظر: سيبويه امام النحاة ١٢٨، ومنهج أبي سعيد السيرافي ٥٤، والنواسخ في كتاب سيبويه ٥٤، وأئمة النحاة في التاريخ، د. محمود غالي ٨٥.

المؤسس الحقيقي لمذهبهم [١]، لأنه انفرد بمذهب خاص ولأنه كان ذا عقل خصب ونظر ثاقب ومعرفة واسعة بكلام العرب والقراءات القرآنية.

الفرّاء ٢٠٧ هـ [٢]:

اختلف في المؤسس الحقيقي للمذهب الكوفي بين الكسائي والرؤاسي [٣] والفراء، اختلافا كبيراً [٤]. والحق أنّ الكسائي والرؤاسي وغيرهما من نحاة الكوفة لم يبلغوا ما بلغه الفراء من تأثير وشهرة في النحو. فقد اختلفوا فيما نقل عن الكسائي من نحو لأنه لا يمثل نحوا كاملا كنحو الفراء[٥]. أما الرؤاسي والفراء فلم يمثل ما نقل عنهما شيئا في النحو، ولا قياس لهما يذكر، [٦] حتى في الصرف الذي عُرِفَ الفراء به [٧].

إنّ ما أدعو اليه يعفينا من الخلاف في المؤسس الحقيقي للمذهب الكوفي، وفي أمور كثيرة أخرى. والذي أراه أن الفراء هو الذي كان يمثل ما عرفه القدامى

(١) ينظر: د. مهدي المخزومي: الدرس النحوي في بغداد ١١١، ود. محمد إبراهيم السبنّا في ردّه على كتاب المدارس النحوية د. شوقي صنيف، مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ع ٥ سنة ١٤٠٢هـ ص ٦٠، ود. عبد الامير الوردّ في مقابلة شخصية معه في تاريخ ٢٨ / ٩ / ١٩٩٣.

(٢) ترجمته في: الفهرست ٧٣، وإنباه الرواة ٢٦/٤ ونزهة الألباء ٦٧.

(٣) ترجمته في: طبقات الزبيدي ١٣٥، والفهرست ١٠٢، ونزهة الألباء ٥٤، ومراتب النحويين ٢٤.

(٤) ينتظر تفصيل ذلك في: بروكلمان ١٩٧/٢، ونشأة النحو ٩٠، وتاريخ آداب العربية للرافعي ١/ ٤٣٠، والمدارس النحوية، د. ضيف١٥٣، والدرس النحوي في بغداد ٢٥، ومدرسة الكوفة: ٨١ / ٩٦، والمدارس النحوية د. خديجة الحديثي ١٦٣، وأبو جعفر الرؤاسي المؤسس الحقيقي للنحو الكوفي ٥٢ ٦٩، وأبو جعفر الرؤاسي نحوي من الكوفة ٧٢ - ٣٣ وظاهرة الشذوذ٢٢٩.

(٥) ينظر: نزهة الألبّاء ٧١، وإنباه الرواة ٢٦٠/٢، والمدارس النحوية أسطورة وواقع ٣٤، ومدرسة الكوفة ١٠٤.

(٦) ينظر الأصول ٣٧ وظاهرة الشذوذ ٢٣١، والقياس النحوي بين المدرستين، د. السويح ٢١٦ - ٢٦٢.

(٧) المدارس النحوية د. خديجة الحديثي ١٥٥ - ١٥٨، نشأة النحو ٩، وبروكلمان ١٩٧/٢ وأبو زكريا الفراء ٣٥٧، ومدرسة الكوفة ٨٨.

وأكثر المعاصر بالمذهب الكوفي إذ نراه يختلف كثيرا مع الكسائي في النظر الى السماع والنزوع الى الفلسفة والمنطق فضلا عن خلافهما في مسائل كثيرة جدا، [١] وغير ذلك [٢]. وإن أكثر ما عرف من آراء كوفية هي في الغالب للفراء. ومما يؤكد استقلالية الفراء وانفراده بمذهب خاص أن بعضهم عدّه مؤسس المدرسة البغدادية[٣]، فضلا عن انفراده بمسائل كثيرة جدا، فقد عدّ بعضهم أحدى وأربعين مسألة خلافية انفرد بها[٤]. وقال باحث آخر بعد أنْ درس الخلاف النحوي في (إعراب القرآن) للنحاس: إنّ الفراء كثير الذكر في إعراب القرآن «فلا تكاد مسألة تمر إلا وللفراء أثر فيها» فمن عدد مسائل الخلافات الفردية بين نحاة المدرستين، البصرية والكوفية وهي تسع وتسعون مسألة نجد الفراء حاضرا في أكثر من خمسين مسألة منها [٥] وكان المستشرق فايل [٦] أوّل من تنبه الى ذلك فذهب الى أنّ الفراء كان صاحب اتجاه مخالف للنحاة، ويرى باحثون آخرون أنّ كتاب الفراء يمثل قمّة النحو الكوفي، ولم يتقدّم هذا النحو بعده «ولم يتطوّر وما كان عمل ثعلب فيه إلا الحفظ والنقل والدعاية لآراء هذا الشيخ وأقواله كما يتبيّن من اشهر كتبه هو مجالسه التي لم تكن تحوي من المادة النحوية الا نتفا من بعض الأبواب ومسائل عرض الكلام عليها في شرح شاهد أو تخريج آية».

وقالوا أيضاً: «وما نحو الكوفيين إلا نحو الفراء وإن كان للكسائي آراء مخالفة فهي في معظمها مردودة عليه لم يتبعها من المتأخرين الا نفر قليل كما يتضح ذلك من آرائه في همع الهوامع» [٧] ويرى باحث آخر: «إنّ نحو الكوفيين في

(١) ينظر: الاحتجاج العقلي في النحو العربي ١٢٥. وظاهرة الشذوذ ٢٨٦ - ٢٩٤.

(٢) ينظر تفصيل ذلك: المدرسة البغدادية وما بعدها.

(٣) ذهب الى ذلك د. الأنصاري في كتابه: أبو زكريا الفراء ٣٧٧، ٤٥٧، ٤٩٨ وقد رده أكثر الباحثين مثل: د. صنيف في المدارس النحوية ١٥٦ ود. المخزومي: الدرس النحوي في بغداد ٥٣٨ ود. محيي الدين توفيق في كتاب: ابن الأنباري في كتابه الإنصاف وغيرهم ١٧٠.

(٤) ظاهرة الشذوذ ٢٩٧ - ٣٠٧.

(٥) ينظر: الخلاف النحوي في كتاب إعراب القرآن، رسالة ماجستير ١٣٧ - ١٤٠.

(٦) ينظر: الدرس النحوي في بغداد ٧٧ - ٩٩ وقد ناقش المخزومي ذلك ورده. ينظر أيضاً: مدرسة الكوفة ٣٥٣ - ٣٧٢.

(٧) المدارس النحوية د. خديجة ٢٠٥، ٢٢٤، ود. ضيف ١٤٥، ومدرسة الكوفة ١٤٥، وأبو العباس ثعلب وجهوده في اللغة، رسالة ماجستير ٣٣٨.

جملته هو نحو الفراء»[١] امّا النحاة الآخرون الذين نُسِبُوا الى المذهب الكوفي غير الفراء فكان أكثرهم لغويين أو نحاة غير مشهورين، تابعوا الفراء غالبا مثل: هشام بن معاوية (٢٠٩ هـ) وأبي بكر الانباري (٣٢٨ هـ)، ونفطويه (٣٢٣ هـ)، وابن الأعرابي (٢٣٠ هـ) وابن السكيت (٢٤٤ هـ) وابن فارس (٣٩٥ هـ)، وابن خالويه (٣٧٠ هـ).. وغيرهم [٢]. أما ثعلب [٣](٢٩١هـ) فقد أقبل على كتب الفراء يدرسها فصار راوية لها، حتى حفظها.

أبو العباس المبرد ٢٨٥ هـ [٤]:

سار على نهج النحاة الذين اهتموا بالقياس مع تفرّد يميزه عن غيره من شيوخه أهل البصرة الذين اهتموا بكتاب سيبويه دراسة ونقدا وشرحا وتعليقا، كالمازني (٢٤٧ هـ) والجرمي (٢٢٥ هـ). وقد اعتمد المبرد في كتابه (المقتضب) على كتاب سيبويه اعتمادا كبيرا [٥].

المعروف إنّ المبرِّد بصري المذهب لأنه يأخذ بالأصول نفسها التي أخذ بها المذهب البصري من تشدد في السماع والقياس والعناية بالعوامل والمعمولات والتعليلات والفلسفة، والمنطق، وتخطئة العرب والقراءات الشاذّة والطعن ببعض الأشعار العربية، وكان شديد الجرأة على القرّاء كشيخه المازني. هذا ما عرف عن المبرد [٦].

---

(١) مدرسة الكوفة ١٢٤.

(٢) ينظر نزهة الألباء ٣٣٠، والمزهر ٢٥٩/٢، والزاهر ١٣/١ وطبقات الزبيدي ٨٥ وإنباه الرواة ١ / ٩٤، ١٤٢، وبغية الوعاة ٣٥٢/١، وهمع الهوامع ١٣٣/٢، ٢٩٢/٢، ومدرسة الكوفة ٨٥ - ٩٠، ١٤٥، المدارس النحوية أسطورة وواقع ٥٧.

(٣) ينظر: المدارس النحوية، ضيف ١٨٨، مدرسة الكوفة ١٤٥، والدرس النحوي في بغداد ٤٩، والمدارس النحوية أسطورة وواقع٧٥.

(٤) ترجمته في: نزهة الألباء ٦٤، وإنباه الرواة ٢٤١/٣، وبغية الوعاة ١١٦، ومراتب النحويين ١٨٣.

(٥) لقد بلغت نصوص(الكتاب)التي علّق عليها محقق المقتضب (١٥٥٠) نصّاً، ينظر: المقتضب (مقدمة التحقيق) ١/ ٥ - ٦، والمدارس النحوية، د. خديجة ١٢١ - ١٢٧.

(٦) ينتظر: المدارس النحوية. ضيف ١٢٤ - ١٣٤، والمدارس النحوية د. خديجة ١٣٠ - ١٣٦، والمقتضب (مقدمة التحقيق) ١٠٥/١ وما بعدها.

لقد درس أحد الباحثين «القياس في منهج المبرد» [١] فوجد موقفه من القياس مناقضا لما عُرِف عند البصريين، فهو يقيس على الشاذّ والنادر والقليل. فالقياس عنده ليس مبنيا بالضرورة على الكثرة والشيوع [٢].

وعلى الرغم من اهتمام المبرد بالكتاب، فقد انفرد عنه بمسائل كثيرة أخذها على سيبويه سّماها (مسائل الغلط) بلغت مئة وأربعاً وثلاثين مسألة [٣].

قال بروكلمان: «كثيرا ما يسلك المبرد في النحو طريقا خاصا به ولم يتردد أحيانا في مخالفة سيبويه نفسه، بل حاول أيضاً في بعض مصنفاته نقض آراء سيبويه» [٤].

و الذي أراه أنّ المبرد كان يمثل ما عرف بالمدرسة البصرية، ففي عصره أخذ الخلاف شكل التعصب المذهبي فنشأت المذاهب على أساس التنافس بينه وبين ثعلب [٥].

أبو جعفر النَّحَّاس ٣٣٨ هـ [٦]:

تلمذَ النحاس لأصحاب ثعلب والمبرد في بغداد ثم عاد الى مصر موطنه وكان كثير الشيوخ والتلاميذ والتأليف اختلفوا في مذهبه النحوي [٧] فنسبه بعضهم الى البغدادية وبعضهم الاخر الى البصرية وبعضهم نسبه الى المذهب المصري،

(١) المورد ج ٩ ع ٣، ١٩٨٠ ص ٥٣ - ٦٠ للدكتور صاحب أبو جناح.

(٢) ينظر أمثلة على ذلك في: المورد ج ٩ ع ٣ ص ٥٨ - ٦٠.

(٣) ينظر ص١٠ من الرسالة، والمؤخذات النحوية ٧٨ وما بعدها.

(٤) بروكلمان ١٦٤، وينظر: تطور الدرس النحوي ٦٥.

(٥) ينظر بروكلمان ١٦٤.

(٦) ترجمة في طبقات الزبيدي ٢٣٩، نزهة الألباء ١٩١، معجم الأدباء ٤/٢٢٤، إنباه الرواة ١/ ١٠١، وبغية الوعاة ٢٦٢.

(٧) ينظر: أخبار النحويين البصريين ٨٠، والفهرست ٨٠، ومعجم الأدباء ٦/٢٨٠، ونزهة الألباء ١٧٨، وبروكلمان ٢/ ٢٢١ والمدارس النحوية، ود. خديجة ٣٦٦، والدراسات النحوية في مصر ٢٣٥، وأبو جعفر النحاس ومنهجه في النحو، د. زهير زاهد، آداب البصرة ع ١٧، ١٩٨١. والخلاف النحوي في كتاب إعراب القرآن ٧١. وأبو جعفر النحاس، د. أحمد خطاب العمر ٧ وما بعدها.

وبعضهم جعل له منهجا خاصا به سماه: (المنهج الجامع) [١]. والحقّ أنه لم ينتم الى أحد المذاهب النحوية المعروفة، فكتبه تدل على أنه كان لا يتعصب لأحد المذاهب [٢]. وله آراء انفرادية كثيرة [٣]، واهتمام بالغ بالقراءات لا سيما بقراءة الكسائي. وكان لا يتورّع من تخطئة بعض القراءات [٤]. والذي أراه أنّ النحاس كان يمثل المذهب المصري المتقدم (في القرن الرابع الهجري)، فلو نسبنا هذا المذهب المزعوم اليه لاقتربنا من الدقة وابتعدنا عن الاعمام.

أبو علي الفارسي ٣٧٧ هـ [٥] وابن جنِّي ٣٩٢ [٦]:

في تاريخ النحو العربي وجدنا كثيرا من أئمة النحو الذين يبدؤون منهجا خاصا في النحو ثم يكتمل عند تلاميذهم ثم تتضح ملامحه، كما رأينا عند الخليل فسيبويه، والزجاج [٧] (٣١١ هـ)، فالزجاجي [٨] (٣٤٠ هـ)، وكذلك عند أبي علي الفارسي فابن جني (٣٩٢ هـ)، وغيرهم.

لقد اختلف القدامى والمعاصرون في مذهب الفارسي وابن جني بين البغدادي والبصري. وكانا ينسبان أنفسهما الى البصريين [٩].

---

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس منهج وحركة، د. نصيف أحمد الجنابي ١٥ - ٣٨، المورد مج ٦ ع ٢، ١٩٧٧، وتارخ اللغة العربية في مصر ٦٣.

(٢) ينظر: إعراب القرآن ١٢١/٢، ٢٧٤، ٣٢٢، ٤٦٢، ٦٧٦.

(٣) ينظر تفصيل ذلك في: الدراسات النحوية في مصر ٣٧٠، وإعراب القرآن للنحّاس منهج وحركة ١٥ - ٣٨، واصالة النحاس في شرح القصائد التسع، د. أحمد خطاب العمر ٩٢، مجلة المجمع العلمي العربي مج ٢.

(٤) ينظر إعراب القرآن ٦٠/١، ٦٠٤، ٦٤٠، ٢٣٢/٢.

(٥) ترجمته في الفهرست ٦٩ وبغية الوعاة ٤٩٦/١، وأبو علي الفارسي د. شلبي.

(٦) ترجمته في نزهة الألبّاء ٣٣٢، والشعوربالعور ٩٥ وإنباه الرواة ٣٣٥/٢ وبغية الوعاة ٣٢٢/١.

(٧) ترجمته في مراتب النحويين ١٣٦ وأخبار النحويين البصريين ١٠٨، وطبقات النحويين ١٢١ وإنباه الرواة ٩٥/١ وبغية الوعاة ١٧٩/١.

(٨) ترجمته في طبقات النحويين ١٢٩، وإنباه الرواة ١٦٠/٢، والبلغة ١٢١، وبغية الوعاة ١٣٩/٢، واخبار أبي قاسم الزجاجي.

(٩) ينظر: الفهرست ١٠١، والامتاع المؤانسة ١٣١/١، وإنباه الرواة ١٦٠/٢ وابن جني النحوي ٢٩، ٤٥ والمدارس النحوية، د. ضيف ٢٥٥، والمدارس النحوية د. خديجة ٤٣١ ونشأة النحو ٩٨، وظاهرة الشذوذ ٣٧٤ والمدرسة البغدادية ٢٨٠ وبروكلمان ١٩٠/٢، وأبو علي =

والذي أراه أنهما سارا على منهج جديد لكنه في مسار الاتجاه القياسي المرتبط بالخليل وسيبويه. وقد عدّهما أحد الباحثين مؤسسي مدرسة في النحو والصرف ومبتكرين قياسا، وقد فتحا للناس أبواباً في النحو والصرف جديدة لم يسبقا اليها (١)، لقد تميز منهجهما بالعناية الفائقة بالصرف والاستشهاد بالحديث النبوي والقراءات الشاذة وشعر المولدين، والاهتمام البالغ بالقياس والولع بالتعليل (٢).

لقد أكمل ابن جني منهج شيخه أبي علي وزاد عليه ونمى دراساته. وكان شديد الاعجاب بشيخه وكثير النقل عنه والتنويه به والاشادة بفضله، وكان منهجهما يقوم على الاجتهاد والابتعاد عن التعصب لأحد المذاهب النحوية. ويبدو إنّ منهجهما كان يمثل المذهب البغدادي الذي قال به كثير من النحاة والدارسين قدامى ومعاصرين.

وكان ابن جنّي يعمل عقله فيما وصل اليه من جهود النحاة قبله، متجاوزا الحدود التي رسموها، قال د. حسن عون: «هو بحقّ صاحب مدرسة في فلسفة النحو واللغة وقد ساعده على ذلك ثقافة واسعة، وذهن يقظ ونظرة لماحة، وقوة ادراك فريدة، ومقدرة نادرة على التحليل والتركيب وعلى تقليب المسألة على وجوهها المختلفة» (٣).

عبد القاهر الجرجاني ٤٧١ هـ (٤):

تفرّد عبد القاهر بمنهج في الدرس النحوي، اشتهر عند المعاصرين أكثر من القدامى، فقد عنوا به عناية خاصة ودعوا الى تطبيقه في الدرس النحوي الحديث

=

الفارسي ١٠٥ ومقدمة تحقيق: الحجة في علل القراءات ١٠، والبغداديات ٥٠، والمسائل العسكرية ٢٩، والخصائص ٦/١، والمحتسب ١٦٧/١.

(١) ينظر: ظهر الإسلام ٤٣/١، ١٨٥ وينظر: مجلة المجمع العلمي، أسعد طلس م ٣ ج ٤ / ص ٦٥.

(٢) ينظر: الإيضاح ١١٦، ١٥٧، ٣٥، والخصائص ٢/ ٤٥، ١٣٣، والتكملة، ١١٦، ٢١٤، والخطريات ٥٨، والمدرسة البغدادية ٣٣٢، ٣٦٢، والدراسات اللهجية والصوتية ٤٣، وابن جني عالم العربية د. حسام النعيمي.

(٣) تطور الدرس النحوي ٦٩.

(٤) ترجمته في: نزهة الألباء ٤٣٤، وإنباه الرواة ١٨٨/٢، وبغية الوعاة ٣١٠، والاعلام ١٧٤/٤.

وأشادوا بجهوده [١]، خاصة في كتابة (دلائل الاعجاز) ونظريته في النظم المشهورة.

إنّ منهج عبد القاهر الجديد تمثّل بالعناية البالغة بالتركيب اللغوي والمعنى النحوي والنظم وتعلق الكلم بعضها ببعض، حيث اتسعت عنده دائرة البحث النحوي مع اهتمام كبير بتيسير النحو العربي، واهتمام بالفروق الدقيقة وغير ذلك [٢].

جار الله الزمخشري ٥٣٨ هـ [٣]:

اختلفوا في مذهب الزمخشري النحوي بين المذهب البغدادي والمذهب البصري [٤]وذهب بعضهم الى أنه كان يمثل مدرسة علمية، فقد تفرد في اتجاهه بين معاصريه، مؤثرا فيهم، وفيمن جاء بعدهم أبعد التأثير ولا سيما في كتابيه: (المفصل) و(الكشاف) [٥].

ابن مضاء القُرطبي ٥٩٢ هـ[٦]:

أمّا ابن مضاء فلا خلاف في أنه كان يتجه اتجاها مخالفا في الدرس النحوي إذْ ثار على النحو والنحاة بدافع ديني وسياسي غالبا، لأنه كان ينتمي الى المذهب الظاهري، قال فيه أبو حيان: أنه كان شاذّ المنازع في النحو ليس عن فطنة وانما سرى اليه ذلك عن شيخه ابن الطراوة الذي كان كثير الخلاف للنحاة [٧]. وقال

---

(١) ينظر: احياء النحو ١٩.

(٢) تناول ذلك بالتفصيل، د. محمد البكاء في رسالته للماجستير: منهج البحث النحوي عند الجرجاني ١٥٤ وما بعدها.

(٣) تنظر ترجمته في: معجم الأدباء ١٢٣/٩، ونزهة الألباء ٢٧٤. وإنباه الرواة ٢٦٥، وبغية الوعاة ٢٨٤/١.

(٤) ينظر تفصيل ذلك في: المدارس النحوية، ضيف ٣٨٣، ١٩٢. والقواعد النحوية ١١٢، والدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري ٣١٤ - ٣١٨. والمدرسة البغدادية ٣٩٥. والمحاجاة بالمسائل النحوية (مقدمة التحقيق). وكان الزمخشري ينسب نفسه الى البصريين، ينظر: الفائق ٩٢/١، ٣٥٢، ٣٥٠/٢، والمفصل ٥٦.

(٥) ينظر سمات منهج الزمخشري المتفرد في كتاب. تطور الدرس النحوي ٨١ - ٨٩، ومنهج الزمخشري في تفسير القرآن ٤٦.

(٦) تنظر ترجمة في: بغية الوعاة ٣٢٣/١.

(٧) ينظر: الأشباه والنظائر ٦٢/٣.

المالقي: «إنّ له في الكتاب المذكور [١]أشياء خرج بها عن مقاييس العربية، أدّاهُ نظره الى ذكرها» [٢]، وعلى ذلك كان لابن مضاء منهج متفرد، وآراء انفرادية كثيرة [٣]. والحق إنّ ثورته التي تزعمها كانت قد بدأت بسيطة منذ أساتذته كالسهيلي(٥٨١هـ)[٤] وابن الطراوة (٥٢٨ هـ) [٥]الى أن انتهت اليه فصقلها ونضجت على يده واكتملت في شكل منهج جديد. كان تأثيره على المعاصرين كبيرا ولا سيما أصحاب التيسير، فقد امتثلوه ودعوا اليه، بل كان ابن مضاء أحد الاسباب الرئيسة في نشأة التيسير النحوي المعاصر [٦] أما القدامى فقد اهملوا دعوة ابن مضاء ولم يستمع اليها أحد.

ابن الحاجب ٦٤٦ هـ [٧]:

اختلفوا أيضاً في مذهب ابن الحاجب النحوي بين المذهب: البصري والمصري والبغدادي[٨]، والحقّ أنه كان متفردا بمنهج غير تقليدي يقوم على الفقه

(١) يقصد كتاب: (الرد على النحاة).

(٢) وصف المباني في شرح حروف المعاني ٣٣٩.

(٣) ينظر: الرّد على النحاة، (مقدمة التحقيق)، وتيسير النحو التعليمي ١٨ وما بعدها وظاهرة الشذوذ في النحو العربي ٥٣٢.

(٤) انفرد السهيلي بآراء إنفرادية في باب الممنوع من الصرف، وبتأثره بالفلسفة والمنطق والفقة، ينظر: أمالي السهيلي ١٩، والسهيلي النحوي، د. طارق الجنابي، آداب المستنصرية ع٨: ١٩٨٤ والاحتجاج العقلي ١٩٥ – ٢١٥.

(٥) كان ابن الطرّاوة يرفض القياس والمعيارية، وينظر للعامل نظرة جديدة، وقد زاد عوامل جديدة منها (القصد اليه). ينظر: أبو الحسن بن الطراوة وأثره في النحو ٦٠، ٨٤ – ٩٠ والإعراب على الخلاف د. أبو جناح، المورد ع٣ مج٣ ص٧٣.

(٦) ينظر ابن مضاء القرطبي وجوده النحوية ١٥٥ – ١٧٢، واصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، د. محمد عيد، ونظريات في اللغة ١١٦ ومحاولات حديثة في تيسير النحو العربي ٢٧.

(٧) ينظر: وفيات الاعيان ٤١٣/٢، وبغية الوعاة ٣٢٣، والاعلام ٣٧٤/٤.

(٨) ينظر تفصيل ذلك في: المدارس النحوية، د. ضيف ٣٣١. ود. خديجة الحديثي ٤٣٨، وابن الحاجب النحوي ١١٩، ١٢٣، وابن الحاجب في اماليه، مجلة المجمع المصري ج ٢٧ / ١٦٦، وشروح كافية ابن الحاجب ٤٥٢، والإيضاح في شرح المفصّل (مقدمة التحقيق) ١٩٧، وشرح الوافية (مقدمة التحقيق) ٩ – ٣٢، وكان ابن الحاجب ينسب نفسه الى =

والفلسفة، وكان شيخا من شيوخ الفقه. والأصول وعلم الكلام [١]، قال أبو حيان حين اطلع على مقدمة ابن الحاجب: «هذه نحو الفقهاء» [٢]وقد سموه بـ(الفقيه النحوي [٣]. وكان لكافيته في النحو أهمية كبرى وشهرة واسعة لم تزل الى عصرنا هذا، فقد شرحت أكثر من مئة شرح [٤].

ابن مالك ٦٧٢ هـ [٥]:

اختلفوا في مذهب ابن مالك النحوي أيضاً بين المذاهب: الأندلسي والمصري ومذهب الاختبار[٦]والحق أنه لم ينتم الى تلك المذاهب بل كان نسيج وحده وكان له منهج خاصّ ألزمَ به نفسه، وقد اعترف بذلك أكثر الدارسين المعاصرين [٧]فضلا عن بعض المتأخرين الذين سموا منهجه بـ(طريقة المحققين)[٨] وكان منهجه يقوم على الاختيار، وتيسير النحو لطلابه، ذا أسلوب سهل تعليمي له اهتمام كبير بنظم النحو واختصاره [٩] وهو طريقة من طرائق التيسير عند القدامى، وتميز بكثرة الاستشهاد بالقرآن الكريم والقراءات والحديث النبوي الشريف [١٠] وله مصطلحات جديدة نحو (النائب عن الفاعل)، وكان يسمّونه قبله (المفعول الذي لم

=

البصريين. ينظر: شرح الكافية٨٧، ٩٤، ٩٠.

(١) ينظر: المدرسة النحوية في مصر والشام ١١٤، وابن الحاجب النحوي ٢٦٩.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٦/١، وأبو حيان النحوي ٣٦٨.

(٣) ينظر: ابن الحاجب النحوي ٢٦٩.

(٤) ينظر: شرح الوافية نظم الكافية ٥ - ٥١.

(٥) تنظر ترجمته في نفح الطيب ٢٦/٢ ع، والوافي بالوفيات ٣٥٩/٣، وبغية الوعاة ١٣٤/١.

(٦) ينظر: المدارس النحوية د. ضيف ٣٠٩، ود. خديجة ٤٣٩ وظاهرة الشذوذ ٤٦٥ وشرح الكافية الوافية (مقدمة التحقيق).

(٧) ينظر: المدرسة النحوية في مصر والشام ١٤٧، ١٨٥ وشواهد التوضيح والتصحيح (مقدمة التحقيق) ٣٠، والحديث النبوي د. محمد ضاري حمادي ٣٧٥.

(٨) ينظر الاقتراح ١١٤.

(٩) اشتهر من ذلك الفيته التي شرحها جمّ غفير من النحاة، ينظر: مقارنة بين شروح الألفية، بستون علي، آداب المستنصرية ع١٤/١٩٨٦.

(١٠) ينظر: المدرسة النحوية في مصر ٢٢٣ و١٨٦ والحديث النبوي، د. محمد ضاري حمادي ٣٧٥.

يسم فاعله) وغير ذلك [١].

كان كثير الخلاف مع الزمخشري [٢]، وأرى سبب ذلك، تفرده وشخصيته المتميزة، على الخلاف من النحاة الآخرين في عصره وبعد عصره، الذين تأثّروا بكتب وآراء الزمخشري وغيره من النحاة الأعلام المتقدمين السبب نفسه يفسر لنا كثرة خلاف أبي حيان مع ابن مالك [٣]وقد اختلفوا بمذهب أبي حيان أيضاً بين البصري والمصري والأندلسي [٤]وكذا الامر عند ابن هشام كما سنجد.

ابن هشام ٧٦١ هـ [٥]:

اختلفوا في مذهب ابن هشام النحوي بين المذهب البصري والمصري ومذهب الاختيار وغير ذلك [٦]، ويتكرر ذلك الخلاف عند كلّ نحوي لا سيّما المبرّز منهم، وغالبا ما نجد النحاة ينسبون أنفسهم الى البصريين وهو أمر اعتاد عليه النحاة، لا سيما المتأخرون منهم، مثل: الزمخشري، وابن الحاجب، وأبي حيان[٧]وابن هشام [٨]وغيرهم، والذي أراه أنّ ابن هشام كان يمثل اتجاها أو منهجا خاصّا به في المدارس النحوية، وقد أكّد ذلك عدد من الدارسين القدامى والمحدثين، فقد قال ابن خلدون (٨٠٨ هـ): «وصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب الى جمال الدين بن هشام من علمائها استوفى فيه أحكام الإعراب مُجملة ومُفصّلة، وتكلّم على الحروف والمفردات والجمل، وحذف ما في

(١) ينظر: حاشية الخضري ١/١٦٥.

(٢) تتبع الدكتور فهمي حسن النمر مسائل الخلاف بينهما في كتابه (مسائل النحو الخلافية بين الزمشخري وابن مالك).

(٣) ينظر أبو حيان النحوي ٥٢٥.

(٤) ينظر: أبو حيان النحوي ٣٦٩، والمدرسة النحوية في مصر والشام ٣٢٩، وارتشاف الضرب ٥ – ٧ ومقدمة تحقيق (تذكرة النحاة)١٨.

(٥) ترجمته في بغية الوعاة ٢٩٣، وحسن المحاضرة ١/٣٠٩.

(٦) ينظر: المدارس النحوية (ضيف) ٣٤٦. والمدرسة النحوية في مصر والشام ٣٨٥ – ٤١١. ونحاة مصريون المعلم الجديد، ايلول١٥٧.

(٧) ينظر: ارتشاف الضرب ١/٣٢٢، ٥١٣، ٣٥٢، ٢/٦٥، ٢٠٥، ٤١١، ٤٤١. والنهر المار ٢/١٤٦.

(٨) ينظر: مغنى اللبيب ٢/٥٤٥، واوضح المسالك ١/١١٣.

الصناعة من المتكرر في أكثر أبوابها، وسماه بالمغني في الإعراب، وأشار الى نكت إعراب القرآن كلها، وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظم سائرها، فوقفنا على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها، وكأنه ينحو في طريقته منحاة اهل الموصل الذي اقتفوا أثر ابن جني واتّبعوا مصطلح تعليمه، فأتى من ذلك بشيء عجيب دالّ على قوة ملكته واطلاعه» (١).

وقد سمى منهج ابن هشام بعض المعاصرين بـ: (المذهب الهشامي) وهي تسمية تدلّ على تفرّد ابن هشام في منهجه النحوي «المعتمد على المعرفة الموسوعية الواعية والغربلة الدائمة، والتصفية المستمرة» (٢)، والميل الى التيسير وتأليف الكتب النحوية الميسرة. وقد شغلت كتبه أهل عصره والدارسين بعده (٣).

كان ابن هشام كثير الآراء الانفرادية، وكثير النقد والخلاف مع أبي حيان النحوي وهذا يدل على شخصيته وتفرده في الدرس النحوي (٤).

نحاة آخرون:

وثمة نحاة كثيرون تركوا أثرا كبيرا في الدرس النحوي بعدهم، وهم لا يقلّون أهمية عمن ذكرناهم، سنشير اليهم باختصار وعلى سبيل المثال، حتى لا يطول بنا المقام بما تتعدى مساحة الزمان والمكان، منهم:

ابو عثمان المازني (٤٩هـ) الذي تميز بعلم الصرف فضلا عن علمه بالنحو. (٥) وابن السراج (٣١٦ هـ)، الذي حاول وضع الأصول العامة للنحو (٦).

(١) مقدمة ابن خلدون ٢٤٧.

(٢) ابن هشام الأنصاري، حياته ومنهجه النحوي، د. عصام نور الدين ٥٩، ٨٩ - ١٤٥.

(٣) ينظر تعريف بكتبه: ابن هشام الأنصاري، علي فودة نيل ٣٩٧ والمدرسة النحوية في مصر ٣٥٢.

(٤) ينظر تفصيل ذلك في: المدرسة النحوية في مصر والشام ٣٥٢، وابن هشام الأنصاري، د. علي فودة ٤٦٥ - ٤٠٧.

(٥) ينظر المدارس النحوية (ضيف)١١٩، ومدرسة البصرة ٢٤٧، وأبو عثمان المازني ومذاهبه بالصرف والنحو ١٠، ١٦١ - ١٦٥.

(٦) ينظر: إنباه الرواة ١٤٥، ونزهة الألباء ٣١٢. ومقدمتي التحقيق لكتابه: (الأصول)، و(الموجز في النحو).

والسيرافي(٣٦٨ هـ) الذي تعمق بالفقه والمنطق صاحب المناظرة المشهورة[١]. والرماني (٣٨٤ هـ) الذي غلب عليه التفكير العقلي المتأثر بالفلسفة حتى أصبح صوتا وحيدا بين اصوات النحاة في القرن الرابع الهجري ذا منهج مستقل في معالجة البحث النحوي [٢]، وكان يستخدم مصطلحات تتسم بالكثير من الغرابة[٣]. وابن الشجري (٤٤٧ هـ) صاحب الامالي المشهورة [٤] وابن فضّال المجاشعي (٤٧٩ هـ)، صاحب المنهج الجديد التعليمي في كتابه (شرح عيون الإعراب) [٥]. وابن بابشاذ (٤٦٩هـ)، صاحب التعليقة الفخمة في النحو [٦]، الذي قالوا عنه أنه خالف النحاة كثيرا [٧] وملك النحاة في مسائله العشر «المتعبة الى الحشر» [٨]، الذي خالف فيها النحاة كثيرا. وأبو البركات الأنباري (٥٧٧ هـ) صاحب كتاب (الانصاف) المشهور الذي ربط بين النحو والفقه والفلسفة والجدل [٩]. والعكبري (٦١٦ هـ) [١٠] وابن يعيش (٦٤٣ هـ) [١١]، والرضي الاستربادي(٦٨٨هـ)[١٢]، وابن

---

(١) ينظر: شرح السيرافي ١/٣ - ٣٠. والامتاع والمؤانسة ٥٠٧ والمدارس النحوية (صنيف) ١٤٥. ومنهج السيرافي في شرح الكتاب ٧ - ٤٠، وفي التذوق الجمالي لمناظرة السيرافي ١٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: الرماني النحوي ٥. ومقدمة التحقيق لكتابه: (معاني الحروف) و(حدود النحو).

(٣) ينظر: حدود النحو (مقدمة التحقيق).

(٤) ينظر نزهة الألباء ٧٤، وإنباه الرواة ٣٢٤/٢، وابن الشجري ومنهجه في النحو ٧٩٠.

(٥) ينظر: بغية الوعاة ٢٦٦/٢، وبروكلمان ٢٧٣/٢. ومقدمة تحقيق (شرح عيون الإعراب) ١٣ - ١٥.

(٦) ذكروا أنّ تعليقته في ٤١٥ مجلداً، لكنها لم تصل الينا، ينظر: إنباه الرواة ٩٥/٢. وبغية الوعاة ١٧/٢.

(٧) ينظر: نزهة الألباء ٣٦١. وإنباه الرواة ٩٥/٢. وبغية الوعاة ١٧/٢. ومقدمة تحقيق (المقدمة المحسبة).

(٨) ينظر ملك النحاة حياته وشعره ومسائله العشر، تحقيق د. حنّا جميل حدّاد ٧٨.

(٩) ينظر: إنباه الرواة ١٦٩/٢، ووفيات الأعيان ٣/ ١٣٩، ومقدمة تحقيق (منثور الفوائد).

(١٠) ينظر: إنباه الرواة ١١٦/٢، وبغية الوعاة ٢٨١/١.

(١١) ينظر: وفيات الاعيان ٣٤١/٢، وبغية الوعاة ٤١٩.

(١٢) ينظر: بغية الوعاة ٥٦٧/١، وشرح الرضي د. نبهان ياسين، آداب المستنصرية ع٣ / ١٩٧٨ ص ٢ - ١٧٢.

أجروم الصهاجي (٧٢٣ هـ) [١]، وخالد الأزهري (٩٠٥هـ) صاحب كتاب (التصريح على التوضيح) المشهور [٢]، فالسيوطي (٩١١ هـ) [٣] أشهر المتأخرين، فالاشموني (٩٢٩ هـ)[٤]، فمحمد بن أبي بكر المرابط الدلائي (١٠٨٩ هـ) [٥] صاحب كتاب (نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل) وهو كتاب كبير. وغير هؤلاء كثيرون لم نذكرهم لضيق المقام.

الأصول النحوية:

لا بدّ لكل علم من اصول ومبادئ يقوم عليها، وقد ذكرت المصادر القديمة والحديثة اصولا تميزت بها المذاهب النحوية وأثبتت بها وجود هذه المذاهب.

و الأصول هي: «ما يستند اليه النحوي في اثبات القاعدة من سماع وقياس وتعليل يزاد على، المصطلحات أو الألفاظ العلمية التي تستعمل في الإعراب وغيره» [٦].

وأحاول هنا دراسة هذه الأصول التي تمّيزت بها المذاهب النحوية، ولا سيما السماع والقياس والاحتجاج العقلي، لأرى هل يمكن أنْ نجعل هذه الأصول المقياس الرئيسي بين المذاهب النحوية المعروفة ؛ كما ذهب الذين أقروا وجود المذاهب من القدامى والمعاصرين. قالوا: إنّ البصريين تشددوا في السماع وقدموا القياس عليه، وطعنوا بالقراءات القرآنية وكلام العرب الفصيح، في حين كان

---

(١) ينظر: المقدمة الاجرومية (مقدمة التحقيق) د. عبد الرزاق عبدالرحمن السعدي. والتحف الطرفية في توضيح وتكميل شرح الاجرومية للشيخ محمد إبراهيم الطرفي.

(٢) ينظر الاعلام ٣٣٨/٢، ومجلة مجمع الامة العربية ج٢ ص ٢٤/١٨، واوضح المسالك لابن هشام بين شراحة والمعلقين عليه، صاحب أبو جناح، آداب / البصرة ع١٧، ١٩٨١ ص٨ – ٢٠.

(٣) ينظر: حسن المحاضرة ٣٣٦/١، ونحاة ومناهج ٩٩، والسيوطي النحوي ٣ – ٦٤.

(٤) ينظر: الضوء اللامع٥/٦، والمدارس النحوية (ضيف) ٣٦٠ – ٣٦٢.

(٥) ينظر: نتائج التحصيل (مقدمة التحقيق).

(٦) ألنا مدارس نحوية، د. نعمة العزاوي، الجمهورية ١٢ تموز ١٩٩٠.

الكوفيون أكثر احتراما للسماع [١]، لذا دعا أصحاب التيسير الى الأخذ بالمنهج الكوفي، لأنّه أقرب الى واقع اللغة والدرس اللغوي الحديث [٢].

إنّ القول بالحدود الفاصلة فصلاً تامّاً بين المذاهب في مجال السماع والقياس هو قول غير دقيق، وقد أثبت الدرس النحوي الحديث أنّ الكوفيين كانوا كثيرا ما يعنون بالقياس. وكان الكسائي يقول:

انّما النحو قياس يتبع وبه في كلّ أمر ينتفع [٣]

وإنّ البصريين كانوا يقيسون على القليل والنادر والشاذّ، ولا يلتزمون بالحدّ المكاني للسماع فيسمعون من قبائل في أطراف الجزيرة [٤]. وأنّ الكوفيين كانوا كثيرا ما يستخدمون مصطلح الشذوذ ويردّون ظواهر لغوية كثيرة [٥].

---

(١) ينظر: الاشباه والنظائر ١/١٨٠، والمزهر في علوم اللغة ١/٢١٢، وهمع الهوامع ١/٤٥. ولمع الأدلّة ١٥، والاقتراح ٨٤، والخزانة ١/٧٢، ٢٨٥، ٣٤٤، ٢/٢، ٤٥، ٥٤، وحاشية الصبان ٢/ ١٩١. واتحاف الأمجاد فيما يصحّ به الاستشهاد ٦٦ – ٧٧. والمقتضب (مقدمة التحقيق) ا/ ٣١ وبروكلمان ١٩٦/٢، وضحى الإسلام ٢٩٥. والمدارس النحوية، د. ضيف ٩١، ومدرسة البصرة ١٤٥ – ١٦٤، والبحث اللُّغوي عند العرب ١٠٥، والمدارس النحوية، د. خديجة الحديثي ٩٥ – ٩٩، والقياس في العربية٣٢، والقواعد النحوية ٧٥، ومن تاريخ النحو ٧٣، ٩٤، وتاريخ علوم اللغة العربية ١٢٦، وآراء في اللغة، أحمد عبد الغفور عطار٦٠ – ٦٣.

(٢) ينظر: مدرسة الكوفة ٣٣٧، والدرس النحوي في بغداد ٥٢ – ٧٤، ٨٦، ١١١. والبحث اللغوي عند العرب ١٠٤، ونشأة الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيين، الأستاذ مصطفى السقا، مجلة مجمع اللغة العربية، ج١ عام ١٩٥٨، ص ٩٨. وتاريخ النحو واصوله، عبد الحميد السيد طالب ٢٥٧ – ٢٦٦. وظاهرة الشذوذ في النحو العربي ٢٧٩. وكتاب الإنصاف والخلاف النحوي، د. محمد خير الحلواني ١٦٣، ومناهج تجديد في والنحو والبلاغة والأدب ٨١. والمدخل الى دراسة النحو العربي ٦٦.

(٣) معجم الأدباء ١٣/١٩١، وبغية الوعاة ١/٣٣٧. والمطالع السعيدة في شرح الفريدة ١/٥٢. والقياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة ٢٢٦.

(٤) ينظر: كتاب سيبويه ٢/١٣٥، والمقتضب ٢/١٢٥، والقياس في منهج المبرد، المورد، د. صاحب أبو جناح مج ٩ ع٣، ١٩٨٠، والقياس النحوي بين المدرستين ٢٦٨، ٢٧٠، ٤٧١، واصول التفكير النحوي، د. أبو المكارم ٢٩، والأصول، د. تمام حسان ٤١ – ٤٣، وكتاب الإنصاف والخلاف النحوي ١٦١ – ١٦٣.

(٥) ينظر: مجالس ثعلب ١/٣٦، ٥١، ١٥٠، والخزانة ٤/٢٧٥، والموفي في النحو الكوفي ١٤٠، وظاهرة الشذوذ في النحو العربي ٢٩٤، والاحتجاج العقلي ١١٩.

وقد أثبت الدرس الحديث أيضاً أنّ الكسائي كان أوّل الطاعنين على القراءات، وتبعه الأخفش الأوسط والفراء والمازني والمبرد وابن جني وغيرهم[١]. وكان سيبويه يتحاشى - في الغالب - الطعن على القراءات[٢]. وقد دافع المعاصرون عن القراءات وذهب بعضهم الى أنّ الطعن فيها من الأمور المحرّمة [٣] وقد أثبت الدرس المعاصر أيضاً عدم دقة المتأخرين [٤]فيما نقل عنهم، بأن النحاة المتقدمين لم يستشهدوا بالحديث النبوي الشريف، وتابعهم بعض المتأخرين في ذلك، كابن خروف وأبي حيان[٥].

وأثبت بعض المعاصرين أيضاً عدم دقّة قول المتأخرين بموقف النحاة من الاحتجاج بنثر والمولّدين وشعرهم والالتزام بالحدّ المكاني للسماع[٦].

وقد ساد أيضاً بين أكثر الباحثين - نقلا عن المتأخرين - إنّ البصريين كانوا

---

(١) لقد عمل الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة احصاء الطعن على القراءات عند النحاة، ينظر: دراسات لاسلوب القرآن الكريم ٣٤ - ٩٣، والمدارس النحوية، د. ضيف ١٩ - ١٥٧، ودراسات في كتاب سيبويه ٩، والمدارس النحوية د. خديجة ٩٥ - ١٧٦، وموقف الفراء من القراءات، علي ناصر غالب المورد مج ١٧ ع٤، ١٩٨١، ص ١٥. وأثر القرآن والقراءات في النحو العربي، د. السيد طلب، مجلة البيان ع. ٤تموز ١١٦٩ ص ٣٠ - ٣٦.

(٢) ينظر: المدارس النحوية، علي النجدي ناصف، مجلة المجمع - دمشق ٢٥ نوفمبر ١٩٦٩، ص ١٧٨، والعارضة الصريحة للقراءات عند سيبويه، د. أحمد مكي الأنصاري، مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم ع١٩٧٢/٣، ص١٦٧.

(٣) نظرية النحو القرآني، د. أحمد مكي الأنصاري ١٧٣، والحديث النبوي الشريف، د. محمد ضاري حمادي ٢٨٨.

(٤) ينظر: الخزانة ٩/١، ١٠، وتابعهم بعض المعاصرين، ينظر الخليل بن أحمد، د. عبابنة ٧٩ وتاريخ الأدب العربي - الإسلامي، د. ضيف ٣٨، والقرآن الكريم وأثره، د. عبد العال سالم مكرم ٩٧.

(٥) ينظر تفصيل ذلك في: دراسات في العربية وتاريخها، محمد الخضر حسين، والحديث النبوي الشريف، د. محمد ضاري، وموقف النحاة من الاحتجاج لالحديث، د. خديجة الحديثي والمدارس النحوية ٩٨، لها أيضاً، وكذلك كتابها: دراسات في كتاب سيبويه ٩، واحتجاج النحويين بالحديث، د. محمود حسين محمود، مجلة المجمع الاردني، ومناهج التاليف النحوي ٤٢٧.

(٦) ينظر: تاريخ النحو واصوله، د. السيد طلب ٢٦٨، وابن الشجري ومنهجه في النحو ٢٢٧.

يكثرون من الاحتجاج العقلي ويجنحون الى التأويل والتقدير ويحملون النصوص على ظاهرها بسبب تأثرهم بالفلسفة الاغريقية والمنطق، خلافا للكوفيين الذين كانوا يستندون الى النقل والرواية، ويميلون الى حمل النصوص على ظاهرها غالبا. ولقد أثبت الدرس المعاصر عدم دقة هذا القول، بالأدلة والامثلة الكثيرة [١].

وساد بين أكثر الباحثين أيضاً - نقلا عن المتأخرين - إنّ لكلّ مذهب نحوي مصطلحاته النحوية التي تميزه من غيره، وساقوا قوائم طويلة للمصطلحات البصرية وما يقابلها من المصطلحات الكوفية[٢].

والحق أنه لا خلاف في المصطلح بين المذهبين المذكورين، وقد أكّد هذه الحقيقة أكثر من باحث قبلي[٣]. والخلاف في المصطلح انما جاء عبر المراحل التي مرّ بها منذ نشأته الى أن استقر، إذْ نجد كثيرا من المصطلحات قد اكتسبت دلالاتها العلمية وطبيعتها الاصطلاحية، واستقرت على نحو يبدو متكاملا في القرن الرابع الهجري [٤].

فيما مضى دراسة لبعض اصول النحو عند الكوفيين والبصريين، أما عند

(١) ينظر: الاحتجاج العقلي ٢٣ - ١٠٣ - ١٣٩، والنحو الكوفي وأثره في التفسير ١٠٧، ٩٤ - ١٠٠، ومدرسة الكوفة ١١٣، والمدارس النحوية، د. خديجة ١٨٧، وأبو العباس ثعلب وجهوده في النحو ٢١٣، والمدرسة النحوية في مصر ٣٨٥، وأبو زكريا الفراء ٤٣، والاحتجاج النحوي عند ابن مالك، د. صاحب أبو جناح، المورد، ع ٢، مج ١٨، ص ٢٦، وكتاب الإنصاف والخلاف النحوي ١٧٣.

(٢) ينظر: المدارس النحوية، د. ضيف، والمدارس النحوية، د. خديجة ١٦٧، ومدرسة الكوفة ٣٠٣ - ٣١٦، ومكانة الخليل، د. عبابنة ٧٧، وتاريخ العربية ١٦، والمرادي وكتابه توضيح مقاصد الالفية، د. علي الساهي ٢١٥.

(٣) ينظر: المدارس النحوية أسطورة وواقع ٩٧ - ١٣٦، فقد درس الدكتور إبراهيم السامرائي المصطلحات النحوية دراسة مفصّلة مصطلحاً مصطلحاً، وقد تتبع الأستاذ شاكر سبع نتيش مصطلح التنازع في العمل فوجده بصريا لا كوفيا كما زعم المتأخرون، ينظر: باب التنازع عند النحاة ٦٨، رسالة ماجستير، ومهدي المخزومي وجهوده النحوية، رسالة ماجستير ٣٠ وما بعدها، وقد ذكر لي الدكتور سعيد الزبيدي أنه وجد خمسة مصطلحات تنسب إلى الكوفيين وهي ليست لهم، وانما هي للخليل منها: التشريك، والخفض وغيرهما، وأثبت ذلك بالأدلة القاطعة.

(٤) ينظر: الاتجاهات النحوية الحديثة ١٨٧.

غيرهم من البغداديين والمصريين والأندلسيين، فلم نر لهم اصولا نحوية مستقلة واضحة انفردوا بها (١).

يتبين أن السماع والقياس وغيرهما من الأصول، لم تكن المقياس الحقيقي للتفريق بين المذاهب النحوية. لكنا وجدنا خلال تاريخ النحو العربي نزعتين: سماعية وقياسية، تتغلب الواحدة على الأخرى عند نحوي دون آخر والعكس واقع (٢) كما مر بنا (٣).

إنّ تحديد المناهج التي اتبعها النحاة في دراستهم خلال التاريخ، أمر في غاية الدقة والصعوبة. وذلك لأن النحاة كانوا قد جربوا كلَّ الأساليب، واتبعوا كل الطرق، وابتكروا في دراستهم النحوية انماطا شتى، فنجد نحويا يتجه اتجاها فلسفيا وآخر يتجه اتجاها فقهيا وآخر بلاغيا وآخر تعليميا الى غير ذلك بحسب المؤثرات التي تؤثر في النحوي (٤) لكن هذا لا يقوم أساسا كافيا او مقياسا دقيقا للتفريق بين المناهج النحوية.

لقد اتخذ القدامى المعيار الجغرافي (٥) أساسا لتقسيم تاريخ النحو على مذاهب نحوية معروفة. وهو مقياس ندعو الى تجاوزه وإنْ كان له تأثير في التاريخ النحوي إذْ لكل بيئة سماتها وطابعها الخاص وأثرها في نحاتها فالأندلس مثلا تختلف عن بيئة البصرة وهكذا، لكن هذا ليس كافيا في أنْ يكون أساسا لتقسيم تاريخ النحو الطويل.

---

(١) ينظر مثلا: المدرسة البغدادية ١٢٨ - ١٤٦، وخصائص المذهب الأندلسي النحوي ٥١ وما بعدها.

(٢) ينظر: الموازنة بين المناهج البصرية، د. أحمد مكي الأنصاري، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة مج ٢٤ ج ٢ ديسمبر ١٩٦٢ ص ٤٣، وتاريخ النحو، الافغاني ٩٥، والاحتجاج العقلي ٣، والمدرسة البغدادية ٥٥.

(٣) تنظر: الصفحة ٣٦ من الرسالة.

(٤) ينظر: مناهج التاليف النحوي ٣٢٨.

(٥) لقد رفض هذا المعيار كثير من الباحثين المعاصرين مثل: الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه البحث اللغوي عند العرب ٩١، والدكتور هادي مطر في مقدمة تحقيق كتاب: كشف المشكل ١/١٠٥ وغيرهما.

«**نتائج ومقترحات**»

بهدى من الله وتوفيقه استطاع الباحث أنْ يقف على جمله من الحقائق العلمية وأنْ يتقدم ببعض المقترحات والتوصيات المتواضعة بين يدي القارئ الكريم موجزة على النحو الآتي:

أولا: بيّن الباحث أهم أسباب الخلاف، وعرّف بكتب الخلاف النحوي ومصادره، المطبوع منها والمخطوط والمفقود.

ثانياً: تابع الباحث بعض المعاصرين في أن كتاب (الانصاف في مسائل الخلاف) كان السبب الرئيس وراء تشويه كثير من الحقائق العلمية وبعض مسائل النحو، ونقل إلينا أوهاماً موروثة، وعمّق فكرة المدارس لدى المتأخرين والمعاصرين فضلاً عن ابتعاده عن الموضوعية والإنصاف، واتصافه بالتعميم وعدم الدقة في عرض الآراء النحوية ونسبتها الى غير أصحابها الحقيقيين.

ثالثاً: وجد الباحث ثمة خلافاً كبيراً يكاد لا يحصر في وجود المدارس النحوية وحقيقتها فكثير من المعاصرين نفوا وجودها واتخذ الباحث ذلك دليلا لنفي المدارس النحوية، وساق أدلّة أخرى للغرض نفسه. لذلك اقترح الباحث تقسيما جديداً لتاريخ النحو العربي يفسّر كل الظواهر تفسيراً واقعياً علمياً بعيداً عن الاضطراب والمغالاة، يقفُ على أئمة النحاة وأعلامه المشهورين الذين تركوا أثرا كبيراً في الدرس النحوي بعدهم، يكون أكثر دقة في نسبة الرأي إلى صاحبه الحقيقي من دون تعميم.

رابعا: ورأى الباحث أنّه لا يمكن للاصول النحوية المعروفة أنْ تكون حدوداً فاصلة بين المدارس فقد أثبت الباحث اضطراب ما نقل عن القدامى في ذلك، فقد نسبوا التشّدد في السماع والقياس إلى البصريين على العكس من الكوفيين وهو قول ينقصه الدليل ولم يجد خلافاً بين مصطلحات المذاهب النحوية، إنّما الخلاف في المصطلح كان في المراحل التي مر بها منذ نشأته والى استقراره وشيوعه.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١.- ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي (٨٠٢ هـ)، تحقيق د. طارق الجنابي، ط١، مكتبة النهضة المصرية، بيروت ١٩٨٧.

٢.- أئمة النحاة في التاريخ، د. محمد محمود غالي، ط١، دار الشؤون، جدة المملكة العربية.

٣.- اتحاف الأمجاد في ما يصحّ به الاستشهاد، السيد محمود شكري الآلوسي، (١٣٤٢هـ) تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بغداد ١٩٨٢.

٤.- ارتقاء السيادة في علم أصول النحو، الشيخ الشاوي المغربي الجزائري تحقيق: د. عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي، ط ١، دار الانبار - مطبعة النواعير، العراق - الرمادي ١٩٩٠.

٥.- الأشباه والنظائر - الامام جلال الدين السيوطي ٩١١هـ، ط٣دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت١٩٨٤.

٦.- إصلاح الخلل الواقع في الجمل للزجاجي، عبد الله بن السيد البطليوسي ٥٢١هـ تحقيق: د. حمزة عبدالله النشرتي، ط١، دار المريخ بالرياض ١٩٧٩.

٧.- الأصمعي وجهوده في رواية الشعر العربي، أياد عبد المجيد إبراهيم ط ١، وزارة الثقافة والاعلام.

٨.- أصول التفكير النحوي، د. علي أبوالمكارم، منشورات الجامعة الليبية، كلية التربية، دار الثقافة، مطابع دارالقلم، بيروت ١٩٧٣.

٩.- الأصول دراسة أبيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، دار الشؤون الثقافية العامة، مشروع النشر المشترك، بغداد ١٩٨٨.

١٠.- الأصول في النحو - أبوبكر بن السراج(٣١٦ هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت١٩٨٧.

١١.- أصول النحو العربي - محمد خير الحلواني، جامعة تشرين، حلب ١٩٧٩.

١٢.- أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء وضوء علم اللغة الحديث، د. محمد عيد.

١٣.- الاقتراح في علم اصول النحو، الامام جلال الدين السيوطي ٩١١ هـ تحقيق: د. أحمد سليم الحمصي ود. محمد أحمد قاسم، ط١، جروس برس ١٩٨٨.

١٤.- البحث اللغوي عند العرب، مع دراسة لقضية التأثير والتأثّر، د. أحمد مختار عمر، ط٢، عالم الكتب، القاهرة١٩٧٨.

١٥.- البحث النحوي عند الأصوليين، د. مصطفى جمال الدين، دار الرشيد للنشر، الدار الوطنية للتوزيع والاعلان، بغداد١٩٨٠.

١٦.- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي بمصر ١٩٦٤.

١٧.- تاريخ العربية، د. عبد الحسين محمد الفتلي ود. رشيد عبدالرحمن العبيدي، ود. طارق الجنابي، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر (د. ت).

١٨.- تاريخ علوم اللغة العربية، طه الراوي، ط١، مطبعة الرشيد / بغداد ١٩٤٩.

١٩.- تاريخ اللغة العربية في مصر، أحمد مختار عمر، المكتبة العربية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة، ١٩٧٠.

٢٠.- تاريخ النحو واصوله، القسم الأول، النحو بين البصرة الكوفة، د. عبد الجبار السيد طلب مكتبة الشباب، ساهمت جامعة الكويت في نشره.

٢١.- تطور الجهود اللغوية فى علم اللغة العام، وليد محمد مراد، ط١، دار الرشيد - دمشق، مؤسسة الايمان - بيروت ١٩٨٤.

٢٢.- تطور الدرس النحوى، د. حسن عون، معهد البحوث والدراسات العربية - مطبعة الجبلاوى ١٩٧٠.

٢٣.- التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم

ومذاهبهم واعتقاداتهم، أبومحمد عبد الله بن السيد البطليوسي ٥٢١ هـ تحقيق: د. أحمد حسن كحيل ود. حمزة عبد الله

٢٤.- ثمار الصناعة في علم العربية، أبوعبد الله الحسين بن موسى بن هبة الله الدينوري، الجليس النحوي ٤٩٠ هـ، تحقيق د. حنا جميل حداد، منشورات وزارة الثقافة الاردنية، مطابع الرأي، عمان ١٩٩٤.

٢٥.- الثمرات الجنية (رسالة في الأسئلة النحوية)، الشيخ محمد جمال بن حسين مفتي السادة المالكية

٢٦.- حاضر اللغة العربية في الشام، سعيد الأفغاني، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٢.

٢٧.- الحديث النبوي الشريف وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية، د. محمد ضاري حمادي، ط١، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، مؤسسة المطبوعات العربية بيروت - ١٩٨١.

٢٨.- حركة الاحياء اللغوي في بلاد الشام، نشأة ظبيان، مطبعة سميراميس، دمشق الشام ١٩٧٦.

٢٩.- حركة التصحيح اللغوي الحديث، د. محمد ضاري حمادي، دار الرشيد للنشر، دارالحرية للطباعة - بغداد.

٣٠.- الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، البير حبيب مطلق، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٦٧.

٣١.- الحركة اللغوية في لبنان، أمين نخلة، منشورات مجلة الورود، مطبعة دار الكتب، بيروت ١٩٥٨.

٣٢.- حضارة العراق، تأليف نخبة من الباحثين العراقيين، ج٧، العصور العربية الإسلامية (٣)، العلوم الدينية واللغوية، دارالحرية للطباعة - بغداد ١٩٨٥، الفصل ٤ ص ١٩٧ - ٢٩٢ (اللغة والنحو) د. خديجة الحديثي.

٣٣.- الحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي، د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، مطبعة دار نشر الثقافة، الكويت ١٩٧٧.

٣٤.- خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري،

عبد القادر رحيم الهيتي، دارالقادسية للطباعة، بغداد ١٩٨٣.

٣٥.- خطى متعثرة على طريق تجديد النحو العربي (الأخفش - الكوفيون)، د. عفيف دمشقية، دار العلم للملايين مطبعة العلوم - لبنان - بيروت.

٣٦.- دراسات تأصيلية في اللغة والتأريخ والأدب، د. عبد المجيد عابدين. لم يذكر مكان وتاريخ الطبع

٣٧.- الدراسات اللغوية في الأندلس - رضا عبد الجليل الطيار - دار الرشيد للنشر - الدار الوطنية للتوزيع والاعلان، دار الطليعة للطباعة والنشر - بغداد ١٩٨٠.

٣٨.- الدراسات اللغوية في العراق، في النصف الأول من القرن العشرين، د. عبد الجبار جعفر القزاز - منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر - بغداد - دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨١.

٣٩.- الدراسات اللغوية والنحوية في مصر. منذ نشأتها حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د. أحمد نصيف الجنابي - دار التراث العربي - القاهرة - ١٩٧٧م.

٤٠.- الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، د. فاضل صالح السامرائي، دار النذير للطباعة والنشر والتوزيع - مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٧٠.

٤١.- الدرس النحوي في بغداد - د. مهدي المخزومي، وزارة الاعلام، جمهورية العراق - مطبعة السعدون - بغداد١٩٧٤.

٤٢.- دروس في المذاهب النحوية - د. عبدة الراجحي - مؤسسة جواد للطباعة والتصوير، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان ١٩٨٠.

٤٣.- شرح الحدود النحوية - عبد الله بن أحمد بن علي الفاكهي (٩٧٢ هـ)، تحقيق: د. زكي فهمي الآلوسي، دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل ١٩٨٨.

٤٤.- شرح اللُّمع، ابن برهان العكبري ٤٥٦هـ - ط١ - مطابع كويت تايمز الكويت ١٩٨٤.

٤٥.- شرح المفصل، الشيخ موفق الدين بن يعيش (٦٤٣ هـ) - عالم الكتب - بيروت.

٤٦.- شرح المقدمة المحسبة، طاهر بن أحمد بن بابشاذ (٤٦٩ هـ) تحقيق:

خالد عبد الكريم، ط١، الكويت١٩٧٦.

٤٧.- شرح الوافية نظم الكافية - أبوعمرو عثمان بن الحاجب النحوي (٦٤٦ هـ) تحقيق: د. موسى بناي العليلي، مطبعة الآداب في النجف الأشرف ١٩٨٠.

٤٨.- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، جمال الدين بن مالك الأندلسي (٦٧٢ هـ)، تحقيق: د. طه محسن، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، طبع دار أفاق عربية للصحافة والنشر - بغداد ١٩٨٥.

٤٩.- الصاحبي، أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥ هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر - مطبعة عيسى الحلبي - القاهرة(د. ت).

٥٠.- ضحى الإسلام، أحمد أمين، ج٢، (يبحث عن نشأة العلوم في العصر العباسي)، ط٧ - الهيئة المصرية للطبع والنشر.

٥١.- طبقات النحويين واللغويين - أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (٣٧٩ هـ)، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر ١٩٨٤.

٥٢.- ظاهرة الشذوذ قي النحو العربي، د. فتحي عبد الفتاح الدجني، ط١ - توزيع، ن والقلم - بيروت - لبنان، الناشر وكالة المطبوعات - الكويت ١٩٧٤.

٥٣.- ظهر الإسلام - موسوعة أحمد أمين الإسلامية، ج٢، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

٥٤.- العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية، لعبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ)، شرح الشيخ خالد الأزهري(٩٠٥ هـ)، تحقيق: البدراوي زهران، ط٢، دار المعارف بمصر ١٩٨٨.

٥٥.- عيسى بن عمر الثقفي، نحوه من خلال قراءته، صباح عباس سالم، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت، دار التربية، بغداد ١٩٧٥.

٥٦.- الغرة المخفية لابن الخباز (٦٣٩ هـ)، في شرح الدرة الألفية لابن معط (٦٢٨هـ)، تحقيق: حامد محمد العبدلي، ط١، دار الانبار - مطبعة العاني - بغداد - الرمادي ١٩٩١.

٥٧.- الفراهيدي عبقري من البصرة، د. مهدي المخزومي، ط٢. دار الشؤون الثقافية - مطبعة الجمهورية - بغداد١٩٨٩.

٥٨.- الفهرست، ابن النديم، أبوالفرج محمد بن اسحق (٣٨٠هـ)، تحقيق رضا - تجدد - طهران.

٥٩.- في تاريخ العربية، أبحاث في الصورة التاريخية للنحو العربي، د. نهاد الموسى.

٦٠.- القياس في اللغة العربية، محمد الخضر حسين، المطبعة السلفية ومكتبتها - القاهرة ١٣٥٣ هـ.

٦١.- القياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة، محمد عاشور السويح، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان - مصراته، الجماهيرية العربية الليبية - دار الكتب الوطنية - بنغازي ١٩٨٦.

٦٢.- الكافية في النحو لابن الحاجب النحوي ٦٤٦ - شرح الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابإذي ٦٨٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د. ت).

٦٣.- الكامل، أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥ هـ)، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، والسيد شحاتة - دار نهضة مصر بالفجالة، (د. ت).

٦٤.- الكتاب - أبوبشر عمرو بن عثمان سيبويه (١٨٠ هـ) - تحقيق: عبد السلام محمد هارون - مكتبة الخانجي القاهرة، دار غريب للطباعة ١٩٨٨م.

٦٥.- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، أبوالقاسم الزمخشري المطبعة البهية المصرية، سنة١٩٢٥م.

٦٦.- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (١٠٦٧هـ).

٦٧.- اللغة العربية وعلومها - عمر رضا كحالة - مكتبة النسر بدمشق، دار المعلم العربي - المطبعة التعاونية بدمشق١٩٧١م.

٦٨.- اللغة والنحو بين القديم والحديث، عباس حسن، ط٢، دار المعارف بمصر ١٩٧١.

٦٩.- لمع الأدلة في اصول النحو: أبوالبركات الأنباري - مطبوع مع الاغراب في جدل الإعراب. تحقيق سعيد الافغاني، ط٢، دار الفكر بيروت ١٩٧١.

٧٠- مجالس ثعلب - أبوالعباس أحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٣، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩.

٧١- المدارس النحوية - د. خديجة الحديثي - مطبعة جامعة بغداد ١٩٨٦.

٧٢- المدارس النحوية - د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر ١٩٦٨.

٧٣- المدارس النحوية أسطورة وواقع - د. إبراهيم السامرائي، ط١ دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان ١٩٨٧.

٧٤- المدخل الى دراسة النحو العربي في ضوء اللغات السامية - د. عبد المجيد عابدين، ط١، مطبعة الشكشي بالأزهر بمصر ١٩٥١.

٧٥- مدرسة البصرة النحوية نشأتها تطورها - د. عبد الرحمن السيد، ط١، توزيع دار المعارف بمصر، مطابع سجل العرب، القاهرة ١٩٦٨.

٧٦- المدرسة البغدادية في تاريخ النحو العربي، د. محمود حسين محمود، ط١، الشركة المتحدة للتوزيع - مؤسسة الرسالة، دار عمار عمان ١٩٨٦.

٧٧- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، د. مهدي المخزومي، ط٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٥٨ م.

٧٨- المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، د. عبد العال سالم.

٧٩- مراتب النحويين، أبوالطيب اللغوي (٣٥١هـ)، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، (د. ت).

٨٠- مراكز الدراسات النحوية - د. عبد الهادي الفضلي، ط١، مكتبة المنار، الاردن - الزرقاء ١٩٨٦..

٨١- المركب الاسمى الاسنادي وانماطه من خلال القرآن الكريم - د. أبوالسعود حسنين الشاذلي، ط١، دار المعرفة الجامعية اسكندرية ١٩٩٠.

٨٢- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الامام جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ)، تحقيق: محمد جاد المولى بك ومحمد أبوالفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ١٩٨٧.

٨٣- مسائل خلافية في النحو - أبوالبقاء العكبري، تحقيق: محمد خير

الحلواني منشورات مكتبة الشيماء بحلب(د. ت).

٨٤.- المسائل السفرية في النحو - ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ)، د. حاتم صالح الضامن، ط١، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٣.

٨٥.- المسائل العسكرية - أبوعلي الفارسي ٣٧٧هـ، تحقيق: د. محمد الشاطر محمد أحمد، ط١، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر ١٩٨٢.

٨٦.- المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، أبوعلي النحوي ٣٧٧هـ، تحقيق: د. صلاح الدين عبد الله السنكاوي، مطبعة العاني - بغداد.

٨٧.- مسائل النحو الخلافية بين الزمخشري وابن مالك، د. فهمي حسن النمر، دار الثقافة للطباعة الرشيد للنشر، المطبعة الوطنية - الاردن ١٩٨٢.

٨٨.- المقتضب - أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥ هـ)، تحقيق: عبد الخالق عضيمة - عالم الكتب بيروت.

٨٩.- مقدمة ابن خلدون، دار العودة - بيروت ١٩٨١.

٩٠.- المقدمة الآجرومية - لابن آجروم الصنهاجي (٧٢٣هـ) ويليه: (التحفة السنية، شرح المقدمة الآجرومية) للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد (١٣٩٣هـ) - تقديم وإشراف: د. عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي ط١، مطبعة النواعير - دار الانبار - بغداد - ١٩٩١.

٩١.- مقدمة في تاريخ العربية - د. إبراهيم السامرائي - الموسوعة الصغيرة (٥٣) منشورات وزارة الثقافة والاعلام - جمهورية العراق، تشرين الثاني ١٩٧٩.

٩٢.- مكانة الخليل بن أحمد في النحو العربي - د. جعفر نايف عبابنة، ط١، دار الفكر للنشر والتوزيع ١٩٨٤.

٩٣.- ملك النحاة حياته وشعره ومسائله العشرة مع رد العالم اللغوي ابن برّي - د. حنّا جميل حداد - جامعة اليرموك١٩٨٢م.

٩٤.- من اعلام البصرة، سيبويه، هوامش وملاحظات حول سيرته وكتابه - د. صاحب أبوجناح - منشورات وزارة الاعلام، دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٤.

٩٥.- من تاريخ النحو - سعيد الافغاني - دار الفكر - بيروت، (د. ت).

٩٦.- مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في

العالم الإسلامي - د. علي سامي النشار - ط٢، طبع دار نشر الثقافة / الأسكندرية - دار المعارف ١٩٦٧.

٩٧.- مناهج في التفسير - د. مصطفى الصاوي الجويني - منشاة المعارف بالأسكندرية - جلال خري وشركاه، طبع شركة الأسكندرية للطباعة والنشر.

٩٨.- منهج ابن هشام في شرح بانت سعاد - د. محمود سليمان ياقوت، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع - الدوحة - قطر ١٩٨٦.

٩٩.- منهج أبي سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه، د. محمد عبد المطلب البكاء، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٠.

١٠٠.- منهج الأخفش الأوسط في الدراسة النحوية - عبد الأمير الورد، ط١، مؤسسة الأعلمي - بيروت، دار التربية - بغداد ١٩٧٥م.

١٠١.- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث - د. علي زوين، ط١ - دار الشؤون والثقافة العامة - بغداد ١٩٨٦.

١٠٢.- منهج الزمخشري في تفسيره القرآن إعجازه - د. مصطفى الصاوي الجويني - دار المعارف، ط٣ - بمصر١٩٨٤.

١٠٣.- منهج كتاب سيبويه في التقويم النحوي - د. محمد كاظم البكاء، ط١، دار الشؤون الثقافية

١٠٤.- نزهة الألباء في طبقات الادباء، أبوالبركات كمال الدين عبد الرحمن بن الأنباري ٥٧٧ هـ، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي ط٢، مكتبة الأندلس - بغداد ١٩٧٠.

١٠٥.- نشأت الدراسات النحوية واللغوية في اليمن وتطورها، د. هادي عطية مطر الهلالي، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، شعبة الدراسات الأدبية واللغوية (٧٩)، دار آفاق عربية للصحافة والنشر - بغداد، مطبعة جامعة البصرة ١٩٨٤.

١٠٦.- نظرات في اللغة عند ابن حزم، سعيد الأفغاني، «محاضرة ألقيت في مهرجان ابن حزم والشعر العربي في مدينة قرطبة، بمناسبة مرور تسعمائة عام على وفاة الامام ابن حزم الأندلسي» مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٣.

١٠٧.- نظرات في اللغة والنحو، طه الراوي، ط١، المطبعة التجارية منشورات المكتبة الاهلية - بيروت ١٩٦٢.

١٠٨.- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للامام جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية الكويت ١٩٧٧.

١٠٩.- وفيات الاعيان، ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (٦٨١هـ)، تحقيق الدكتور احسان عباس، دار صادر - بيروت.

١١٠.- يونس البصري حياته وآثاره ومذاهبه، د. أحمد مكي الأنصاري، مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم.

المبحث الخامس

جهود الدكتور مصطفى جمال الدين

في التجديد والاصلاح والتيسير النحوي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين. وبعد.........

فقد عرفت الشاعر الدكتور السيد مصطفى جمال الدين - أول عهدي به - في كتابه: (البحث النحوي عند الأصوليين). أيام كنت اجمع جهود النحويين المعاصرين من أصحاب محاولات التيسير النحوي، لكتابة أطروحتي - الدكتوراه الاولى -: «الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة» سنة (١٩٩٣)، عرفته عالما فريدا من نوعه بين أقرانه من النحاة المعاصرين - الاكاديميين، وكنت قبل ذلك اعرفه واحدا منهم من غير الوقوف على عبقريته الفذة التي فاق بها أقرانه آنذاك. وكنت منشغلا بكتابة الأطروحة وجمع مادتها العلمية، فحال ذلك دون رغبتي الشديدة في الاطلاع على فكره النحوي والأصولي وأدبه العالي حتى استكتبني الصديق الأستاذ الاعلامي علي الشمري طالبا مني مساعدته في كتابة بحثه عن الدكتور (مصطفى جمال الدين) وجهوده اللغوية ونتاجه الأدبي. وكان قد بدأ ثم توقف للصعوبة التي واجهها في دراسة فكر الدكتور (جمال الدين) لعمقها ودقتها وتشعبها، ولكوني أحد المتخصصين في بعض المجالات العلمية التي برع بها الدكتور جمال الدين.

وقد رحبت بالفكرة على الرغم من مشاغلي العلمية والإدارية في الجامعه لكون ذلك يحقق لي رغبة قديمة كنت قد عزمت عليها. وما يزال في نفسي شيء منها، فضلا عن رغبتي في تتبع جهوده العلمية والأدبية وآرائه الجديدة. فقد كنت

أرى لديه علما جما يحتاج الى المزيد من البحث والجهد لاستفادة منه. فكتبت هذا البحث فضلا عن مراجعة ما كتبه الأستاذ علي الشمري وما أضفته من مباحث لكتابه: (الدكتور مصطفى جمال الدين بين المحافظة والتجديد). لذا أتقدم بالشكر والثناء للأستاذ علي فضيلة الشمري، اذ أسهم في تحقيق رغبتي العتيقة.

المبحث الأول: سيرته وجهوده في الاصلاح والتجديد:

ولد الدكتور مصطفى جمال الدين في (قرية أم المؤمنين) وهي إحدى قرى سوق الشيوخ احد أقضية محافظة ذي قار (الناصرية) المنتفك سابقا في ١١/٥/ ١٩٢٧م الموافق١٣٤٦هـ.

وتلقى دروسه الأولى في كتاتيب القرية، ومن ثم الابتدائية في ناحية كرمة بني سعد، وما ان أكمل المرحلة الرابعة حتى انتقل إلى النجف الاشرف. عرف عنه النبوغ المبكر والذكاء الحاد فدرس العلوم الحوزوية، أكمل مرحلة السطوح وانتقل الى مرحلة الخارج في بحث الامام السيد الخوئي (قدس) حيث كتب تقريراته في الأصول والفقه.

قدم الى جامعة بغداد لدراسة الماجستير واشرف على رسالته الموسومة ب: (القياس حقيقته وحجيته) العلامة السيد محمد تقي الحكيم ونال الشهادة بتفوق.

اما الدكتوراه فقد سجلها في القاهرة بإشراف المرحوم الشيخ (أبو زهرة) ولم يستطع إكمالها بسبب وفاة الأستاذ المشرف. فسجل في جامعة بغداد أطروحته: (البحث النحوي عند الأصوليين) بإشراف الدكتور مهدي المخزومي[1] وعلى الرغم من أنه كان مشغولا بتدرس أصول الفقه في كلية الآداب، والمنطق في كلية أصول الدين ويحاضر في كلية الفقه، مع استطاع الدكتور جمال الدين ان يحصل على شهادة الدكتوراه بدرجة (امتياز)[2] فضلا عن صعوبة موضوع الأطروحة التي لم يتطرق اليها غيره قبله.

(١) الدكتور مهدي المخزومي قالوا عليه إمام اللغة وهو نجل الفقيه الشيخ محمد صالح ونجل الشيخ الكبير حسن وهو من أسرة نجفية معروفة ولد في النجف الاشرف سنة ١٩١٩م ويعد انه من المجددين للفكر النحوي ومن إعلام النحاة.

(٢) ينظر كتاب ديوان العرب.

أدبه:

كان الدكتور مصطفى جمال الدين عالما، زاهدا، فقيها أصوليا، نحويا، عروضيا، شاعرا من الطراز الأول.

منذ صغره كان شاعرا موهوبا وزادت موهبته الادبية بعد انتقاله الى النجف الاشرف والدراسة بمدارسها الدينية لا سيّما الحوزة العلمية الشريفة. والنجف الاشرف كانت مدينة الشعر والشعراء وما زالت، وكان شعراؤها لا يبارون ومنهم الدكتور مصطفى جمال الدين والشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري وقد عده بعضهم خليفة للجواهري [١].

نظم قصيدته الاولى سنة ١٩٤٧ م وكان في العشرين من عمره [٢] وكان لعشقه الادب ينتمي او يترأس مجموعات ادبية منها مجموعة سوق الشيوخ التي عرفت باسم (الجبهة الشرقية) مقابل مجموعته في النجف بعد انتقاله اليها (الجبهة الغربية)[٣] ورأس (الرابطة الادبية) وكان عضوا من أعضاء (اسرة الأدب اليقظ) في النجف الأشرف التي كانت تتطلع الى كل ما هو جديد[٤].

تاريخ حافل بالنشاطات الادبية والعلمية، فقد اسهم في الحركة الأدبية في الأوساط التي عاش فيها، وكان نشطا بين شعراء جيله موجها للكثير منهم مؤثرا في الشعراء الواعدين بل كانت له مدرسة ينتمي اليها بعض الشعراء الموهوبين. وكان شاعرا من الرعيل الاول من شعراء عصره عرف بعذوبة شعره وجزالته، وبنائه المحكم، وبراعته في رسم الصور الشعرية، قال فيه الجواهري: تجد في أبيات جمال الدين الجمال والتأثير [٥] وهو من الشعراء الذين يعنون بشعرهم ويجودون في تهذيبه وتنقيته ولا يتعجل نشره. ويدل شعره على موهبة ورسوخ قدم في هذا الفن القولي الجميل، وفيه جودة الشكل المتمثل بذائقته اللغوية وكثرة استهوائه

(١) موقع الاخبار /مجموعة مهدي بيات ٢٠٠٩/٢/٣.

(٢) ينظر: سيد النخيل المقفى ٦٥ – ٦٩.

(٣) المصدر نفسه ٦٩ – ٧٠.

(٤) مقدمة ديوانه ٩٥.

(٥) ينظر سيد النخيل المقفى ٤٠٧.

للشعر القديم وطول معاشرة شعراء العربية وكذلك جودة المضمون وما اكتسب فيه من غنى بامتداد رؤيته الاجتماعية والسياسية، فهو فقيه حوزوي ولغوي جامعي وخبر التأليف العلمي وزاول التدريس في الجامعات لأكثر من عشرين عاما. بهذا كله جاء شعره عالي الطبقة رفيع المنزل لايمل المرء[١] قراءته.

لم يكن الشاعر جمال الدين شاعرا فحسب، بل كان ناقدا للأدب ذا ذائقه عاليه، وعالما بالادب عامه وبالشعر خاصه، وباحثا رصينا في قضايا الشعر والأدب ولا سيّما في موسيقى الشعر وأوزانه. فمن مؤلفاته في هذا المجال:

- التدوير في القصيدة المعاصرة، مجله الرابطة، العدد الأول سنه ١٩٧٥. في علم العروض.
- رأي في الشعر الحر - مجلة النجف، العدد (٨) سنه ١٩٦٣. نقد فيه كتاب نازك الملائكة: (قضايا الشعر المعاصر).
- الايقاع في الشعر العربي من البيت الى التفعيلة، تناول فيه أوزان الشعر العربي، طبع سنة ١٩٧١
- مسرحية جميل بثينة
- مسرحية غانم شمخ
- ديوانه الذي طبع سنه ١٩٩٤ وكان لا يحوي كل شعره، وانما ضم شعره المشهور، ثلاث مجموعات شعرية هي:

(عيناك واللحن القديم) و(قصائد عشقتها) و(ألحان الغربة).

فضلا عن ديوان شعر مخطوط باسم (بنات القلب) سنه ١٩٥٢ والقصائد التي نشرت في الصحف والمجلات المختلفة [٢] ناهيك عن مؤلفاته العلمية واللغوية التي أشرت إليها في الفصل السابق.

---

(١). قراءة نحوية في شعر مصطفى جمال الدين بحث منشور في المؤتمر الأدبي الاستذكاري ٢٠٠٣م ص ٩٥.

(٢) ذكر منها الأستاذ تحسين فاضل المشهدي ٣٦ قصيدة ينظر مصطفى جمال الدين جهوده وظواهر من شعره ٣٩ - ٤٠.

هجرته:

هاجر من العراق عام ١٩٨١ الى الكويت ومنها الى لندن ومن ثم الى الكويت مرة اخرى. اعتقل في الكويت عام ١٩٨٤ واودع السجن نتيجة وقوف الكويت مع صدام في حربه ضد الجارة المسلمة إيران. فخيروه ومن معه بين قبرص وسوريا(١).

وفاته:

وافاه الاجل المحتوم بعد مرض عضال في يوم الاربعاء ١٩٩٦/١٠/٢٣ الموافق ١٤١٦هـ. وكان على همة عالية حتى آخر أيامه. ودفن رحمه الله في العاصمة دمشق في مقبرة السيدة زينب (عليها السلام)(٢).

رحل الشاعر الكبير السيد مصطفى جمال الدين الى جوار ربه تاركا وراءه الذكر العطر والسيرة الحسنة والحب الذي يعمل في صدور عارفيه من ابناء شعبه وتقديرا ووفاء لعمله وادبه وشاعريته ولمواقفه من قضايا وطنه وأمته منح وسام استحقاق من الدرجة الممتازة بعد وفاته من قبل الرئيس السوري الراحل حافظ الاسد والقيادة السورية حيث وارى جثمانه الطاهر ترابه في الوقت الذي بخل عليه وطنه بأن يحقق له امنية طالما راودته وهي ان يدفن في المدينة التي احتضنته الى جوار جده امير المؤمنين (عليه السلام)(٣).

جهوده في الإصلاح والتجديد:

إن الدعوة إلى الإصلاح والتجديد والتغيير والتطوير ليس امراً هيناً ذلك ان ما يرسخ في الأذهان من مناهج ومعارف لدى المحافظين، يجعلهم يتصدون لمثل هذه الدعوات وهو أمر واجهه كل المجددين والمصلحين وتحملوا اعباء دعواتهم.

وعلى الرغم من معارضة (المحافظين) التي واجهها الدكتور مصطفى جمال الدين، لم يزده ذلك إلا إصرارا وتصاعداً لحملته. مستغلاً الاحتفالات الدينية التي

---

(١) الموسوعة الحرة.

(٢) الكوثر٧١ / ١٣ من اعداد علي موفق العبيدي والمجلة تصدر في النجف الاشرف.

(٣) راجع موقع الانترنت. ومصطفى جمال الدين جهوده وظواهر لغوية في شعره ١٧.

تقام انذاك. ففي قصيدة له رثى بها احد رجال الدين، سنة ١٩٥٢ م تحدث عن المحنة التي يعيشها الشباب في النجف الاشرف. ختمها في خطاب لشيوخ المجتمع الديني في الاستماع لوجهة نظر الشباب:

يا قوم حسبكم الخمول فقد مضى ... زمن بفطرتها تشت الرضعُ
والعصرُ عصرُ لا يشب وليده ... إلا ليعجبهُ المتقن المبدعُ
صونوا مناهجكم تصونوا دينكم ... وابنوا العقول يقمْ عليها مجمعُ
فالدين ليس يربه يسوسهُ ... شيخٌ بمحراب الدجى يتضرع

وقال في قصيدة اخرى سنة١٩٥٥ وهي من اشد القصائد عنفاً في النقد ودعوة للتجديد:

والفتنة الكبرى ومن آياتها ... ان الذي تنعى العديد الاوفرُ
حتى لتعذر ناقديك اذا ادّعوا ... عقم الطريق بما اتيت يبشر
فالدين قد غرسته قبلك عصبية ... المال دين وقلوبها المنكرُ
ومغالط من راح يقنع نفسه ... ان القتاد إذا اسقاه يثمرُ
والفتنة الكبرى بأن معاشراً ... (منا) تضيقُ بما ادّعيت فتنكرُ
حتى كأنك قلت: دين محمد ... متفسخ، ونظامه متأخرُ
ومن السعادة ان تكون مغفلا ... فتظن ان فساد قومك خيرُ

وهكذا استمر في دعوته للتجديد، مستغلاً كل مناسبة حتى وجد صدى لدعواته - وقبولاً من بعض الشباب الواعي فشاركوه في دعوته الى تجديد المناهج فكونوا تيارا دينيا يلتف حول (الصارية) التي كان يرفعها الفقيه المجدد الشيخ محمد تقي الحكيم، وسماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين.

وهكذا أثمرت دعوات التجديد التي كان رائدا فيها [1]. قال الدكتور جمال الدين: «وفي نهاية الخمسينات ١٩٥٨ اثمر جهدنا، فكان هذا التيار أول نواة للتغيير هي: (كلية الفقه) والمجلة العلمية الناطقة باسمها (مجلة النجف). وتضمن المنهج الذي اعد لهذه الكلية كثيراً مما كنا ندعو اليه من (مفردات) كان الطالب الديني

(١) ملامح في السيرة والتجربة الشعرية ٣٧.

بحاجة اليها [١]..»

ومن ثمار التغيير الأخرى «ان تغيرت بعض أساليب الدراسة في الحوزة نفسها وان بقيت على نظام الحلقات في المساجد، فقد ادخلت (الامتحانات الفصلية) وبعض الدروس الاضافية فيها، كما شدد في نظام القبول الجديد والدورات الطلابية [٢].

الدعوة إلى إصلاح مناهج الدراسة الدينية

لقد افرد الدكتور مصطفى جمال الدين عنوانا في مقدمة ديوانه هو (الدراسة الدينية ومحاولات تطوير المنهج) ففي حديثه عن محاولات تطوير منهج الدراسات الحوزوية عرض أسلوب الدراسة في الجامعة النجفية ومقرراتها وحاجتها لادخال بعض المفردات المعاصرة في منهجها وأخذها بأسلوب التطور في ادارة شؤونها بما تقتضيه ظروف (العصرنة) كما يسميها.. فذكر إن ذلك من أهم ما يشغل المجددين من طلبة هذه الجامعة واساتذتها بوصفه واحدا من الذين تخرجوا من هذه الجامعة وأخلصوا لها وحرصوا على أن تظل قاعدة إسلامية للمرجعية الدينية، قال: «كنت أحس بعمق الاهتزاز الذي تسببه مقررات هذه الجامعة وجمودها وعدم أخذها بأسباب التطور المطلوب لذلك كان شغلي الشاغل كشاعر يستطيع أن يوصل فكرة للناس باقرب وسيلة واكثرها اشارة لمخاطبة الذين يشعرون مثلي بهذا النقص والجمود أو الذين هم على استعداد للشعور به لذلك حشدت كل طاقتي وأنا أشارك في كثير من الحفلات التي تعقد لتكريم أحد مراجع الدين أو تأبينه[٣]»).

وقد شارك جمال الدين في أوائل الخمسينيات في حفلات تأبين الشيخ محمد رضا آل ياسين - وهو احد مراجع الدين العظام - بقصيدة نشرت في مجلتي (البيان) النجفية و(الالواح اللبنانية) تحدث فيها عن تطور الدراسة في الجامعة الأزهرية عندئذ طلب من مراجع الدين النظر بجدية للتطور الدراسة في الجامعة النجفية.

(١) المصدر نفسه ٣٧.

(٢) المصدر نفسه ٣٩.

(٣) مقدمة الديوان: ٤٣ - ٤٤.

إن المنهج المقارن الذي اتبعه الدكتور مصطفى جمال الدين في دراساته كان من أهدافه ونتائجه تيسير الفقه على المسلمين. من خلال ترجيح الآراء الفقهية الأكثر تمثيلا لواقع المسلمين المعاصر، والتي تسهم في إصلاح الواقع الذي يعيشه المسلمون، فضلا عن التقريب بين المذاهب الذي مر ذكره.

ومما انماز به الشاعر مصطفى جمال الدين انه كان يوظف الشعر لخدمة امته وشعبه، يعالج منه هموم وطنه وشعبه. ويستعمل شعره أيضا لتغيير الواقع العلمي والاجتماعي والسياسي في عصره، وتحريك الجمود الذي كان يغلف الحركة العلمية في بيئته، من ذلك انه حشد كل طاقاته مستعملا الشعر ليثير جمود مقررات الجامعة الدينية وعدم أخذها بجلباب التطور المطلوب. ذلك ان أقرب وسيلة لتوصيل الافكار الى الناس واكثرها اثارة لحماس ناقدي منهج الحوزة. فقد نظم قصائد كثيرة ناشد فيها مراجع الدين النظر بجدية لتطوير الدراسة في الجامعة الدينية النجفية، من ذلك قوله:

هـذه (المـناهج) أطمـار مهلهلـة   مرت على نسجها الاحداث والعصر
وسـوف يأتـي زمـان لاتـرون بهـا   الا خـيوطا لهمـس الـريح تنتـشر

وعلى الرغم من أهمية ذلك، والنتائج الفعالة التي وصل إليها في شعره من تغيير الواقع والجمود في المقررات المنهجية في الحوزة والحركة العلمية التي عاصرها.

المبحث الثاني: جهوده في التيسير النحوي:

عندما درست محاولات التيسير النحوي المعاصر وصنفتها على أقسام ومراحل مستقصيا اياها، لم اذكر محاولة التيسير النحوي لدى الدكتورمصطفى جمال في اطروحتي الدكتوراه الأولى: «الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة»[1]، ذلك اني على الرغم من اعجابي بكتابه (البحث النحوي عند الاصوليين) لكن قراءتي اياه كانت قراءة سريعة لضيق الوقت انذاك وانشغالي باستقصاء جميع محاولات التيسير النحوي، لذا كنت أظن انه بعيد عن التيسير

(١) كلية الآداب الجامعة المستنصرية سنة ١٩٩٦وقد طبعت في عمان، دار الضياء ٢٠٠٥.

النحوي لما يحويه من دراسات عقلية ومناقشة آراء الاصوليين وظننت أيضا أن عناوين كتبه الأخرى كذلك لا تتصل بالتيسير النحوي، وبعد اطلاعي على جهوده فيما بعد وجدتها في صلب تيسير النحو وتجديده. وسبب آخر جعلني استبعد محاولته ضمن محاولات التيسير النحوي المعاصر، والتصنيف الشامل الذي صنعته لها. هو ان الباحثين قبلي لم يعدوا الدكتور جمال الدين من اصحاب محاولات التيسير النحوي. وعلى الرغم من ذلك فقد بقي في نفسي منه شيء وعقدت النية لدراسته بعد الانتهاء من كتابة الدكتوراه.

مفهوم التيسير:

التيسير والتجديد والاصلاح والاحياء والتعديل والتقريب والتبسيط والوضع وغيرها، مصطلحات شاعت في العصر الحاضر، لكن المعاصرين لم يتفقوا كل الاتفاق على مدلولاتها، وثمة فرق بين مدلول كل مصطلح، وإنْ كانت تصبّ كلُّها في مجرى تيسير الدرس النحوي.

فأما (التيسير) فقد اختلف أصحاب التيسير في مفهومه، فمنهم من يراه: الالتزام بطرائق التدريس التربوي وتبويب النحو تبويبا حديثا [(١)]. وبعضهم يراه: معالجة منهج النحو معالجة حديثة بحيث يعتمد مناهج البحث اللغوي، الوصفية والمقارنة والتاريخية[(٢)] وبعضهم يراه: تغييرا في الأحكام والقواعد بحيث تحصل السهولة المطلوبة، إذْ إنّ غاية التيسير، التسهيل، والقضاء على كل صعوبة وعسر في تعلم النحو، وهو يجب أن لا يمس التركيب والاعراب [(٣)]. وبعضهم يراه: اختيار الأسهل من آراء القدامى [(٤)]، وبعضهم يراه مقصوراً على تجريد النحو من الدخائل

(١) ينظر: آراء وأحاديث في اللغة والادب، الحصري ١١٠. ومقدمة لدارسة لغة العرب ٤٦، ومن قضايا اللغة والنحو ١٢٢. ومشكلة الاعراب، طه حسين ٩٩، وحاضر اللغة العربية في الشام ٨٧، ونحو وعي لغوي ١٠٥. والاتجاهات النحوية الحديثة ٩٢.

(٢) ينظر: مدرسة الكوفة ٣٩٩، وفي النحو العربي نقد وتوجيه ١٥، ودارسات نقدية في النحو العربي ٦، والاتجاهات النحوية الحديثة٩٥.

(٣) تبسيط قواعد اللغة العربية، فريحة ٢١.

(٤) ينظر: مقال الأستاذ مصطفى السقا، مجلة آداب، جامعة فؤاد الاول ١٩٢٦، ديسمبر ١٥، وأبو زكريا الفراء، ونحو التيسير٣، ٧.

العقلية كالفلسفة والمنطق ونظرية العامل، وغير ذلك[١]، ومنهم من يراه: «تقريب النحو لمستويات الطلبة» [٢] و«تخليص النحو مما شابه من عسر في الفهم وصعوبة في التعليم[٣].

أمّا (التجديد) فهو اتجاه يدعو الى، تجاوز فكرة التيسير الى أبعد من ذلك للوصول الى تغيير في المنهج والاتيان بنحو جديد، ولا يعني دائما الانسلاخ من القديم والعزوف عنه برمته، بل هو محاولة لتفسيرالقديم تفسيرا جديدا يلائم العصر ويبقى على القديم، وهذا ما فعله الجواري وغيره من أصحاب التيسير[٤].

ولا تبتعد مصطلحات الاحياء، والاصلاح والتعديل، وإنما أريد بها عند أصحابها في المقام الأول، أن تكون سابقة وممهدة لكل عملية تيسير، ذلك انهم ينظرون الى نتائج التجديد والاحياء والاصلاح والتعديل نظرة المنتقي لتقديمه على وفق أساليب عملية وتعليمية يحددونها ويدعون اليها [٥].

محاولات التيسير النحوي:

ان محاولات التيسير النحوي كثيرة لا يمكن حصرها كلها ولكن يمكن تصنيفها كالآتي:

- تصنيف على وفق طبيعة اتجاه المحاولات: فقد صنّفها بعضهم [٦] على أربعة مذاهب:

الأول: أصولي سلفي، يرى أصحابه الرجوع الى الأصول من كتب المتقدمين والزهد في كتب المتأخرين.

والثاني: مذهب التهذيب والتشذيب: ويدعو أصحابه الى وضع كتب حديثة

---

(١) ينظر: مقال لغتي، د. أحمد مطلوب، المعلم الجديد، ٢٣ ج ١ ١٩٦٤ ص ١١٦.

(٢) د. نعمه العزاوي. مقابلة شخصية.

(٣) ينظر: أتجديد أم تيسير، جريدة القادسية ٢٦ حزيران ١٩٩٢.

(٤) ينظر: جهود الجواري في تجديد النحو، الضاد ج١٩٨٩/٢.

(٥) وهذا ما كان يراه: المخزومي والجواري والعزاوي. ينظر، مدرسة الكوفة ٣٩٩، ونحو التيسير ٣٩٩. وفي حركة تجديد النحو وتيسيره ١٢٢. والاتجاهات النحوية الحديثة ٩٠.

(٦) ينظر: نظرات في اللغة والنحو ٤٧ - ٥٢ ونظرات في مشكلات حياتنا اللغوية. د. هادي نهر، مجلة الضاد ج ١، شباط ١٩٨٨ ص٥١ وما بعدها.

تتناسب مع قابليات الناشئة من الطلبة على وفق المراحل الدراسية.

والثالث: مذهب الانقلاب والتجديد، يرى أصحابه أن نحذف ونزيد على أبواب النحو على وفق تعديل وترتيب جديدين.

والرابع: مذهب العجز والتقصير دعا أصحابه الى نبذ الفصحى، واستخدام العامية.

- تصنيف على وفق الموضوعات (١) مثل فكرة الغاء الاعراب، أو تبسيط المسائل النحوية عن طريق الاستنباط او التعديل، والدعوة الى الانتخاب والتلخيص والاهتمام بمذهب الكوفيين والاعتماد على القرآن، وغير ذلك.

- المحاولات الشاملة والجزئية (٢): وقد سماها بعضهم. المحاولات والدعوات (٣) واضعا بنظر الاعتبارشمول المحاولة أبواب النحو أو عدم شمولها في الدراسة والتفصيل (٤). وكانت محاولة الدكتور جمال الدين جزئية ذلك أنه لم يتناول جميع أبواب النحو، لكنها شاملة من حيث عنايته بأصول النحو والأسس التي شيد عليها. ولا سيما القياس. وقد قالوا:

إنما النحو قياس يتبع(٥)

- تصنيف على وفق الغاية والهدف (٦): ثمة محاولات اتجهت اتجاها خطيرا

---

(١) ينظر: الاتجاهات النحوية الحديثة ٢٤٨ - ٢٧٧. واتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي - لبنان ١٧٤ - ١٨٧، وجهود الباحثين المحدثين في تيسير العربية ١٨٥. وفي حركة تجديد النحو وتيسيره ١٢٧ وما بعدها.

(٢) ينظر: في اصلاح النحو العربي ٨٨، ٩٨، ١٧٣. وفي حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث ٥٢، ٥٦، ٧٠.

(٣) في النحو العربي نقد وتيسير ٦٢ - ٧٤.

(٤) مثل: كلا وكلتا، مصطفى السقا، وثلاثة اقتراحات في قواعد اللغة، محمد علي الكردي، واسم الفعل دارسة وطريقة تيسير، د. سليم التعيمي.

(٥) القائل: الكسائي امام المذهب الكوفي.

(٦) ينظر: اللغة والنحو بين القديم والحديث ٢٥٢، واللغة العربية بين حماتها وخصومها ٥٧ - ١٧٠، والعربية وعلم اللغة البنيوي ٨٧ وما بعدها واتجاهات البحث اللغوي - لبنان ٢/٣٨٧ - ٦٤٩ وفي علم اللغة العام، عبد الصبور شاهين ٢٦٠ - ٢٨٥، وبحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبد التواب ١٦٥ - ١٧٧. والنحو والتيسير، محاضرة د. فاضل السامرائي في =

مشبوها، متسترة بغطاء التيسير النحوي، فدعت الى الغاء الاعراب أو النحو والفصحى مثل جورج الكفوري، وأنيس فريحة، وسلامة موسى... وغيرهم وهي ترمي من وراء ذلك الى النيل من العربية والعروبة والإسلام. وكان الدكتور جمال الدين بعيدا عنها. ولا يروم في جهوده الا الاصلاح والتجديد والتيسير.

وكانت محاولة الدكتور مصطفى جمال الدين في تيسير النحو العربي جزئية من خلال آرائه المبثوثة في كتبه وبحوثه، حيث لم يفرد لها كتابا أو بحثا. لكنها كانت من أهم المحاولات التي تناولت النحو بالنظرة الثاقبة، والافكار اللامعة الجديدة آنذاك. لكن الدارسين الذين درسوا محاولات التيسير النحوي لم ينتبهوا اليها، على الرغم من أهميتها وعمقها. والسبب ربما يكمن بالموضوعات العقلية التي تناولها. فقد درس النحو من خلال دراسته لعلم الاصول والقياس الفقهي وغيرهما.

سأتناول المنهج الذي ينتمي إليه الدكتور مصطفى جمال الدين في جهوده النحوية:

- التيسير النحوي والعلوم الإسلامية:

ثمة منهج نحوي واضح المعالم، بارز الملامح، كبير التأثير في الدراسات النحوية القديمة خاصة. هو تأثر النحاة بالدراسات الإسلامية وبمناهجها كأصول الفقه، وعلم الحديث، والتفسير، وعلم الكلام، وعلم الخلاف والجدل وغيرها. فقد عايشت هذه العلوم، العلوم اللغوية ونشأت معها في بيئة واحدة لذا أثّر بعضها في بعض وأفاد منها[(١)] فما من كتاب من كتب اصول الفقه الا وقد شغلت منه موضوعات العربية كالنحو واللغة والبلاغة حيزا ليس بالصغير ولعل أظهرها وأميزها مباحث الشرط والاستثناء والحقيقة والمجاز ومعاني الحروف والأدوات» [(٢)]. وقد لحظت أنّ المذهب الظاهري في الأندلس شكل من أشكال هذا التأثر بالدراسات الفقهية

=

المجمع العلمي.... وغيرُ.

(١) ينظر: مناهج التأليف النحوي ٥، ٣٨٩، ومدرسة الكوفة ٤٧، ومدرسة البصرة ٣٥١ - ٣٦٠.

(٢) الاستغناء في احكام الاستثناء (مقدمة المحقق) ٣٦.

الذي اشتد في القرنين الخامس والسادس الهجريين على يد ابن حزم الأندلسي، وابن مضاء القرطبي، وهو منهج قام على العناية بظاهر النص وإبطال القياس[(١)].

وقد شاع تأثير العلوم الإسلامية في الدرس النحوي تأثيراً بارزا في القرنين السابع والثامن الهجريين في مصر والشام خاصة. فظهر اتجاه في النحو تميّز بدارسات مهمة واجتهادات كثيرة. وتميز أيضا بإنكار المجاز اللغوي الذي يدور في فلك الصفات الإلهية. وانكار ادعاء الزيادة في القرآن الكريم. والاحتجاج بالقراءات حتى الشاذّ منها، والدعوة الى الحمل على الظاهر في كثير من المسائل[(٢)] وخير مَنْ مثّل هذا الاتجاه: ابن الحاجب الفقيه النحوي (٦٤٦هـ)، فقد كان مبرّزا في الأصول، فقيها، كلاميا، كان أبو حيان ينعت كافيته بأنها (نحو الفقهاء) [(٣)]. وتأثر أبو البركات الأنباري(٥٧٧هـ) بالمسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة وترتيبها واسلوبها، في كتابه المشهور: (الانصاف في مسائل الخلاف) [(٤)] ومنهم أبو العباس شهاب الدين القرافي (٦٨٢ هـ)[(٥)]. تلميذ ابن الحاجب كان اماما بارعا في الفقه والأصول، ومنها كتابه: (الاستغناء في أحكام الاستثناء). حاول القرافي فيه التوفيق بين الأصوليين والنحاة في باب الاستثناء [(٦)] والحافظ العلاني ابن كيْكلدي[(٧)] (٧٦١هـ)، كان اماما

(١) ينظر: تاريخ بغداد ٣٨٤/٨، والاحكام في اصول الأحكام ٧١/١، ٥٥٧/٧، ٩٢/٨، والردّ على النحاة ٢٩، ونظرات في اللغة عند ابن حزم ٢٢، وأبو حيان النحوي ٣١٦، وخصائص مذهب الأندلس النحوي ٢٥ وما بعدها.

(٢) لقد بذل بعض الباحثين جهدا للكشف عن هذا الاتجاه في النحو منهم: مصطفى جمال الدين في كتابه (البحث النحوي عند الاصوليين). وينظر تعريف بالكتاب للأستاذ محسن بن العربي، حوليات الجامعة التونسية ع ٢٤، ١٩٨٥ص ٤٤١. والدكتور عبد الفتاح الحموز في بحثه: (المذهب السلفي، ابن قيم الجوزية وشيخه ابن تيمية في النحو) مؤتة للبحوث والدارسات. مج ١ع١ حزيران ١٩٨٦ص١١ - ٧٠.

(٣) البحر المحيط ٦/١، بغية الوعاة ٢٨٢/١، وينظر: ابن الحاجب النحوي ٢٦٩.

(٤) ينظر: مقدمة كتاب الإنصاف ٥/١.

(٥) ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢٣٣/٦، وروضات الجنات ٣٣٧/٢، وحسن المحاضرة ٣١٦/١.

(٦) ينظر تفصيل ذلك في: مقدمة تحقيق الكتاب: د. طه محسن ٦٠ - ٧٥.

(٧) ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٣/ ٤١٠، وطبقات الشافعية الكبرى ٣٥/١، وهدية العارفين ١/ ٣٥١.

في الفقه والنحو والاصول لكنه برع في الحديث حتى عُدّ من الحفّاظ، له مصنّفات كثيرة في الفقه والاصول والتفسير والحديث والنحو منها: (الفصول المفيدة في الواو المزيدة)، اتبع فيه المنهج المذكور الذي يربط بين النحو والعلوم الإسلامية. فهو «لا يقتصر في بحثه الواو على القضايا النحوية والصرفية، كما هو الحال في مصنفات النحاة الذين ألّفوا في الحروف، بل يضفي عليها من ثقافته الواسعة كل ما له تعلّق بالواو من الاصول والفقه والتفسير والبلاغة وغيرها»[(١)] ويمكن عد السيوطي في هذا الاتجاه، فله كتب في الفقه. وقد تأثر بمنهج الفقهاء في كتابه (الاشباء والنظائر) [(٢)].

أما موقف المحدثين من أصحاب التيسير من هذا الاتجاه في النحو، فقد اختلفوا فيه فرفضهُ بعضهم وعدّه سببا من أسباب تعقيد النحو [(٣)]. ونجد فئة اخرى دعت الى هذا الاتجاه، ورأته سبيلا من سبل التيسير المهمة، وأصلا لا بدّ من الرجوع اليه في فهم كيان النحو، وهو الاحتذاء بعمل الفقهاء وبمناهجهم التي تميل الى نبذ المشقة واختيار الرأي الأسهل والأيسر والأنسب كما فعل الفقهاء في العصر الحاضر مسايرة الحياة [(٤)]. لقد دعت هذه الفئة الى ربط النحو بالفقه واحتذاء مناهج الفقهاء في التأليف [(٥)].

وعلى الرغم من ان الموضوعات النحوية التي تناولها الدكتور جمال الدين عقلية في ظاهرها وذلك يتقاطع مع التيسير النحوي، الا انني بعد البحث في جهوده

(١) الفصول المفيدة ٢٥.

(٢) الأشباه والنظائر ١/٥، وينظر تفصيل ذلك في: السيوطي النحوي ٣٠٩ - ٣٢١.

(٣) تيسير العربية بين القديم والحديث ٣٩. وينظر أيضاً: ظاهرة الاعراب ١٥٥ - ١٧٧، وقضايا التقدير النحوي ١٠ - ٢٦.

(٤) ينظر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والآداب ١٧ - ٢٧. والاتجاهات الحديثة في تيسير النحو، محاضرة محمد أحمد يرانق ٧١. والنحو بين التجديد والتقليد ٨٤، ودارسات لأسلوب القرآن / القسم الأول ج ٢ص٢. واثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الاحكام من آيات القرآن ٣٣٤.

(٥) مثل كتاب محمد عبد الخالق عضيمة الكبير (دارسات لاسلوب القرآن) قسم ١ج، ص٢.

اللغوية وآرائه ودراساته وجدته يبحث في صلب التيسير النحوي وكان يدعوا الى ذلك دعوات صريحة [1]. فضلا عن ذلك فإن تناوله لفلسفة النحو وجوهرها ومحاكمتها محاكمة عقلية علمية، ومن خلال ربطه بين النحو وعلم الاصول، يدخله ذلك ضمن التيسير النحوي. فابن مضاء القرطبي الظاهري (٩٢٥ هـ) الذي رد على النحاة نحوهم كان يصدر في ذلك من خلال مذهبه الفقهي الظاهري الذي رد على الفقهاء مذاهبهم الفقهية. فجاء بأفكار مبتكرة صدرت من جرأة كبيرة وفهم عميق للنحو، وذكاء وقاد تتفق مع المنهج اللغوي الحديث فقد دعا الى الغاء نظرية العامل التي أسس عليها النحو العربي، ودعا ايضا الى الغاء القياس والعلل الثواني والثوالث والتمارين النحوية وغير العلمية، ودعا الى تصنيف جديد للنحو، وغير ذلك مما املاه عليه مذهبه الفقهي الظاهري وثورته على المذهب المالكي، وانعكس على النحو ومع ذلك عد ابن مضاء القرطبي رائد التيسير النحوي، وهاديا لأصحاب التيسير المعاصر[2]. ولم تعرف محاولات التيسير النحوي ولم تبدأ الا بعد ظهور كتابه: «الرد على النجاة» على الرغم من الحاجة الماسة الى التيسير النحوي.

ولاينأى فهم الدكتور مصطفى جمال الدين ومناقشته لقضايا النحو المرتبطة بأصول الفقه، عن فهم ابن مضاء القرطبي كثيرا. لذلك يمكن عده من كبار أصحاب التيسير المعاصر. فمن آرائه النحوية التي يمكن ان تعد محاولة لاصلاح النحو وتجديده:

- «الاعراب ليس هو المعنى النحوي، ولا الدال على المعنى النحوي بل هو (علامة) ان الكلمة تحمل معنى نحويا خاصا، فالفاعلية والمفعولية مثلا معنى من هذه المعاني النحوية دل عليه اسناد الفعل بدال هو: اما تركيب الجملة كاملة او صيغة الفعل، وعلامة ذلك الضمة او الفتحة، بدليل ان هذه العلامة تفقد (علامتيها) احيانا كما في المبنيات، مع بقاء المعنى النحوي، هذا يدل على انه اثر من اثار

---

(١) ينظر مثلا: البحث النحوي عند الاصوليين٣٠٩.

(٢) ينظر: الرد على النجاة ٢٥، ٣٥، ٤٨، ٧٩ واصول النحو العربي، محمد عبد ٣٩. وابن مضاء القرطبي وآراؤه، معاذ السرطاوي ٨، ٤١، ٤٦.

الاسناد والاعراب»[١]. وهو رأي جديد، يسهم في تجديد النحو واصلاحه، وفي تطبيقه لتقديم نحو مدرسي أقرب الى حقيقة النحو وفهمه، لأنه يستند الى نظرة ثاقبة وفهم دقيق لجوهر النحو، ويدعو الى تصحيح مسار الدراسات النحوية.

- ومن آرائه في اصول النحو: ان اصول النحو لا تتعدى السماع والقياس، الا انه مورد الفقيه والنحوي منهما ليس واحدا لاختلاف نظر الوارد، ففيهما يخص السماع هناك نصوص مشتركة بين الفقهاء والنحويين اهمها القرآن والسنة، ولكننا يصعب التوحيد بين مناهج البحث فيها.

ان نظر النحوي الى النص القرآني يباين نظر الفقيه اليه فالاول يتعلق بالمضمون[٢] ومن آرائه: دلالة النص لدى النحوي قطعية ولدى الفقيه دلالة ظنية [٣].

- اما سائر الاصول عدا السماع والقياس وهي (الاجماع والاستحسان والاستصحاب) فهي الوهم منها اقرب الى الظن، وسبب ظهورها هو تقليد النحاة لمذاهب الفقهاء[٤]. ان اصول النحو وادلته هي الاسس التي استند اليها النحاة في ارساء قواعد النحو. ومناقشتها يعد اساس الاصلاح والتجديد، لبناء نحو مطرد لاتقاطع بينه وبين اصوله التي يبنى عليها.

- والدكتور جمال الدين من الاوائل الذين نبهوا الى أن قلة الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف يعود الى أسباب فكرية مذهبية وسياسية وللاوضاع المضطربة التي سادت بيئة النحاة الاوائل. وسخر من دعوى الرواية بالمعنى[٥]، واللحن في رواية الحديث.

- ومن نتائجه في كتابه (البحث النحوي عند الاصوليين) قال: «وأصل من ذلك كله الى ان ما قدمته هذه الرسالة من (نحو الدلالة) عند الاصوليين اقرب الى

---

(١) البحث النحوي عند الاصوليين ٣٩٩.

(٢) ينظر: مصطفى جمال الدين، جهوده وظواهر لغوية في شعره ٤٦.

(٣) ينظر سيد النخيل المقفى ١٣٨.

(٤) المصدر نفسه ١٧٠.

(٥) مصطفى جمال الدين، جهوده وظواهر من شعره ٤٧٥.

طبيعة الدرس النحوي من (نحو الاعراب) عند النحاة، كما أصل الى أن ما رآه الدارسون المعاصرون، من وجوب دمج ما توصل اليه عبد القاهر من علم (المعاني) بما توصل اليه النحاة من (علم الاعراب) ليكون لنا (نحو عربي) يعين على فهم اغراض العرب ومقاصدهم هو كلام على جانب من الوجاهة لولا انه يغفل ما بحثه الاصوليون من (نحو الدلالة) وهو في رأيي اقدم عهدا وأكثر دقة، واصوب نتائج مما قدمه علم المعاني، ولعل السبب في هذا الاغفال، ان ما قدمه عبد القاهر كان في متناول الدارسين اما ما قدمه الاصوليون فقد غلفه منهجهم العقلي بغلاف سميك يجعله بعيدا عن الدرس الحديث، ولذلك كانت هذه الرسالة[1].

وفي ضوء ما توصل اليه من نحو الدلالة ونحو الاعراب دعا في آخر كتابه إلى وضع نحو عربي جديد يقوم على ما قدمه الاصوليون من (نحو الدلالة) وما قدمه النحاة من (نحو الاعراب)، وماقدمه البلاغيون من (نحو الاسلوب) الذي وضحها في الرسالة.

العامل النحوي:

حظيت نظرية العامل بدراسات وأبحاث متعددة تناولت تعريفها ونشأتها وتاريخها والخلاف فيها وفي أقسامها. خلاصتها، إنّ الاعراب أثر يجلبه العامل، وإنهّ نشأ نشأة لغوية على يد النحاة الأوائل كالخليل وغيره، ثم بدأ تأثير الفلسفة والمنطق بعد سيبويه. وقد اتفق النحاة على أثر العوامل لكنهم اختلفوا في التفصيلات [2].

إنّ الدرس النحوي لا يمكنه الاستغناء عن العامل لأنه أيسر وسيلة لتعليم النحو، ولم يكن العامل سببا لتعقيد النحو كما زعم بعضهم ولا سيما العامل

(١) البحث النحوي عند الاصوليين ٢٩٩.

(٢) ينظر: العوامل المائة النحوية ١٥ وما بعدها، وثمار الصناعة ١١، ٣٤، ٧٦، وأصول النحو العربي ١٣٨ - ٤١٩، وظاهرة الاعراب في النحو العربي ٦١ - ٨٦، وقضايا التقدير النحوي ٧١، والعلامة الاعرابية ١٥٩ وما بعدها وباب التنازع عند النحويين، رسالة ماجستير ٦ وما بعدها.

اللغوي [١] الذي عرفه النحاة الاوائل، غير المتأثر بالمنطق الذي دخل مؤخرا فأفسد العامل [٢]، ومن أمثلته: الاعراب على الخلاف، والقصد اليه وغير ذلك مما تنبّه اليه القدامى كالخليل وسيبويه ومن تابعهما كابن الطراوة (٥٣٨ هـ) وتلميذه السهيلي (٥٨١ هـ) فقد فسرا كثيرا من حالات النصب في ضوء مفهوم المخالفة كالاستثناء وتمام الكلام مثل: (له عشرون درهما)، والقصد اليه مثل (سبحان الله) و(ويل زيد وويحه) [٣].

إنّ للعامل أهمية في التعليم لا بدّ لها وأعني العامل اللغوي المتجرّد من الشوائب كالفلسفة والمنطق التي علقت في اثناء رحلة النحو الطويلة. الى ذلك ذهب كبار النحاة المعاصرين مثل عباس حسن الذي كان يمثل الموقف المعتدل المتمثل بمراعاة جانب الانصاف لجهد القدامى العظيم مع دعوة الى تجرّد العوامل من التكلف والفلسفة، قال - مبينا أسباب الأخذ بالعامل - على الرغم من المشكلات التي يسببها: - «وإنما هو الأخذ بالأيسر عملا وتطبيقا وافادة على الرغم من أنه ليس هو الحق في الواقع المقطوع به، ذلك أنّ الواقع اليقين يقطع بأن الذي يجلب الحركات ويغيرها ويدار بينها انما هو المتكلم ما في ذلك شك، لكن لا بأس أن ننسى أو نتناسى هذا الواقع ما دامت الفائدة محققّه في النسيان او التناسي والضرر لا اثر له» [٤].

إننا لا ندعو الى الأخذ بكل ما جاء به القدامى بشأن العامل ولا نرفضه رفضا مطلقا، ونرى ضرورة الأخذ به بعد تجرده من التكلف والفلسفة والمنطق. إنّ العامل الذي نقبله هو الذي يفسر واقعاً لغويا، وذلك يربط الاشياء بأسبابها لا الذي يحاول

---

(١) هكذا سمّاه المخزومي وتابعه الدكتور أبو جناح. ينظر: مدرسة الكوفة ٢٦٠، والاعراب على الخلاف ٧٤.

(٢) ينظر: العلامة الاعرابية ١٦٧.

(٣) ينظر: الكتاب ١/٧٥، ٣٦٥، ٣٩٥، وشرح التصريح ١/٣٩٥، ونتائج الفكر للسهيلي ١/١١٠، وأبو الحسن بن الطراوة وأثره في النحو ٧٤٠. ومدرسة الكوفة ٢٦٠ - ٢٩٦. والاعراب على الخلاف في الجملة العربية ٧٣.

(٤) اللغة والنحو بين القديم والحديث ١٨٦، ١٩١، والنحو الوافي ١/٧٣، ٤٤١. وينظر: العلامة الاعرابية ١٩٠، وظاهرة الاعراب ١٨٥.

أن يخلق واقعا لغويا فيفسره.

ولقد تنبه بعض القدامى الى هدف التيسير من نظرية العامل ودورها في تسهيل تعلّم النحو وكان عبد القاهر الجرجاني خيرمن مثّل هذا الاتجاه، فقد درس العامل دراسة مفصّلة على وفق مراحل آخرها تؤدي الى النظم، وقد تابعه في ذلك بعض المعاصرين [١]. فثمة نحاة رفضوا المغالاة في التعليل والعامل دون أن يرفضوا نظرية العامل مثل ابن مضاء الذي قال بثلاث علل ولم ينكر أولاها وهي التعليمية، وهو ما أدعو اليه أيضا. وأخيرا أقول: لقد أثبتت أحدث نظرية لغوية هي: التوليدية صحة ما ذهب إليه النحاة المتقدمون بشأن أهمية العامل ودوره في الوقوف على الحقائق اللغوية التي ينتظمها التركيب وتحددها القواعد[٢].

موقف الدكتور جمال الدين:

أما موقف الدكتور مصطفى جمال الدين من العامل النحوي فلم يدع الى إلغائه كما دعا الى ذلك جل أصحاب محاولات التيسير النحوي المعاصر، لعلمه أن ذلك أمرلا يصح ولا بديل عن نظرية العامل في تعليم النحو ودراسته، لكنه كان يدعوا تشذيب هذه النظرية التي يؤسس عليها الدرس النحوي.

الخاتمة:

ان الدكتور مصطفى جمال الدين باحث غير تقليدي، ذلك أنه كان كثير النزوع إلى التجديد والابتكار. يتضح ذلك من خلال الموضوعات التي اختارها للدراسة في بحوثه وكتبه.

وقد عرف بنقده لمقررات الحوزة الدينية ومناهجها في الدراسة والتدريس. وبدعواته الصريحة إلى التجديد والإصلاح والإحياء. إصلاح المناهج وتجديدها وتيسيرها بما يناسب العصر ومتطلباته ومتغيراته وإدخال بعض المفردات المعاصرة في مناهجها لمعالجة الجمود فيها. وأخذها بأسباب التطور في إدارة شؤونها بما يناسب العصر الذي تعيشه. ذلك إن الحوزة قاعدة إسلامية للمسلمين، لذا كان ذلك

(١) ينظر: مقدمة تحقيق كتابه (العوامل المائة) ٣ – ٣٥، د. البدراوي زهران.

(٢) ينظر: تفصيل ذلك في (نظرية النحو العربي)، د. نهاد الموسى ٣٦، ٤١، و(النحو العربي والدرس الحديث)، عبده الراجحي ١٤، ١٤١.

شغله الشاغل، وقد سخرعلمه وأدبه لتحقيق ذلك الهدف ولا سيما في شعره لأن الشعر أكثر إثارة لحماس أصحاب التجديد والتيسير والإصلاح. وقد حشد كل طاقته وحرص على مشاركته بكثيرمن حفلات الحوزة العلمية لينقد مناهجها الدراسية ويدعو الى تجديدها، وبخاصة الحفلات التي تعقد لتكريم علماء الدين او تأبينهم. [١]

(١) ملامح في السيرة والتجربة الشعرية ٣١.

المبحث السادس
النحو وعلم الأصول
الدكتور مصطفى جمال الدين
أنموذجا

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين. وبعد.........

إنّ قضية تأثّر النحو بالعلوم العقلية (غير الإسلامية) كالفلسفة والمنطق اليوناني والنحو السرياني وما الى ذلك، قضية قد تناولها دارسون كثيرون، عرب ومستشرقون واختلفوا فيها، فمنهم من أيّد ذلك ومنهم من عارضه [(١)]. والقول الفصل في هذا إنّ هذه العلوم غير الإسلامية لم تؤثّر في نشأة علوم اللغة العربية، وإنما أثرت بعد أنْ شاعت ترجمة عدد من كتب الفلسفة والمنطق أي في القرن الرابع الهجري [(٢)].

إنّ هذا المنهج لا يعني أنّ النحاة قد سلكوا فيه مسلكا فلسفيا أو أنهم تأثروا بمناهج الفلاسفة، لكنه منهج واضح عند كثير من النحاة، الذين اعتنقوا مذاهب الاعتزال وعلم الكلام، وهو الطريق الذي فرض التأثير على النتاج النحوي.

---

(١) ينظر: تاريخ آداب اللغة العربية ١/٢٠٩، والبحث اللغوي عند العرب ٨٦ وما بعدها، واللغة والنحو ٢١٥ والحلقة المفقودة ٩ - ١٥، وتاريخ علوم العربية، ١ - ١٥، وبين منطق أرسطو والنحو العربي، المورد ج ٩ع١/١٩٨٠ ص١٩.

(٢) ينظر تفصيل ذلك في: مناهج البحث عند مفكري الإسلام ٣١٧، ومناهج التأليف النحوي ٣٨٩، ٤٢٧.

أمّا ملامح هذا المنهج فأهمها وأبرزها [١]: اتباع أساليب الحوار والجدل والحجاج [٢]، والعناية بالحدود التي اتجهت اتجاها منطقيا كما نجد ذلك في مؤلفات ابن كيسان والزجاج وابن الحاجب وابن عصفور [٣]، والتعليل وهو من أهمّ مظاهر التاثير بالمنطق اليوناني، وهو يختلف عن التعليل اللغوي أو النحوي الفطري. كما نجد ذلك عند أبي علي الفارسي وأبي البركات الأنباري وابن الحاجب [٤]، فضلاً عن كثرة ردود ألفاظ المناطقة والفلاسفة في بعض المؤلفات النحوية[٥].

لقد عارض عدد من النحاة القدامى هذا الاتجاه في النحو، وهاجموا النحاة الذين خلطوا بين النحو والمنطق ودعوا الى حمل كل صناعة على قوانينها المتعارف عليها [٦].

ولقد الفينا هذا الاتجاه العقلي في مؤلفات كثير من النحاة، فهناك جدل وتعليل واستخدام القياس لتأثرهم بالعلوم العقلية لا سيما الاعتزال وعلم الكلام، ومن هؤلاء أذكر الأخفش [٧]، الذي تعمّق بذلك حتى نقده رجل بأنّه يتكلم بما ليس من الكلام العرب، وقالوا عنه أنه كان «أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل»

---

(١) ينظر: مناهج التاليف النحوي ٣٩٣ وما بعدها.

(٢) يشيع ذلك في بعض مؤلفات الزجاجي وأبي البركات وابن الحاجب وابن عصفور وغيرهم ينظر: الإيضاح في علل النحو ٤٨، وأسرار العربية ١٦، وشرح الجمل لابن عصفور ٥٦/١. والرماني النحوي ٤٤، ١٤٥، والدارسات النحوية في مصر والشام٧١.

(٣) ينظر: الإيضاح في علل النحو ٤٨، وشرح الجمل ٩٢/١، ٥٠، الإيضاح في شرح المفصل ٦٢.

(٤) ينظر: الخصائص ٢٤٠/٣، وابن الحاجب النحوي ١٠٨، وأبو البركات الأنباري ١٩١ - ١٩٦، وأبو علي الفارسي، شلبي ٤٥٧.

(٥) ينظر مثلاً: الاقتراح ١٤، والزجاجي ومذهبه في النحو ١٠٣، والمدرسة النحوية في مصر والشام ١٢، والدرس النحوي في بغداد١٥٤.

(٦) منهم: ابن تيمية، والسيرافي في مناظرته متّى بن يونس وابن السيد البطليوس وغيرهم ينظر: المقاسات ١٧٢، وصون المنطق والكلام للسيوطي ١٣، والاحتجاج العقلي ٢٤ - ٢٦.

(٧) الامتاع والمؤانسة ١٣٩/٢، إنباه الرواة ٣٩/٢، معجم الادباء ٣٤٤/٤.

وكذلك الفراء كان كثير الاستخدام للعلوم العقلية وقد اشتهر بذلك [١]. وكذلك المازني اشتهر بالكلام والجدل [٢]. لقد ساد هذا الاتجاه بشكل واسع في القرن الرابع الهجري، بازدياد الترجمة، وكثرة المتخصصين بالفلسفة والمنطق كالفارابي (٣٣٩هـ) وابن سينا (٤٢٨هـ) وغيرهما، وقد قرأ بعض النحاة عليهم المنطق والفلسفة، ومزجوا بينهما وبين النحو. فقد قرأ ابن السراج المنطق على الفارابي، وقرأ الفارابي عليه النحو [٣] واستخدم الزجاجي كثيرا من اصطلاحات المناطقة [٤]. ونجد قمّة هذا الاتجاه عند الرماني فقد تميّز من نحاة عصره الذين اكتفوا بالمزاوجة بين المنطق والنحو كالفارسي، لكنه اعتمد العقل المجرد واتّكأ على المنطق اتكاء كبيرا، وشقّ لَه طريقا خاصا به، لذا استغرب النحاة أسلوبه في معالجة البحث اللغوي، فأنكر عليه الفارسي ذلك. وقد ألف في المنطق والكلام والجدل أكثر من النحو [٥].

ونجد هذا الاتجاه عند المتأخرين آخذاً شكلا آخر، يكاد ينأى عن حقيقة الدرس النحوي. فقد أصبحت الفلسفة والمنطق من سمات العصر ومباهاة النحاة باتقانهما، فقد كان الرضي[٦] مثلا: يحيل على كتب المنطق ويشيد بها وبأقوال الاصوليين والفقهاء. وكان يستخدم مصطلحاتهم، وهذا يفسر لنا اختياره كافية ابن الحاجب الفقيه الاصولي، ليشرحها. ونجد هذا الاتجاه أيضاً عند نحاة كثيرين في عصور متباعدة، وأقاليم مختلفة: في العراق ومصر والأندلس وغيرها [٧].

أما موقف أصحاب التيسير النحوي من هذا الاتجاه، فقد نقدوه بل هاجموه

---

(١) ينظر: معاني القرآن ١٢٣/٣، ١٤٦، ونزهة الالبّاء ٨٣، وأبو زكريا الفرّاء ٢٨٣.

(٢) الاحتجاج العقلي ٤٧.

(٣) ينظر: عيون الأنباء ٢٢٧/٣.

(٤) ينظر: الإيضاح في علل النحو ١٤، ١٧، ٦٤.

(٥) ينظر: الامتاع والمؤانسة ١٣٣/١، بغية الوعاة ٣٣٤، والرماني النحوي ٣٣٥، والاحتجاج العقلي ٩٦.

(٦) ينظر: شرح الرضي ٤/١، ١٣، ٦٦، ٩٧، ١٩٢، ٢٦٧/٢، ٣٥٨.

(٧) لقد تتبع ذلك الدكتور محمد الطريحي في رسالته للماجستير: الاحتجاج العقلي ١٦٥ - ٢٣٠.

وعدّوه سببا من أسباب تعقيد النحو العربي وصعوبته. وانتشار نظرية العامل والمعمول المرفوضة لديهم (1).

النحو والعلوم التأثر والتأثير:

للعلوم صلة بعضها ببعض، بعضها أصل لغيرها وبعضها فرع لأخرى. ومن خلال التلاقح والتمازج تتولد علوم جديدة، وقد أفرد علماؤنا القدامى رحمهم الله تعالى للعلوم مؤلفات صنفوها وعرفوا بها، مثل الفهرست لابن النديم، واحصاء العلوم للفارابي ومفاتيح العلوم للخوارزمي وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، ومفتاح السعادة لطاش كبري زادة وغيرها.

والذي يعنينا من ذلك أن الباحث الذي يرى الصلة بين العلوم ويحاول الربط بينها او الاستفادة منها في الموضوع الذي يدرسه هو الباحث المحقق المدقق الرصين. وفي العصر الحديث ظهر علم جديد اسمه: (الابستيملوجيا) أي فلسفة العلوم، وموضوعه الدراسة النقدية للعلوم، ويبحث في مبادئ العلوم وشروط المعرفة البشرية وقيمتها، ويرى أن العلوم مترابطة متشابكة تقوم بينها علاقة لا يمكن تجاهلها فلا بد من التركيز على وحدة العلوم وتوقف بعضها على بعض، أما الفصل بينها فصلا نهائيا «فليس سوى عمل تعسفي يضر بالتقدم المعرفي للبشرية». وان الدارسين المعاصرين في علم اللغة الحديث، يرون أن علم اللغة جزء من علم أعم منه هو: علم العلامات او(السيمولوجيا)، لكون اللغة مجموعة من الاصوات أي العلامات.

وعلم اللغة يستعين بعلوم أخرى في الدراسات الحديثة مثل علم الاجتماع العام، وعلم الاجناس البشرية وعلم الحياة العامة وعلم التشريح، والتاريخ والجغرافية، وعلم النفس وغيرها. إذ يرون أن الكلام ليس مجرد اصدار اعضاء الجسم الانساني لأصوات معينة، فذهن المتكلم وكذلك المتلقي يقومان بعمليات عقلية ونفسية تتحول فيها الاصوات إلى دلالات. وما إلى ذلك من الدراسات التي تخرج المعرفة باشكالها المختلفة لتصل إلى نتائج علمية رصينة. وفي تراثنا العلمي

---

(١) ينظر تفصيل ذلك في: مناهج تجديد ٧٨ - ٨٥، والعربية وعلم اللغة البنيوي ٣١ - ٤٨ والنحو العربي والدرس الحديث، بحث في المنهج ص٦١.

واللغوي نجد الأمر نفسه، فقد كان العلماء يمزجون بين المعارف في دراساتهم. ولا سيّما العلوم العقلية كالنحو والاصول وعلم المنطق ويرون صلة وثيقة بينهما، منذ نشأتها.

وكان الدكتور جمال الدين - رحمه الله تعالى - رائدا في دراسة هذه الصلة بين النحو وعلم الأصول، بعدما عزف المعاصرون عن السلوك في هذا الطريق من البحوث لعسرها، على الرغم من اثار المنطق وعلم الأصول الواضحة في علم النحو واصوله. وكان هدفه من البحث في (نحو الأصوليين) هو الإسهام في خدمة هذا الحقل من حقول المعرفة اللغوية التي عزف عنها معاصروه. لذلك لم يكن مألوفا بين الدارسين المتخصصين بفروع البحث اللغوي هذا النوع من الدراسات ويرى أن جهود الفقهاء والأصوليين في حقول اللغة العربية جديدة على دارسي علوم العربية. قال في مستهل كتابه: «البحث النحوي عند الاصوليين»: «موضوع قد يبدو غريبا على أقسام اللغة العربية في جامعاتنا. فكثير من الدارسين المحدثين لم يتيسر لهم الاطلاع على ما لهذا الحقل من المعرفة (أصول الفقه) في مشاركة الدراسة النحوية». واخذ عليهم أنهم لم يطلعوا اطلاعا واسعا على علم أصول الفقه وصلته بعلم النحو. واخذ على كبار علماء اللغة العرب المعاصرين. اهمالهم للصلة بين المعنى لدى الأصوليين والمناطقة، ثم قال: «من هذا الاحساس بغربة ما قدمه (أصول الفقه) للدرس النحوي بين اقسام اللغة العربية والمبدعين المجددين من اساتذتها، انطلقت فكرة هذه الرسالة لتكون صلة الرحم بين هذا البحث النحوي الغريب وبين الناشئين من أهله وذوي قرباه».

وبهدى من كتبه وغيرها اقترحت استحداث مادة للسنة التحضيرية للدراسات العليا (الدكتوراه / اللغة) باسم: (النحو والعلوم المجاورة، التأثر والتأثير). ولا سيّما علم الأصول والمنطق اللذين حفل تراثنا فيهما، واتصلا اتصالا وثيقا بالنحو العربي منذ نشأته وخلال تطوره. في ضوء اعادة النظر في مواد الدراسات العليا ومناهجها كل سنتين في الاقل لمواكبة التطور الحاصل في الاختصاص واضافة ما توصل اليه الباحثون. وقد عارض بعض الاساتذه المتخصصين لأسباب منها انها مادة جديدة، عسيرة على فهم الطلبة !!

وقد اقرت المادة بعد جهد كبير بذلته لكوني رئيسا لقسم اللغة العربية واللجنة العلمية. حدث هذا في عام ٢٠٠٤ /٢٠٠٥ فما موقف الذين عاصرهم الدكتور مصطفى جمال الدين في العصر الذي عاش فيه وكتب اطروحته؟ رحم الله مصطفى جمال الدين كان صادقا بكل أقواله.

ان التفاعل بين الفقه واصوله، والنحو واصوله صورة من صور الاتصال بين العلوم الشرعية وعلوم العربية ومنها النحو. ولا سيّما بعد تدوينها ونزوعها الى التحديد الواضح المعالم بعد ان كانت مختلطة. وان التأثر والتأثير بين النحو والفقه واصوله كان كبيرا ذلك ان علم اصول الفقه انما هو علم ادلة الفقه: (الكتاب الكريم والسنة الشريفة) فلا بد للفقيه ان يكون عالما باللغة واصولها محيطا باسرارها وقوانينها وكان ذلك شرطا في رتبة الاجتهاد وفرض كفاية [١] واول من ربط بين مسائل الفقه ومسائل النحو هو الامام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الامام أبي حنيفة في كتابه (الجامع الكبير) باب (الايمان) وكان يعجب له النحاة. وقد فتح لهم بابا واسعا في ذلك النمط من الدراسات [٢]. وكانت له مسائل اشتهرت مبنية على دقائق اللغة والنحو، وقد تعجب أبو علي الفارسي (٣٧٧هـ)من تغلغله بالنحو وكذلك اثنى عليه أبو بكر الرازي والاخفش والاوسط سعيد بن مسعدة والزمخشري وابن يعيش في شرحه لمفصل الزمخشري[٣] تدل على رسخ قدم صاحبها بعلم النحو وبناء الفقه على اصول علم النحو مثال قوله:

اذا قال: (أي عبيدي ضربك فهو حر)

فضربه الجميع (عتقوا) جميعهم

ولو قال (أي عبيدي ضربته فهو حر)

فضربه الجميع لم يعتق الا الأول منهم

ذلك ان الضمير لا عموم فيه الا اذا اسند الى فاعل عام الضمير: - - - - -
(ك) وأي = عموم الحكم

---

(١) مقدمة تحقيق الكوكب الدري للاسنوي ٤٢.

(٢) ينظر: التوصيلات: المصدر نفسه ٤١ - ٥٠.

(٣) ينظر شرح ابن يعيش ١٢٨.

- (ت) و(خبر مخاطب خاص)= حكم خاص.

ولقد ألحق الأصوليون بمولفاتهم مبحثا سموه (المبادئ اللغوية) او (الاصول اللفظية) او (مباحث الالفاظ) تكاد تربو على نصف حجم كتبهم، شملت كثيرا من أبواب النحو والصرف والبلاغة واللغة، ومعظمها مباحث أصلية هي أكثر دقة وشمولا من دراسة النحويين واللغويين[١].

وثمة خلاف بين المباحث اللغوية للأصوليين وبين ما ملأ به بعض النحاة والفقهاء كتبهم من المسائل التي خرجوها مخارج نحوية. وهذا ينأى عن تأثر النحاة بالفقه والفقهاء أي ان التأثر والتأثير كان متبادلا وقد شاعت هذه الظاهرة في العصور المتأخرة وفي الغالب كان تأثير النحاة للفقهاء والاصوليين في وضع كتب على غرار كتبهم نحو الانصاف لابي بركات الانباري رتبه على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة ومن أشهر الكتب التي خرجت بين النحو واصول الفقه: الخصائص لابن جني، وكتب ابن الحاجب، واماالي السهيلي ونتائج الفكر للسهيلي، وبدائع الفوائد لابن قيم الجوزية والاستغناء في احكام الاستثناء للقرافي، والفصول المفيدة في الواو المزيدة لابن كيكلدي. وأهم مصدر جمع ما تفرق من المسائل في كتب الفقه والنحو: (الكوكب الدري في تخريج القواعد النحوية على الأصول الفقهية) لجمال الدين الاسنوي ٧٧٢هـ وهو درس عملي للتفاعل بين النحو والفقه، الذي بدأه الامام محمد بن الحسن الشيباني. وقد جمع الفروع الفقهية منزلة على القواعد النحوية وعد المسائل النحوية هي الأساس الذي تبنى عليه الاحكام الفقهية. فالنحو أصل في الكتاب، والفقه فرع مبني عليه.

اما منهجه فكان يذكر المسألة النحوية اولا ثم يتبعها بالمسألة الفقهية ثم يستخلص الحكم الفقهي المبني على تفصيل القواعد النحوية يذكر المسالة النحوية مهذبة منقحة مختصرة. ثم يذكر مايتفرع عليها من الفروع الفقهية [٢].

لكن الدراس لا يجد كبير فائدة من هذا النوع من الدراسات، ذلك انها لا تضيف جديدا مهما للدرس النحوي. قال محقق كتاب الكوكب الدري: الدكتور

(١) المصدر نفسه ١٤/١.

(٢) ينظر تفصيل ذلك، مقدمة تحقيق كتاب الكوكب الدرسي ١١٧وما بعدها.

محمد حسن عواد بعد سرد الروايات في ذلك: «ان الجهد النحوي في اتخاذ طرائق النحو أساسا تقام عليه مسائل الفقه، لم يتصف بالجدية التي اتصف بها الجهد الفقهي المبذول من قبل الفقهاء، ذلك ان الرويات التي سقناها بشكل عام أدخل في باب الملح والنوادر منها الى تأسيس فن من فنون قائم على ربط علمي الفقه والنحو كل منهما بالآخر» (١).

تكمن عبقرية الدكتور مصطفى جمال الدين في انه درس الموضوع دراسة أضافت جديداً للفكر النحوي والأصولي كلاهما. ولم يشغل نفسه بالدراسة الشكلية للفقهاء والنحاة المتمثلة بالروايات التي هي أقرب الى الملح والنوادر من العلم الرصين المحدد. مركزاً على الدلالة التي هي هدف العلماء، موضحا العلاقة بين الاصولي والنحوي. مبينا مقدار حاجة الاصوليين الى علم النحو وطبيعة بحثهم، وقيمة النتائج التي توصلوا اليها (٢) مثيراً قضايا علمية مهمة مناقشا مسائل فكرية ودقيقة، مقيما الجهد الذي بذله الأصوليين في دراسة اللغة المتمثلة بالنص القرآني، مفرقا بين امرين مهمين للوقوف على قيمة النحو الاصولي هي:

أكان الاصوليون في استنباطهم الدلالة النحوية معتمدين على ما قرر النحاة: سيبويه والمبرد وغيرهما، أم توصلوا الى تلك الدلالات باستقرائهم للغة العرب واستنتاجاتهم نحوا سواء كان موافقاً ام مخالفاً لنحو اللغويين. وبذلك ستكون دراسته ذا فائدة كما يقول (٣) ويرى توقف ذلك على وجهة نظرهم في وجوب الاجتهاد في العربية وعدم وجوبه. وعلى مخالفتهم للنحويين واعتبار ما توصلوا اليه حجة على ما توصل اليه النحاة. وهل اضافوا شيئا غفل عنه البحث النحوي (٤) وتوصل إلى أن الأصوليين بذلوا جهدهم في مجال اقرب الى الطبيعة النحو مما بذله النحاة (٥). امثال ابن حزم الظاهري، كذلك بحوث المدرسة الاصولية في

(١) المصدر نفسه ٤٨.

(٢) ينظر: البحث النحوي عند الأصوليين ٣٨.

(٣) المصدر نفسه ٤٥.

(٤) المصدر نفسه ٤٥.

(٥) المصدر نفسه ٤٤٧.

النجف الاشرف في دلالته عندهم على الزمن بمادته وهيئته [١].

قال رحمه الله: «ركز الأصوليون موضع نظرهم فيما تدل عليه الأداة والصيغة والتركيب الخاص من معنًى نسبي يساعد على ربط ألفاظ اللغة بحيث تؤدي ضمن ربطها معناها المعجمي الخاص مع المعنى الذي وظفت الكلمة للتعبير عنه في اثناء التأليف، وهذا هو النحو عندهم لا ترتيب العرب لكلامهم الذي نزل به القرآن الكريم، وبه يفهم معاني الكلام التي يعبر عنها باختلاف الحركات وبناء الالغاء [٢] اما النحاة فقد ادركوا هذه المعاني النحوية وقد وصفوا اصطلاحات: الفاعلية والمفعولية وغيرها، لكن النحاة المتأخرين اشتغلوا بعمل الالفاظ والتحدث بالحركات، لذا يرى حصيلة بحث الاصوليين هو ما نستطيع ان نسميه بـ(نحو الدلالة) وحصيلة بحث النحويين هو ما نسميه بـ(نحو الاعراب)[٣].

لكنه لم يبخس النحاة جهدهم وما توصلوا اليه من قواعد، ويرى ان (نحو الاعراب) فصل من فصول نحو الدلالة (نحو الاصوليين)، لكن يجب أن يكون فصلا من فصول الدرس النحوي وليس هو كل الدرس النحوي[٤].

فهو يقارن بين الجهدين في تأسيس النحو العربي جهد النحاة وجهد الأصوليين، ويحكم منصفا بعد دراسة دقيقة واستقصاء شامل الآراء للفريقين وجهودها وما لهما وما عليهما. وقد حدد مآخذ على نحو الأصوليين، ونقد نظريتهم لأنهم يرون في ان المادة النحوية هي اصل المشتقات المشتركة وان الموضوعات النحوية عندهم لا تصلح للاستدلال عليها بالقياس البرهاني ما لم يتم التسليم بمقومات القياس عن طريق الاستقراء التام. فالاستقراء اذن هو الدليل لا القياس[٥].

ومما أخذ عليهم أيضا ضعف الاستقراء للغة، قال: «كانوا ضعيفي الاستقراء فلم أجد لهم.. او للمتأخرين منهم على الخصوص من استدل على وظيفة نحوية

(١) المصدر نفسه ٥٤.

(٢) الاحكام في اصول الاحكام لابن حزم ١٩٣/٢.

(٣) البحث النحوي عند الاصوليين ٢٩٨.

(٤) المصدر نفسه ٢٩٨.

(٥) المصدرنفسه ٣٠.

بالاستقراء الخاص لكلام العرب او بتحقيقه لما ادعاه النحويون من الاستقراء بل كانوا في الغالب يصدرون - دون تمحيص - كما ادعى النحاة الاستقراء فيه، حتى اخذ عليهم بعض كبار الاصوليين كالفخر الرازي في المحصول»[١]. وقال: «وفي رأيي ان هذه البحوث على طرافتها ودقة ملاحظاتها لا تضيف للبحث النحوي شيئا. فنحن بعد ان حددنا وظيفة النحو بمعرفة الطرق والقواعد العامة لتأليف الجملة العربية يكفينا هنا ان نعرف دلالة الاجزاء التي تتركب منها الجملة ومقدارها اثر كل جزء في صياغة معناها العام»[٢].

منهجه واهدافه العلمية وتنوع ثقافته:

إن أولى السمات لكل قائد أو عالم مبرز، النأي عن الأهداف الذاتية الضيقة ليحمل هموم الأمة والدين والشعب. فقد حمل الدكتور جمال الدين هموم وطنه وقضايا المسلمين فكان يسعى إلى التقريب بين المذاهب الفقهية منذ كتاباته الأولى وتجلى ذلك في رسالته للماجستير: (القياس، حقيقته وحجيته) حيث التزم المنهج المقارن بين المذاهب الفقهية للمسلمين من خلال دراسة التراث الفقهي ومقارنته بهدف تقليص الفجوات بينها وتوحيد المسلمين المختلف طوائفهم وتقليص شقة الخلاف بينهم. كان ذلك من أهم أسباب اختيار الموضوع. ونرى هذا الهدف واضحا في بحوثه الأخرى. لكن موضوع القياس أهم أصل من أصول الفقه الإسلامي لدى المذاهب وأكثرها خلافا، بل كان سببا لخلاف الأمة، لذلك اختاره للدراسة العلمية الرصينة الموضوعية توصل إلى إن اختلاف المذاهب إنما هو في الفروع، بحيث لا يتناسب حجم اختلافهم في الأصول مع كثرة الخلاف في الفروع[٣] وقد أدهشه عدم الدقة والتثبت في نسبة الأقوال إلى أصحابها، والخلط بين الأقوال نفسها، فنسبوا إلى الامامية والزيدية وأهل الظاهر وغيرهم، أقوالا لم تصدر منهم، ولم يقف عليها في كتبهم بل وقف على خلاف ذلك. وناقش الآراء والحجج مناقشة علمية ليخرج بالحقيقة العلمية الموضوعية المجردة، بعيدا عن التراشق

(١) المصدر نفسه ٣٠٣.

(٢) المصدر نفسه ٢٣٩.

(٣) القياس، ٢٨.

بالألقاب والاتهام بالكفر والارتداد، وأساليب الهزء والاستخفاف، التي اتسمت بها بعض كتابات المسلمين. وهو أسلوب ولد القطيعة العلمية بين المدارس الفكرية والمذاهب الفقهية وخاصة في عصورنا المتأخرة.

يتبين أن اختياره للموضوع وللمنهج الذي درسه في ضوئه كان مقصودا ولأهداف سامية نبيلة، منها «الحد من عوامل الفرقة بين أبناء الأمة الواحدة، لأن أهم هذه العوامل هو جهل بعضنا بأسس وركائز البعض الآخر كما يريدها هو ويصدر عنها من مناحيه الفكرية والاعتقادية لا كما تعكسها كتب الخصومة في الرأي». وبهذا تنحسر الخلافات وتتلاشى في ضوء دراسة منهجية ووعي. والوقوف على أصول المذاهب المتقاربة، وما يبقى من الخلاف يمكن أن يعرض ويحاكم بأسلوب علمي بعيدا عن وسائل المزايدات والتهريج، بعد التأكيد على إن الاختلاف في المسائل النظرية أمر طبيعي.

وقد امتاز الدكتور جمال الدين بالصبر والدقة والأمانة العلمية في النقل من المصادر، والموضوعية في الحكم، وإتباع التحليل والقدرة على تجريد الأفكار من أطرها العاطفية تمهيدا لدراستها دراسة موضوعية ثم الحكم عليها بحسب ما يقتضيه الدليل، وان خالف جملة مما اكدته من مسبقات، ومن خلال القيام باستقراء شامل لما لدينا من تجارب حفل بها تراثنا الخالد عبر مئات السنين وعرضها على ما ثبتت حجيته من مصادر التشريع لالتماس أقربها تمثيلا لواقع الإسلام.

لقد كان رحمه الله من رواد هذا المنهج الذي نقطف ثمراته اليوم، بعد ما كان يعيش في عصر ساد فيه الجهل وإقصاء الآخر وقمعه، وقد تحمل الظلم والتشريد والاغتراب من اجل أهدافه النبيلة السامية. فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء شأنه في ذلك شأن العلماء الذين صنعوا التاريخ ومهدوا للأجيال حياة أكثر إشراقا وأمنا وسلاما.

الدكتور مصطفى جمال الدين، شاعر من الطراز الاول، لغوي نحوي، فقيه، عالم ديني، زاهد، أستاذ علم الاصول، عروضي، مغترب، سياسي وطني. فقد تنوعت ثقافته وامكاناته العلمية وثقته العالية، ومقدرته على الجمع بين العلوم قلما تجمع لدى عالم الا من امتازوا بالعبقرية، وتحملوا المسؤولية، واخلصوا لأوطانهم

وشعوبهم يحملون همومهم ويعملون للارتقاء بها. جمع بين الدراسة الدينية (الحوزوية) والدراسة الأكاديمية الجامعية. والفارق بينهما كبير كما نعلم ويعرف ذلك المختصون.

جمع بين علوم مختلفة في دراساته: علم الاصول وعلم النحو علوم اللغة العربية والفقه والمنطق والفلسفة والبلاغة وكانت له مقدرة على الخوض في مباحث الحجج العقلية، والموازنة والتحليل والتقسيم، [1]، وغير ذلك مما يعد قواعد اساسية تشترك فيها العلوم المختلفة التي يتناولها علم المنطق.

وكان رحمه الله عالما مبرزا وأديبا ذا ذائقة ادبية رفيعة. فقد جمع ايضا بين متضادين: العلم والادب وكلاهما مختلفين قلما يجمع احد بينهما ذلك ان ملاك الادب الموهبة والخيال والذوق والعاطفة. اما العلم فيستند الى العقل والاكتساب والمنطق والمعرفة. عرف بثقته العلمية العالية وعنايته بالموضوعات العسيرة الشائكة التي تحتاج الى جهود مضاعفة ودقة عالية. وشهاداته العليا دليل على ذلك. فقد تناول في دراسة الماجستير موضوع: (القياس حقيقته وحجيته). وهو موضوع لا يقتحمه أي شخص لصعوبته وجوانبه العقلية وكثرة الخلاف فيه. فضلا عن حساسيته في عصر كانت السلطة لا ترغب في مثل هذه الموضوعات ولا سيّما من شخص مثل الدكتور مصطفى جمال الدين لكونه رمزا من رموز المذهب الإسلامي المعارض للسلطة الرافض لها. ناهيك عن ندرة مصادر القياس المطبوعة ذلك ان اكثر مصادره التي رجع اليها مخطوطة وبعضها طبعت طبعات حجرية قديمة. فأتى بجديد من النتائج كما سنرى.. على الرغم من ان طالب الماجستير غير مطالب بالجديد مثل طالب الدكتوراه. الذي يشترط عليه ان يأتي بابتكار علمي جديد في أطروحته. اما اطروحته للدكتوراه فكان الرائد في تناول موضوع بز فيه أقرانه. وحَّد فيه بين المسلمين، وكان الموضوع عناية الامة الإسلامية منذ نشأتها. (توظيف الأصوليين للنحو في الفكر الإسلامي الاصولي). ظهرت فيه مقدرته العلمية وتنوع مواهبه وثقافته المتعددة الحوزوية والاكاديمية وهو موضوع لا يتصدى له أي شخص من طلبة الدراسات الدينية واللغوية والفلسفية آنذاك.

---

(١) ينظر: القياس حقيقته وحجيته٢٣.

وما يزال كتابه: (البحث النحوي عند الأصوليين) مصدرا رئيسا من مصادر هذا النوع من الموضوعات. وقد طوى النسيان كثيرا من الدراسات والاعمال التي كتبت في عصره. وهذا الحكم ليس دعوى او مغالاة بل حقيقة، ونتيجة بعد الاطلاع والدراسة للكثير من نتاج عصره العلمي الاكاديمي.

ان الجمع بين الدراستين الحوزوية والاكاديمية والنجاح في تلاقحهما ليس امرا سهلا. وكان الدكتور جمال الدين رائدا في ذلك. وانموذجا فريدا قل نظيره، لذلك جاء نتاجه العلمي رصينا خالدا يتصل بالحقائق العلمية وجوهرها فالجمع بين الدرس النحوي واللغوي وبين اصول الفقه يمثل حقيقة العلمين وجوهرهما وماهيتهما، وان الفصل بينهما ينأى عن الدراسة العلمية فيكون أقرب الى الاغراض التعليمية لذلك اتسمت دراسته بالجدة والعمق والأصالة.

أما أهم بحوثه الأخرى في هذا المجال، فضلا عن رسالته الماجستير وأطروحة الدكتوراه المذكورتين. فهي:

- أصول النحو وصلته وأصول الفقة، مجلة تراثنا ع٢ للسنة الرابعة ١٩٨٩
- رأي في تقييم الكلمة، مجلة تراثنا العدد ١ السنة الأولى ١٩٨٩

لم يلتزم الدكتور جمال الدين منهجاً محدداً في دراسته النحوية والأصولية انما كان يتبع مناهج متعددة بحسب الموضوع الذي يتناوله، ففي دراسته للقياس استخدم المنهجين: المنهج التكاملي، والمنهج المقارن، وفي كتابه: (البحث النحوي عند الأصوليين) اتبع المنهجين: الوصفي والتقويمي، قال متحدثا عن منهجه في كتابه: **البحث النحوي عند الأصوليين** «أما الواصف فلأني كنت مؤرخا بحيث حاولت جهد المستطاع أن يكون وصفي لخطوات أصحابه ومسالكهم دقيقاً، ولذلك كنت أعرض وجهة نظرهم بالنص أحياناً وبالتلخيص أحياناً أخرى، على أن يكون هذا التلخيص محتفظا بميزة تحليلهم العقلي لموضوعات البحث وطرائق الاستدلال عليها. وأما كوني (مقوما) فلأني مؤرخا بحيث أيضاً لا أؤرخ وقائع...»[1].

وكان يعرض وجهة نظر ذوي الأختصاص من النحاة والأصوليين من مختلف

(١) البحث النحوي عند الأصولين ١٥ ـ٢٠.

مناهجهم موازنا بينها ومناقشا لها.

رأيه في القياس:

للدكتور مصطفى جمال الدين - رحمه الله - اراء دقيقة في القياس من خلال دراسته القياس في رسالة الماجستير الموسومة ب: (القياس حقيقته وحجيته). والقياس موضوع مشترك بين علوم متعددة ومنها أصول الفقه وأصول النحو والمنطق وغيرها من العلوم التي عني بها الدكتور مصطفى جمال الدين. كان يرى أن القياس اقرب الى واقع اللغة منه الى الشريعة [١] والفرق عنده ان القياس اللغوي قائم على الاستقراء أما القياس الفقهي فهو عملية اجتهادية من دون الحاجة الى الاستقراء[٢]. وهي حقيقة يقبلها الدارس المتخصص، تكشف مدى دقة الدكتور جمال الدين في الأحكام وعمق آرائه وصحة نتائج دراسته. وتكشف أيضا عن فارق مهم بين العلمين: الفقه والنحو، وهو امر يخفى على كثير من الدارسين في حين نجد ان كثيرا منهم لا يميز بين القياس اللغوي في استنباط الجديد من اللغة والقواعد وبين القياس العقلي.

لا يخفى على المتخصصين في علم النحو التقاطع الكثير بين قواعد النحو والكلام العربي الفصيح ولا سيّما القرآن الكريم واساس المشكلة في ذلك هو المزج بين المنطق وواقع الاستعمال اللغوي وهو سبب للتقاطع الكثير الذي نجده بين لغة القرآن الكريم وقواعد النحو العربي لأنها وضعت في ضوء المنطق العقلي للنظام اللغوي للعربية المرتبط بالنظام القرآني، وهو نظام يتقاطع كثيرا مع المنطق العقلي. والشواهد على ذلك كثيرة. ان نظام لغة القرآن يؤسس على المشابهة وتعلق بعضه برقاب بعض، يشبه النظام الكوني. وهو دليل على أن منزل القرآن الكريم هو نفسه خالق الكون[٣].

فاللغة ليست نظاما هندسيا محكما ولو كانت كذلك لتوقفت عن الحياة

(١) سيد النخيل المقفي ١٤٦.

(٢) ينظر مصطفى جمال الدين جهوده وظواهر من شعره ٤٧.

(٣) ينظر تفصيل ذلك: العدول عن النظام التركيبي، د. حسن منديل.

وخلت من الإبداع [١]. وقد اشار النحاة الى ذلك في مسائل وأبواب نحوية كثيرة مثل قولهم بـ(القياس المتروك او المهجور) فالقياس يبيح الاضافة الى الجمع في مثل: ثلاث مئات واربع مئات، لكن الاستعمال هو: الاضافة الى المفرد: ثلاثمائة. واربعمائة[٢].

لكن الذي شغل الدكتور جمال الدين من مشكلات القياس هو الخلاف بين فريقين من الفقهاء: فريق ينفي القياس والآخر يؤيده، او بين القائلين بعدم التعبد بالقياس والمخالفين لهم، وقد ساق ادلة المانعين من الكتاب والسنة والاجماع والعقل وناقشها[٣]. مخالفا لهم ورأى أن ما ساقوه من أدلة من الكتاب الكريم والسنة الشريفة انما اعتمدوا فيه على الظاهر.

والذي أراه ان المانعين للقياس كانوا يفرقون بين القياس المنطقي والشريعة التي لها نظامها الخاص بها، وروايات أهل البيت (عليهم السلام) التي ساقها الدكتور جمال الدين كثيرة في إبطال القياس والنهي عن العمل بموجبه.

ان المتدبر بالنظام القرآني، وهو مرتبط بانظمة الوجود يرى انها تتقاطع مع النظام العقلي القائم على المنطق الارسطي. ذلك أن اللغة العربية من صنع الباري عز وجل على وفق نظام مؤسس على المشابهة للتعبير عن المعنى الحق والحقيقة المطلقة فانزل الله تعالى بها كتابه الكريم الذي يهيمن على الكون والوجود، مرتبطا بنظام لغتة العربية ارتباطا عضويا لا يمكن فصلها كما اكد هذه الحقيقة احد المستشرقين [٤]. وكلاهما يقوم على المشابهة وتعلق بعضه برقاب بعض، وتفسير بعضه بعضا من غير اختلاف. قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (سورة النساء ٨٢) لذلك لم يتل الرسول (صلى الله عليه وسلم) القرآن بغير لغته العربية وان كانت دعوته عامة للعرب وغيرهم. وقد اجمع علماء القرآن الكريم على استحالة نقل القرآن الكريم الى لغة

---

(١) أطروحة دكتوراه ثانية ٧٥.

(٢) ينظر: شرح ابن يعيش ٦/٢٤.

(٣) ينظر: القياس حقيقة ٤٣٠ وما بعدها.

(٤) القرآن والقراءة، جاك بلاك ٢٥.

غير لغته العربية من غير ان يفقد حقيقته ومعناه المرتبط بنظامه ونظام لغته العربية. وهذا النظام يختلف عن النظام المنطقي العقلي الأرسطي، وقد فصلت القول بنظام القرآن اللغوي في اطروحة الدكتوراه الثانية: (العدول عن النظام التركيبي في القرآن الكريم[١]).

ان اتباع القياس العقلي في دراسة اللغة العربية يؤدي الى مشكلات. كما ان القياس الفقهي ادى الى مشكلات وخلافات وانقسام المسلمين. لذلك نهى اهل البيت (عليهم السلام) عن العمل بموجب القياس قال الصادق (عليه السلام) " ان السنة التي قيست محق للدين " و"ان دين الله لا يصاب بالقياس "[٢] وقوله لأبي حنيفة "اتق الله ولا تقس الدين برأيك فإن اول من قاس ابليس اذ امره الله بالسجود لآدم فقال: انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين....... ".

وقال الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام "ما لكم وللقياس ان الله تعالى لايسئل كيف احل وكيف حرم "[٣].

ان القياس في الإسلام وفي القرآن الكريم غير القياس الذي أخذ به الفقهاء وتبعهم النحاة، وهذا يفسر قول الأئمة - عليهم السلام - ولزيادة الايضاح أذكر مبحثا لأهميته وان كان ذلك يخرجنا عن الموضوع لكن له صلة بموضوع القياس الذي عني به الدكتور مصطفى جمال الدين.

النظام اللغوي للقرآن الكريم:

إن في اسلوب القرآن الكريم نظاماً يمنحه خصوصية عن الأساليب الأخرى ويحفظه من الدخيل والاختلاف واللحن، وان ما يبدو خروجاً عن القياس العقلي والمنطق فيه هو داخل في نظامه مقصود لغايات دلالية دقيقة وأسرار فنية وجمالية وحكمة إلهية. وهو وجه إعجازي، وليس أمرا اعتباطياً.

يبنى النظام اللغوي للقرآن الكريم على (المشابهة) وتعلق بعضه برقاب بعض في المستويات كافة: الدلالية والنحوية والصرفية والبلاغية، وعدم الاختلاف. قال

---

(١) اطروحة الدكتور حسن منديل / جامعة بغداد، كلية التربية للبنات ٢٠٠٧.

(٢) الكافي ٢/٣٢٣.

(٣) ينظر التفصيلات: القياس حقيقتة ٤٣٦ ومابعدها.

تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (سورة النساء ٨٢).

وهذا النظام يجعل النّص القرآني نصاً مفتوحاً يحمل معنى متحركاً يوافق حركة التاريخ وتحولات الفكر الإنساني في مختلف العصور، يناسب المتغيرات الزمانية والمكانية. ذلك أن ثمة شبه بين نظام القرآن الكريم ونظام الكون تدل على أن منزل القرآن الكريم هو خالق الكون، حيث أن الكون نظام يحوي أنظمة أخرى متعلقة بعضها برقاب بعض، يؤثر بعضها في بعض، مبنية على المشابهة والاطراد والاستمرار والحركة والتجدد والتوليد: الكون، النظام الشمسي، الزمن وغيرها، ذلك إنّ الله تبارك وتعالى لم يخلق الإنسان سدى ولا الحياة خلقاً اعتباطياً. قال تعالى: ﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (سورة يس ٤٠) أي بحسب النظام الذي قدره الله تعالى، والآية الكريمة تقرأ من الجهتين كأنها تدل على الأنظمة الكونية المطّردة. والقرآن الكريم صورة لتلك الأنظمة يهيمن عليها ويصفها بحركة معناه من خلال قراءته وتدبره كما أمرنا الله تبارك وتعالى بذلك.

- النظام الدلالي:

كثير من الالفاظ والتراكيب المجملة يرد تفسيرها في موضع آخر متعلق به، وهو أحد مناهج التفسير. منها تفسير للسيوطي وتفسير أضواء البيان وغيرها. نحو قوله تعالى: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾.

لم يبين هنا من هؤلاء الذين أنعم عليهم. وبين ذلك في موضع آخر بقوله: ﴿ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩].

- وكذلك: ﴿ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ وهم اليهود. لقوله تعالى فيهم: ﴿ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ [البقرة: ٩٠] الآية - وقوله فيهم أيضاً: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٦٠] الآية - وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ ﴾ [الأعراف: ١٥٢]. إلى غير ذلك من الآيات.

- النظام النحوي:

يمكننا تلخيص أرضية التفكير النحوي عند النحاة بأنهم قاسوا المنصوبات على المفعول به، والمرفوعات على الفاعل، والضمائر في البناء على الحروف لشبهها في قلة الحروف. والتوابع على المجاورة لما قبلها بسبب، والأسماء العاملة على الأفعال والممنوع من الصرف على الفعل المضارع[١]. ورفع الفعل المضارع لشبهه باسم الفاعل من حيث عدد الحروف والاسناد. ورفع نائب الفاعل لشبهه بالفاعل لعلة الاسناد.

وقد ذكر النحاة ضروباً من القياس من هذا النوع يمكننا تتبعها في النحو كله. وليس غرضنا الاستقصاء بل الاستدلال فإن ما يدل على التشابه في النحو ومسائله وأقيسته في اقوال النحاة وخلافاتهم كثيرة كقول الكوفيين " ينتصب المستثنى لأنه مشبه بالمفعول ". وقولهم بالتقريب وهو ان يعمل اسم الاشارة عمل كان وغير ذلك كثير [٢].

وقال سيبويه: (هذا باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل اذا كان جواباً لأمر او نهي او استفهام او تمنٍ او عرضٍ) نحو (أتني أتِكَ، لا تفعلْ يكنْ خيراً لك، ألا تأتني أحدِثْك، أين تكن أزرْكَ، ألا ماءَ أشرْبهُ، ليته عندنا يُحدِّثْنا، ألا تنزل تُصِبْ خيراً).

قال ابن جني: " من عادة العرب أنّهم يؤثرون التجانس والتشابه فلذلك حملوا الفرع على الأصل وردّوه إليه... "[٣].

قال ابن السراج: "وكثيراً ما يعملون الشيء عمل الشيء اذا أشبهه في اللفظ وان لم يكن مثله"[٤]. ويعملون الشيء عمل الآخر للشبه المعنوي كأعمال (ما) عمل (ليس) لاشتراكهما في النفي. وحمل (إنَّ) وأخواتها على (الفعل) في العمل، لشبههما في اللفظ والمعنى والبناء على الفتح واقتضاءهما الاسم[٥]. وقال ابن جني:

---

(١) ينظر: أطلس النحو العربي، عباس المناصرة ٣٢.

(٢) ينظر: مجالس ثعلب ٤٣/١ الإنصاف، مسألة ٢٣ ص١٨٥/١.

(٣) الخصائص ١١١/١، ٣٠٦.

(٤) الاصول ٩٣/١.

(٥) ينظر: الإنصاف م٧٧ ص٢/ ٥٦٣، و٤٨٤، ٦٢٧، والحمل على المعنى في العربية ٧.

"واعلم انّ العرب تؤثر التجانس والتشابه وحمل الفرع على الأصل"[(١)] وقال: "اعلم انه ليس شيء يخرج من بابه الى غيره إلا لأمر كان وهو على بابه ملاحظاً له"[(٢)]. وقال القزاز القيرواني: "كلام العرب أخذ بعضه برقاب بعض"[(٣)].

العدول عن النظام اللغوي:

ان التعبير عن المعاني ولا سيما المعاني المطلقة، تتطلب نظاماً لغوياً متماسكا مرناً يستوعبها ويعبّر عنها تعبيرا دقيقا واضحا، ونظام اللغة العربية خير دليل على ذلك، لذا أنزل الله تعالى كتابه الكريم بها لتأدية معانٍ دقيقة وأسرار إلهية، وإنشاء رسالة خالدة متحركة المعنى مع المتغيرات الزمانية والمكانية.

إن نظام اللغة العربية في النص القرآني من الدقة والحكمة والشمول والاطراد والمرونة وحركة معناه وحيويته، والتماسك بين أجزائه، لا يمكن ان يضعه الإنسان مهما بلغ من درجات الرقي العقلي، إلا عن طريق الوحي الى الأنبياء - عليهم السلام - وهذا ما كان يؤمن به علماء العربية القدامى. وكان بعضهم يرى ان العربية ألهمت إلهاماً لإسماعيل عليه السلام وانه أول من تكلم بها[(٤)].

إنّ العدول عن المعايير اللغوية والنحوية في النص القرآني، ليس خروجاً عن نظام العربية كما يرى أكثر النحاة والبلاغيين ولا سيّما المعاصرون منهم. إنما هو خروج عن القياس النحوي لا الواقع الاستعمالي للنصّ القرآني، إنما العدول هو نظام العربية نفسه في أعلى درجاته الإبداعية البلاغية لتؤدي اللغة معاني لا تؤدى إلا في ضوء ذلك النظام من

---

(١) الخصائص ١/١١٢.

(٢) المصدر نفسه٢/٣٦٠.

(٣) ما يجوز للشاعر من ضرورة ٣٦٠.

(٤) ينظر: الزينة ٧١ - ٨١، ١٤٧، والبيان والتبيين ٣/ ٢٩٠ والصاحبي ٣١٢٥ واعلام الهداية ٧/ ٢٢٤، والدراسات اللغوية عند العرب، آل ياسين ٣٦٤، والجانب الروحي في اللغة العربية ١٢.

خلال حمل الكلام بعضه على بعض وتعلقه بعضه برقاب بعض. وهو اسلوب يعدل فيه عن أصل لغوي الى آخر لغرض معنوي خاص، وعدّه الدارسون المعاصرون بأنه محور البلاغة وخلاصة علم البيان، وعرّفوه بأنه "العدول بالكلام عن طريقته الى طريقة أخرى تصرفاً في الفصاحة وتفننا في العبارة". وهو "ان يكون الكلام في معنى كلام آخر فيحمل على ذلك المعنى، او ان يكون للكلمة معنى يخالف لفظها فتحمل على ذلك المعنى دون اللفظ"(١)

وباب الحمل على المعنى باب واسع يشمل أبوابا لغوية ونحوية كثيرة، تندرج تحته فروع كثيرة: كالحمل على المعنى والحمل على اللفظ والحمل على الموضع والحمل على الإعراب، والعطف على المعنى والعطف على التوهم وعلى الموضع والحمل على النظير وعلى النقيض ويضم كذلك باب النقل والمطابقة بأنواعه، وخطابات القرآن، وما سمّوه بالتناسب والمشاكلة في اللفظ والمعنى، وتضمين معنى فعل فعلا آخر والتناوب بين الحروف وغيرها من أنواع الحمل على المعنى الكثيرة في اللغة العربية.

قال ابن جني: "اعلم انّ هذا الشرْح غور من العربية بعيد، ومذهب فسيح قد ورد به القرآن (الكريم) وفصيح الكلام منثوراً ومنظوماً كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصوير معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في معنى الواحد"(٢).

وقال: "وقد رأيت من هذا النحو في هذه اللغة أكثر من ألف موضع، نعم، ولعلّ الاستقراء وسَّعهُ أضعاف ذلك"(٣). وقال: "وجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً، لا يكاد يُحاط به، ولعله لو جُمع أكثرهُ لا جميعه لجاءَ

(١) الحمل على المعنى في العربية ١٣.

(٢) الخصائص ٣١١/٢، ١٣٨، ٣٧٢، ٤١٣ وسر صناعة الاعراب ١٣/١، والمحتسب ١٤٥/١.

(٣) الخصائص ٣٤٠/١.

كتاباً ضخماً"[١]. والى مثل هذا أشار كثير من النحاة، بأنه "أكثر من ان يُحصى"[٢]. كقوله تعالى:

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٩)، قد يكون محمولاً على معنى (الملائكة):

- ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٦٣)، على تقدير (شيئاً قريباً) في معنى اليوم او في زمان قريب.

- ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ (الأنعام: ٧٨)، أي هذا الشخص المرئي. ويرى أبو حيان ذلك لغة قليلة.

وقد علل المفسرون والنحاة هذه الشواهد وغيرها من باب الحمل على المعنى أي حمل التذكير على معنى التأنيث والافراد على الجمع والعكس لتوسع المعنى، وهي من الظواهر التي تشير الى نظام العربية وان بدت الشواهد فيها خارجة عن القياس النحوي المنطقي ومنهم من لجأ الى تقدير محذوف ينسجم مع دلالة الجنس في الآية. والى تأويلات مختلفة بحسب شواهد التذكير والتأنيث[٣].

كل هذه الشواهد وغيرها التي تحوي عدولاً عن القياس النحوي إنما أريد بها وجهاً ومعنىً بلاغياً اعجازياً[٤] ادلى فيه بعض البلاغيين والمفسرين بدلاءٍ مختلفة. وكلها وردت ضمن نظام العربية الذي يقوم على المشابهة

---

(١) المصدر نفسه ٢/٣٠.

(٢) الإنصاف ٢/٧٧٧.

(٣) ينظر كتاب سيبويه ٢/٢١، ٣٩، ٤٧، ٣/ ٣٢٥، ٥٦٢، وإعراب القرآن المنسوج للزجاج ٢/ ٦١٢، وأمالي ابن الشجري ٢/٥٥، والكشاف ٣٧٣، ٤٠١، ٤٢٤، ٧٤٨، ٤٩٠، ٨٦٥، والأشباه والنظائر ٣/ ٩٧، وقضايا التقدير النحوي ٢٣٣، ٢٦٠.

(٤) ينظر: المعاني الثانية في اسلوب القرآن الكريم ٣٢٦ وما بعدها.

وتعلق الكلام بعضه برقاب بعض، وإنما خرج عن النظام النحوي المنطقي الافتراضي. لكن بيان ذلك يحتاج تدبراً وتمرّساً في معرفة أنظمة العربية الخاصة بها، فبعضه ظاهر واضح، وبعضه الآخر دقيق خفي لكنه لا يخرج عن ذلك النظام.

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ (سورة الزمر: ٢٣).

لقد أشار الله تعالى في هذه الآية الكريمة التي اختلفوا في تفسيرها اختلافاً كبيراً ولا سيّما في دلالة (كتاباً متشابهاً مثاني) أشار الى النظام المعجز الذي تبنى عليه عربية القرآن الكريم. وأشار أيضاً الى أن الوقوف عليه يشترط هداية من الله وتوفيقاً وموهبة. وان الوقوف على حقيقته الاعجازية (تقشعر منه الجلود) ويبدو تسمية (المتشابه) تشير الى نظام العربية أيضاً.

والآية الكريمة من الشواهد الواضحة على المعنى الحركي في النصّ القرآني الذي لا ينقضي مع الزمن ولا تنتهي أسراره بحسب التدبر والدراسة وهداية الله تعالى، فالمعنى الذي ذكرناه للآية الكريمة معنى جديداً والآية تحتمله احتمالاً واضحا والله اعلم، نسأل الله الهداية والّا نقول في كلامه شططاً والحمد لله رب العالمين.

ان النص القرآني ينساق في ضوء نظام معجز محكم، يشبه بعضه بعضاً ويتعلق بعضه برقاب بعض في كل مكونات النص القرآني نجد النظام نفسه: الصوتي والصرفي والتركيبي والبياني والدلالي، وكل هذه المكونات يحكمها النظام نفسه، وهذا سبب الترابط والتماسك والجمال والعذوبة والموسيقى الرائعة التي تحدّث عنها علماء إعجاز القرآن القدامى والمعاصرين، ولكنهم لم يتناولوا نظام القرآن تناولاً كلياً بل كان تناولهم اياه تناولاً جزئياً.

وهذا النظام المعجز هو من أسباب حفظ القرآن منذ نزوله والى

يومنا هذا من غير تغيير أو تطورلفظي في نصه، فاللفظ ثابت والمعنى متحرك، ذلك ان نظام القرآن يحوي المتغيرات الزمانية والمكانية.

وهو كذلك أهم وجوه إعجاز القرآن، ذلك ان نظامه اللغوي يشبه نظام الكون المبني على التشابه والترابط أيضا، قال تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ وهو دليل على أن خالق الكون هو قائل القرآن الكريم، وهذا اثبات علمي لمعجزة نبينا الكريم (محمد) صلى الله عليه وآله وسلم تسليما كثيرا، ورد علمي على المعادين للإسلام ممن نسمع بهم عبر وسائل الاعلام هذه الأيام.

وقد فصّلت القول بنظام القرآن اللغوي في اطروحة الدكتوراه: (العدول عن النظام التركيبي في أسلوب القرآن الكريم - دراسة نحوية أسلوبية)[1] وذكرت شواهد قرآنية كثيرة عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين هو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) جامعة بغداد، كلية التربية للبنات ٢٠٠٨.

المبحث السابع

النحو الصوفي

المقدمة

الحمد لله الذي شرفني بدراسة لغة القرآن الكريم ووفقني لهذا وهداني إليه، وأنعم عليّ بتدبر كلامه العظيم.

والصلاة والسلام على سيد الأنام محمد، القائل، (**أعوذ بالله من علم لا ينفع**). اللهم انا نسألك علما نافعاً ويقينا صادقا، ولا تجعلنا نتشاغل بعلم لا ينفع، أو علما لا يرضيك... وعلى آله وصحبه المنتجبين الى يوم الدين وسلّم تسليماً كثيراً وبعدُ..

إن التجربة الروحية في الإسلام ميدان واسع يزخر بألوانٍ شتّى من العقائد والفلسفات جاء بها الإسلام وأقرّها القرآن الكريم، وأكدّتها السنة النبوية، وتبلورت في حياة الصحابة رضوان الله عليهم. حتى اتسمت بالفرار من الدنيا والصروح المادية، والانقطاع عن الناس واعتزال الحياة ثم تطورت إلى التصوف المعروف، وقد ضمت فيما بعد أشتاتاً من الثقافات الأجنبية عن طريق الترجمة والاختلاط المباشر بالأديان والفلسفات القديمة [١].

إن نشأة العلوم الإسلامية ومنها علوم العربية في ظل هذا الجو الروحي الإسلامي جعل هذه العلوم تتأثر بالجو الروحي العام السائد بين المسلمين ولا سيما لدى الطوائف الأولى من علماء العربية، ولدى المتصوفة فيما بعد.

من هنا تتبيّن أهمية دراسة اللغة العربية في ضوء التراث الفكري الإسلامي لارتباطها به ارتباطاً لا انفصام له، إلا إنها فُصلت عنه لدى الدارسين المتأخرين والمعاصرين في ظل الحضارة المادية الغربية التي اجتاحت المسلمين.

---

(١) ينظر تفصيل ذلك: الحياة الروحية في الإسلام ٧ وما بعدها.

والله الموفِّق، والهادي إلى الرشاد والعصمة، أستعيذه من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان. قال الجاحظ: «من ألّف فقد استهدف، فإن أحسن فقد استشرف، وإن أساء فقد استقذف» [1]. والحمد لله رب العالمين.

تمهيد:

الفلسفة الصوفية اللغوية:

يرى الصوفية أن ثمة علاقة اشتراك بين الله تبارك وتعالى والعالم في ظواهر لغوية كثيرة في المستويات اللغوية كلها: التركيبي والصرفي والدلالي والصوتي، أما في المستوى الصوتي فيرون أن هناك توازياً بين مراتب الوجود والأسماء الإلهية من جهة وبينها وبين حروف اللغة من جهة أخرى، وأرقى مراتب الوجود: (العقل الأول أو القلم) ثم تنتقل من الصفاء والنورانية إلى الكثافة والظلمة بنفس القدر الذي تترتب به حروف اللغة في جهاز النطق الإنساني بدءاً من التحرر الكامل للهواء الذي يصدر عنه الصوت دون أي احتكاك أو ضيق في مجرى النفس، وانتهاء إلى حروف الشفتين اللتين هما آخر المخارج.

وهكذا تتوازى الأسماء الالهية مع مراتب الوجود مع حروف اللغة، ثمانية وعشرون اسماً توازي ثماني وعشرين مرتبة وجودية، توازي بدورها ثمانية وعشرين حرفاً هي حروف اللغة وهذه كلها تتوازى مع منازل القمر الثماني والعشرين.

لكنها ليست هي حروف لغتنا الإنسانية، بل هي أرواح وملائكة تسمى بأسماء هذه الحروف التي نعرفها، وهي التي تحفظ الأسماء الإلهية ومراتب الوجود المرتبطة بها. فهي باطن الأسماء ومراتب الوجود التي تمثل ظاهر هذه الأرواح الحروف.

أما لغتنا البشرية المنطوقة والمكتوبة فهي تمثل أجساد هذه الحروف والأرواح وصورها الظاهرة. وحيث يريد الصوفي أن يؤثر في مرتبة وجودية يستدعي صورة الحرف في خياله، وهذه تستدعي بدورها روح الحرف والاسم الالهي الذي يحفظه روح هذا الحرف. وعلى ذلك يمكن إقامة التوازي بين اللغة

(١) محاضرات الأدباء / الراغب الأصفهاني ١/ ٤.

الالهية واللغة الانسانية على مستوى الحروف على النحو الآتي:

حروف اللغة الالهية //الأسماء الالهية ومراتب الوجود // اللغة الإنسانية فحروف لغتنا الإنسانية ليست إلا صوراً ظاهرة حسية لارواح الحروف الإلهية (١).

يتبين أن الصوفية استندوا في مباحثهم اللغوية إلى الفلسفة الروحية. وهي فلسفة تنأى عن الأصول العقلية التي استند إليها علماء اللغة والنحو في دراساتهم، ولا سيما لدى المتأخرين، وأصبحت الأهداف تعليمية دنيوية، فعزلت العلوم عن مصدرها الحقيقي لذلك لا نجد إبداعاً حقيقياً إلا لدى العلماء الذين يحملون تلك الأهداف السامية.

فالأصول الأولى تربط كل شيء بالجانب الروحي الغيبي المصدر الرئيس للعلوم كلها وهو الله تبارك وتعالى. فيرون أن «لكل اسم الهي روحانية ملك تحفظه وتقوم به، لها صور في النفس الإنساني تسمى حروفاً في المخارج عند النطق، وفي الخط عند الرقم ... وتسمى هذه الملائكة الروحانيات في عالم الأرواح بأسماء هذه الحروف، فلنذكرها على ترتيب المخارج حتى تعرف رتبتها.

فأولهم ملك الهاء، ثم الهمزة وملك العين المهملة وملك الحاء المهملة وملك الغين المعجمة...» وهكذا (٢).

وهذا يذكرنا بترتيب الحروف لدى الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي كان ولياً من أولياء الله كما ذكرت المصادر وكما أشرنا. الذي اكتملت على يده علوم العربية، كان ينطلق من تلك الأسس حتى أن بعضهم، يرى أن نظام التقليبات الذي وضعه لحصر جذور اللغة العربية، هو نظام كان يستخدمه الروحانيون من المسلمين. هكذا كان مصدر العلوم والله أعلم.

يعتمد الشيخ ابن عربي - وهو من كبار الصوفية - على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فضلاً عمّا يفتحه الله عليه من العلوم في نظرته إلى اللغة. يقول في قوله تعالى: ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَصَدَّقَتۡ

---

(١) فلسفة التأويل ٣٠١.

(٢) ينظر: الفتوحات المكية ٤٤٨/٢.

(٣) النساء ١٧١.

بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا ﴾[١]، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أوتيت جوامع الكلم»[٢]:

تلقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «عند الله تعالى كلمات العالم بأسره من غير استثناء شيء منه البتة فمنه ما ألقاه بنفسه كأرواح الملائكة وأكثر العالم العلوي...»[٣]، ثم يذكر كلاماً روحياً غريباً، عسير الفهم إلا على شيوخ التصوّف. إلا أنه في نص آخر - رأيت ذكره على طوله لأهميته - يدل على دقة فهمه للغة وأسرارها الروحية قلّما نجده لدى كبار علماء اللغة، قال: «فبعد فهم جوامع الكلم الذي هو العالم الأحاطي والنور الإلهي الذي اختصّ به سرّ الوجود وعمد القبة وساق العرش وسبب ثبوت كل ثابت محمد صلى الله عليه وآله وسلم فاعلموا وفقكم الله أن جوامع الكلم من عالم الحروف ثلاثة: ذات غنية قائمة بنفسها، وذات فقيرة إلى هذه الغنية غير قائمة بنفسها ولكن يرجع منها إلى الذات الغنية وصف تتصف به يطلبها بذاته فإنه ليس من ذاتها إلا بمصاحبة هذه الذات لها فقد صحّ أيضاً من وجه الفقر للذات الغنية القائمة بنفسها كما صحّ للأخرى ذات ثالثة رابطة بين ذاتين غنيتين أو فقيرتين أو ذات فقيرة وذات غنية.

وهذه الذات الرابطة فقيرة لوجودها بين الذاتين ولا بدّ فقد قام الفقر والحاجة بجميع الذوات من حيث افتقار بعضها إلى بعض وإن اختلفت الوجوه حتى لا يصح المعنى على الإطلاق إلا لله تعالى الغني الحميد من حيث ذاته، فلنسمِّ الغنيّة (ذاتا)، والذات الفقيرة: (حدثاً)، والذات الثالثة: (رابطة)، فنقول، الكلم محصور في ثلاث حقائق، ذات وحدث ورابطة: وهذه الثلاثة جوامع الكلم فيدخل الثلاث تحت جنس الذات أنواع كثيرة من الذوات، وكذلك تحت جنس كلمة الحدث.. والرابطة..

وإن شئت ان نقيس على ما ذكرناه فانظر في كلام النحويين وتقسيمهم الكلم الى الاسم والفعل والحرف وكذلك المنطقيين فالاسم عندهم هو الذات عندنا، والفعل عندهم هو الحدث عندنا، والحرف عندهم هو الرابطة عندنا.

---

(١) التحريم ١٢.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (كلم) ٦/ ٥٨.

(٣) الفتوحات المكية ٥٨/١.

وبعض الأحداث عندهم كلها أسماء كالقيام والقُعود والضرب وجعلوا الفعل لكل كلمة مقيّدة بزمان معين. ونحن إنما قصدنا بالكلمات الجري على الحقائق بما هي عليه فجعلنا القيام وقام ويقوم وقم حدثاً، وفَصَلْنا بينهم بالزمان المبهم والمعين. وقد فطن لذلك الزّجّاجي فقال: والحدث: الذي هو القيام مثلاً هو المصدر يريد هو الذي صدر من المحدث وهو اسم الفعل يريد أن (القيام) هذه الكلمة اسم لهذه الحركة المخصوصة من هذا المتحرك الذي بها سمى قائماً فتلك الهيئة هي التي سميت (قياما) بالنظر إلى حال وجودها، و(قام) بالنظر إلى حال انقضائها وعدمها، و(يقوم) و(قم) بالنظر إلى توهم وقوعها، ولا توجد أبداً إلا في متحرّك فهي غير قائمة بنفسها...

والفعل يريد لفظه: قام ويقوم، لا نفس الفعل الصادر من المتحرك قائماً مثلاً مشتقة منه الهاء تعود على لفظه اسم الفعل الذي هو القيام مأخوذ يعني قام ويقوم من القيام لأن النكرة عنده قبل المعرفة والمبهم نكرة، والمختص معرفة، والقيام مجهول الزمان، وقام مختص الزمان، ولو دخلت عليه أن ويقوم مختص الزمان، ولو دخلت لم وهذا مذهب من يقول بالتحليل انه فرع عن التركيب وان المركب وجد مركباً، وعلى مذهب من يقول بالتفريق وأن التركيب طارئ وهو الذي يُعضد في باب النقل أكثر فإن الأظهر أن المعرفة قبل النكرة عند المحققين وإن كان لهؤلاء وجه، ولكن هذا أليق، وأما نحن ومن جرى مجرانا ورقى مرقانا الأشمخ ففرضنا أمراً آخر ليس هو قول أحدهما مطلقاً إلا بنسب وإضافات ونظر إلى وجوه ما يطول ذكرها...»[١].

إن الشيخ ابن عربي - رحمه الله - يرى علم النحو واللّغة أدنى مرتبة من علمه، ذلك إن علمه هو العلم الإلهي الذي لا يرقى إليه علم، وإنما العلوم كلها عيال عليه، فهو فوقها يرفدها بالمعارف إذا شاء متخصصو هذه العلوم. ففي النص الطويل الذي نقلناه لأهميته، عقد الشيخ ابن عربي مقارنة بين فهم المتصوفة للغة وتراكيبها وبين فهم النحاة واللغويين لها. وقد تبين أن المتصوفة أدق فهما ونظراً وأعمق غوراً في تحليل اللغة وتراكيبها من النحاة واللغويين. وفي كتب ابن عربي

(١) الفتوحات المكية ١/ ٨٦.

ولا سيّما (الفتوحات المكية) مباحث كثيرة من هذا النوع كبيرة الأهمية لإثراء الدرس اللغوي العربي المعاصر، إلا إنها تحتاج إلى جهود متواصلة وأوقات طويلة، لم تتيسر لي في هذه الأطروحة لالتزامي بوقت محدد، لذلك أدعو إخواني الباحثين إلى القيام بهذه المهمة العلمية الشاقة خدمة للغتنا الكريمة، وإجلاءً لجهود الشيخ ابن عربي - رحمه الله - المخلصة في اللغة وفلسفتها.

إن الصوفي لا يدرس اللغة لذاتها وإنما يدرسها في ضوء الفلسفة الصوفية التي تعنى بالعلم الإلهي، وهو العلم الذي تحتاج إليه كل العلوم - كما يقولون - لأنه يمدّها بالمعرفة الحقّة، والصوفي يضطر إلى تناول بعض مسائل اللغة لارتباطها بالفلسفة الصوفية من ذلك: مسألة التشبيه والتجسيم التي اختلف فيها الفقهاء اختلافاً كبيراً، فقد تناولها ابن عربي بقوله: «ولما كانت الألفاظ عند العرب على أربعة أقسام:

١- ألفاظ متباينة وهي الأسماء التي تتعدى مسمّاها كالبحر والمفتاح.

٢- ألفاظ متواطئة وهي كل لفظ قد توطئ عليها أن تطلق على آحاد نوع ما من الأنواع كالرجل والمرأة.

٣- ألفاظ مشتركة: وهي كل لفظة على صيغة واحدة تطلق على معان مختلفة كالعين والمشتري والإنسان.

٤- وألفاظ مترادفة وهي ألفاظ مختلفة الصيغ تطلق على معنى واحد كالأسد والهزبر والغضنفر وكالسيف والحسام الصارم»(١).

ثم يضيف قائلاً: «هذه هي الأمهات مثل البرودة والحرارة واليبوسة والرطوبة في الطبائع وثم ألفاظ متشابهة ومستعارة ومنقولة وغير ذلك وكلها ترجع إلى هذه الأمهات بالاصطلاح، فإن المشتبه وإن قلت فيه أنه قبيل خامس من قبائل الألفاظ مثل النور يطلق على المعلوم وعلى العلم الشبه العلم به من كشف عين البصيرة به المعلوم كالنور مع البصر في كشف المرئي المحسوس فلما كان هذا الشبه صحيحاً سمى العلم نوراً ويلحق بالألفاظ المشتركة فإذن لا يفك لفظ من هذه الأمهات وهذا هو حد كلّ ناظر في هذا الباب، وأما نحن فنقول بهذا معهم وعندنا زوائد من

(١) الفتوحات المكية ٨٨/١.

باب الاطلاع على الحقائق من جهة لم يطلعوا عليها علمنا منها أن الألفاظ كلها متباينة وإن اشتركت في النطق، ومن جهة أخرى أنها كلها مشتركة وإن تباينت في النطق وقد أشرنا إلى الشيء من هذا فيما تقدم من هذا الباب... فاعلم أيها الولي أن المحقق الواقف العارف بما تقتضيه الحضرة الإلهية من التقديس والتنزيه وفي المماثلة والتشبيه لا يحجبه ما نطقت به الآيات»[١].

النحو الصوفي:

النحو الصوفي - إذا صحّ التعبير - بعيد كلّ البعد عن النحو المعروف، إذ فيه من الغرابة الكثير، على الرغم من أنهم استندوا إلى النحو المعروف الذي سمّاه عبد الكريم القشيري بنحو العبارة، أما نحوهم فسمّاه: نحو القلوب. وألف فيه كتابين: صغيراً وكبيراً، بالعنوان نفسه [٢].

عرض فيه موضوعات النحو والصرف بإيجاز، عرضاً غريباً، صوفياً خالصاً، لا نجد رابطا بينه وبين النحويين سوى المصطلح النحوي المعروف الذي كساه دلالة صوفية لأدنى موافقة، لا صلة لها بالأصل النحوي الذي استند إليه النحاة في وضع المصطلحات. وهو أمر أقرب إلى التلفيق منه إلى الأسس العلمية الرصينة في وضع العلوم ذلك إنه لا يضيف جديداً ولا ينفع طالب النحو أو اللغة. لذلك لم يوفق ولم يكتب له الشهرة، فأكثر النحاة المعاصرين لا يعرفونه، فضلاً عن القدامى الذين لم يشيروا إليه.

إن (نحو القلوب) للقشيري، محاولة غريبة، لا نعلم هدف القشيري منها، ولا نعرف فائدتها. والذي يغفر له ذلك ما ذكرناه من أنهم يربطون كل شيء بالله ولله. فالصوفي «يرى جميع الأشياء من الله قائمة بالله، معلومة لله، مردودة إلى الله»[٣].

ونجد مثل هذا الاستخدام لمصطلحات علوم اللغة لدى الصوفية لادنى ملابسة وإن كانت ضعيفة أو بعيدة، نجدها لدى الشيخ ابن عربي، على الرغم من سعة علمه ودقته ولا سيّما في المباحث اللغوية الصوفية الفلسفية ذلك إنه الأقرب

---

(١) الفتوحات ١/٨٨.

(٢) نشر بتحقيق مرسي محمد علي ومحمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) نصوص المصطلح النحوي ١٤.

منهما إلى هذه العلوم وأدق طرحاً ومناقشة للمسائل اللغوية والنحوية وقد أضاف إلى المصطلح اللغوي والنحوي دلالات وجودية ومعرفية، وإن كانت هذه الدلالات والأبعاد لا تنفصل عن معانيه الاصطلاحية بل تستند إليه كاستخدامه مصطلحي الفصل والوصل في البلاغة، إذ يقول: «إن الإنسان الكامل ينوب مناب الحق في الفصل بين الموجودات أو الكلمات، كلمات الله تعالى الكثيرة»، ويقول: «إن وجود الكلمات بالنطق يفترض بالضرورة وجود المتكلم الذي يفصل بين الكلمة والكلمات التي تليها، كما يفصل بين حروف الكلمة...»[١].

نعود إلى الإمام القشيري في محاولته الغريبة التي تناولت النحو والصرف بمنهج جديد غير مألوف لدى النحاة، يمكن أن نطلق عليها تسمية: النحو الصوفي.

يعرّف أولاً الباب النحوي أو المسألة النحوية بإيجاز كما هي في كتب النحو ثم يقول هذا في نحو العبارة، ثم يذكر رؤيته الصوفية لها، أو فلسفته الصوفية، ويسميها: نحو الإشارة وهي محاولة تدل على أنه يريد أن يبيّن أن ثمة وجه شبه بين طبيعة اللغة الإنسانية التي اختارها الله تعالى ليُنزل بها معجزته الخالدة (القرآن الكريم) وبين الإنسان الكامل أو العارف (الصوفي) وسلوكه إلى الله تعالى بعباداته ووجده. وإن لم نجد غالباً مناسبة بين مدلولي المصطلح وهذه الأفكار الصوفية، ولا علاقة سوى التسمية، فهو يشبّه قواعد النحو التي هي قواعد اللغة ونظامها بطبيعة الإنسان وسلوكه وحالاته الوجدانية، لأنه يرى أن ثمة علاقة بين اللغة والكون والإنسان، الذي هو العالم الأصغر أو الكون الأصغر وبما أن اللغة توازي الوجود وأن الكلمات توازي الأشياء أو الموجودات كما فصلنا فإن الإنسان (العالم الأصغر) يوازيهما، ويعقد موازنة بين علم الإشارة لدى الصوفيين، وعلم النحو فيما يذكره فيقول في الأسماء: «الأسماء على ضربين: اسم معرفة واسم نكرة. وفي الإشارة: الخلق كذلك، فَمَن صاحب معرفة، ومن صاحب نكرة، ولكل حدّ ووصف، فالاسم النكرة معرفة ولا رتبة فوق أن صار معرفة. كذلك لا رتبة للعبد فوق العرفان»[٢].

(١) الفتوحات المكية ٣/ ٢٨٣، وينظر: فلسفة التأويل ٣٣٨.

(٢) نحو القلوب ١٢، وينظر مقارنة بين الواحد والجمع وبين المسلمين في: نحو الإشارة ونحو =

معنى الإشارة:

يرى الإمام القشيري أن النحو عبارة عن القصد والناس مختلفون في المقاصد ومفترقون في المصادر والموارد، فواحد تقويم لسانه مبلغ علمه، وواحد تقويم جنانه أكثر همه، فالأول صاحب عبارة، والثاني صاحب إشارة.

وقد عرف التصوّف في عصر أبي حيان التوحيدي بعلم الإشارة كما تشير بعض كتبه إذ عرّفه: «بأنه إشارات إلهية وعبارات وهمية»[(١)]، قالت الدكتورة (طيبة الشذر): «إن الإشارة إلى علم التصوف بالإشارات والعبارات كان أمراً معروفاً متداولاً لدى الصوفية في عصر أبي حيان»[(٢)].

والإشارة هي: «ما يخفى على المتكلم كشفه بالعبارة للطافة معناه»[(٣)]، وقال الروذباري رحمه الله: «علمنا هذا اشارة فإذا صار عبارة خُفي». يقال: فلان صاحب إشارة، معناه: أن يكون مشتملاً على اللطائف والإشارات وعلم المعارف مثل قول القائل: أنا بلا أنا، ونحن بلا نحن، وأنا أنت وغير ذلك. وهي أن يشير المتكلم إلى معان كثيرة بكلام قليل يشبه الإشارة.

والإشارة هي اللغة الإلهية التي لا يدركها عامة الناس، لذلك احتاجوا إلى رسل يشرحونها لهم وينقلونها إلى لغتهم. وهذا ما يراه الشيخ ابن عربي ويرى: «أن العلاقة بين العبارة والإشارة هي العلاقة بين الظاهر والباطن، فظاهر العبارة هو ما تدل عليه من حيث وصفية اللغة. والإشارة هي باطنها من حيث هي لغة إلهية. وإذا كان أهل الظاهر يتوقفون عند العبارات ومعانيها التي تعطيها قوة اللغة الوصفية، فإن العارفين ينفذون إلى ما تشير إليه العبارة من معان وجودية إلهية أي ينفذون إلى باطنها الروحي العميق»[(٤)].

فالوسائل التي يستخدمها عامة الناس في الاتصالات تكون دائماً عن طريق

=

العبارة، إذ يشبه ذلك بالإنسان الكامل، النصوص ٩، ١٠، ١١، ١٢ من الكتاب.

(١) الإشارات الالهية ١١٣.

(٢) ألفاظ الحياة الثقافية في مؤلفات أبي حيان التوحيدي ٧١٤.

(٣) نصوص المصطلح الصوفي، د. نظلة الجبوري ١٨.

(٤) فلسفة التأويل ٢٦٨.

التخاطب أو التحاكي أو المقابلة، أما أهل الخصوص فيستخدمون الإشارة تعبيراً وإرسالاً واستقبالاً [(١)].

نعود إلى نحو الإشارة أو نحو القلوب لنذكر أمثلة منه:

ففي أول الكتاب يذكر القشيري تعريف النحو في اللغة، وهو القصد إلى صواب الكلام. وفي نحو القلوب: القصد إلى حميد القول بالقلب وحميد القول في مخاطبة الحق بلسان القلب [(٢)].

أما تقسيم الكلام على اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، في نحو القلوب: الاسم هو الله تعالى والفعل ما كان من الله تعالى، والحرف إما يختصّ بالاسم فيوجب حكماً أو يختص بالفعل فيقتضي له نسبة، وكما أن الحرف إذا دخل على اسم أوجب له إما حكم النصب أو الخفض أو غيره، فالوصف الذي هو العلم (مثلاً) يوجب لله حكم العلم... وكذلك القدرة والحياة وسائر صفات الذات.. والحروف رباطات تتم بها فوائد نطق القلب [(٣)].

أما الكلام المفيد وهو ما كان اسماً واسماً أو فعلاً واسماً، وما عداه غير مفيد هذا في نحو اللسان، وعرّفه النحاة، هو اللفظ المفيد فائدة يُحسن السكوت عليها[(٤)]، وفي نحو القلوب: فغير المفيد ما ليس لله، والمفيد ما يسمع من الحق أو يخاطب به الحق، وما سواه فلغو[(٥)] فهو لا يرى سوى الله ولا قدرة غير قدرة الله، وكل شيء لله وفي الله.

والاسم: صحيح ومعتل، والصحيح ما سلم من حروف العلة: الالف والواو والياء. أما أهل الإشارة فقالوا: الاسم الصحيح ما سلم من الف الإلباس، وواو الوسواس، وياء اليأس، فقد صحّ اسمه وحقّ له الإعراب وهو البيان [(٦)].

ويرون أن سبب إفراد الأسماء الستة بالإعراب بالحروف لخصوصيتها، كذلك

(١) ألفاظ الحياة الثقافية ٧١٦، والألفاظ الصوفية ومعانيها ٥٣.

(٢) نحو القلوب ٧.

(٣) نفسه ٨.

(٤) نحو القلوب ٤.

(٥) نفسه ٨.

(٦) نحو القلوب ٤١، وانظر: رسالة القشيري ٨٥.

من الناس من خُصّ عن أمثاله وافراد بالأحكام من بين أضرابه.. أي باين حكمة حكم من سواه وانفرد عنهم في معناه [١].

وهكذا يتناول مسائل المبتدأ والخبر والأبواب الأخرى بتعليلات صوفية لا تغني النحوي شيئاً أو طالب النحو. فهو يطبق علم الإشارة على علم النحو. وعلم الإشارة هي إشارات غير واضحة بدقة وإنما بحسب تفسير الصوفي للإشارة نفسها إذ إن الإشارة واحدة وتفسيراتها تختلف من صوفي إلى آخر.

أما الأفعال فقال عنها: «الإشارة كذلك: أفعال العبد على قسمين: لازم ومتعد، فاللازم ما تكون بركاته على صاحبه مقصورة، والمتعدي ما تتعدى خيراته إلى الغير. كذلك العبد قد تتعدى بركاته إلى عالم من الناس حتى قال الشيوخ: لو أن ولياً من أولياء الله اجتاز ببلد لغفر الله لأهل هذا البلد» [٢].

وهكذا يشبه الأفعال الخمسة بأفعال البشر منها ما لا يقبل إلا بزيادة كرمي الجمار، والصحيح والمعتل والمضاف وحروف الجر والنصب والجزم، والنعت والشرط والمنادى والاستثناء والممنوع من الصرف والعدد.

وهكذا يأتي على جميع أبواب النحو والصرف متبعاً منهجاً في عرض الأبواب وقواعدها الرئيسة وليست الفرعية على الطريقة نفسها.

أما ترتيبه للموضوعات فليس على الترتيب المشهور وهو ترتيب ابن مالك وإن بدأ معه لأن ابن مالك متأخر عنه ولا على ترتيب الزمخشري أو غيره ممن اشتهر ترتيبهم لأبواب النحو. فيقدم ويؤخر بعض الأبواب على بعض.

وهكذا يقارن بين علم النحو وأصوله وفروعه وبين البشر وحالاتهم ودرجاتهم. فالصوفي لا يرى غير الله، فكل شيء منه وإليه، كل حياته وأعماله وتصرفاته وتقلباته وحالاته النفسية والعقلية وعباداته وسلوكه وغير ذلك. فيعقد موازنة بين قواعد اللغة وحالات الناس وأعمالهم كالصحيح والمعتل والمضعف والمثال والأجوف والناقص واللفيف والمدغم والمهموز يوازن بينها وبين أنواع الناس فمنهم أيضاً الصحيح والمعتل والأجوف ... ونحو زيادة الواو في عَمْرو فرقاً

---

(١) نفسه ١٥.

(٢) نحو القلوب ١٥.

لعُمَرْ وفي الإشارة أن من الناس من يلحق بالطريق لأجل الغير ثم يطرح، لأن الحاق الواو لا يدوم عند الاستغناء عنه مثل همزة الوصل.

والاسم الموصول لا تتم الفائدة إلا بصلته كذلك من الناس من لا يستقل بتدبيره ولا يكون له يد من غيره فهو يأخذ الأحكام العامة والقواعد الرئيسة ويبتعد عن المسائل الدقيقة الخلافية الشائكة، وقد بيّنا أن اهتمام المتصوفة باللغة اهتمامٌ خاص بنظرتهم إلى اللغة التي هي جزء من الكون أو صورة له أو أنها صور خلفها أرواح ووجدنا لهم فهما للنحو خاصاً ينطلقون منه لعلومهم الوجدانية.

الإعراب:

يشبه الإمام القشيري الحركات الإعرابية بحالات أهل الإشارة برفع هممهم إلى الله تعالى. ونصب أبدانهم في طاعته وخفض نفوسهم تواضعاً له وجزم قلوبهم عمّا دونه وسكونهم إليه تعالى.

والمبني ما كان مستقيماً في حاله لا يتغير وهم أصحاب التمكين. وشبه المعرب المتغير بأصحاب التلوين، وهم أرباب أحوال ما دام العبد في الطريق فهو صاحب تلوين لأنه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف.. فإذا وصل تمكن(١).

ويقول في موضع آخر: المعرب الذي يتغير آخره باختلاف العوامل، والمبني ما يكون على صيغة واحدة.. وكذلك صفات العبد منها ما يقبل التغير والتأثير وهي ما كان مجموعاً بتصرفه وتكلفه، ومنها ما لا يقبل التحويل والتبديل وهي موضوعات الحق - سبحانه - فيه من أخلاقه، ويكون ذلك بحسب ما سبق له من أرزاقه، وكذلك من أحكامه فيما وجب له من سابق أقسامه، فمن شقى نفذ بالرد قضاؤه، ولم ينفعه كدّه وعناؤه. ومن سعد مضى بالقبول حكمه فلم يخرجه عن محكوم السعادة جُرحه.

«ومن أقسام البناء ما يبنى على الكسر، فصاحبه أبداً مكسور لا ينجبر كسره، ولا يتغير فقره، ولا يزول ضرّه.. وجده منكوس.. ونجمه منحوس، وقصده

---

(١) نحو القلوب ٤١، وينظر: نصوص المصطلح الصوفي ٦١.

معكوس. ومن ذلك ما ينبني على الفتح، فصاحبه لا يزول نعيمه ولا يبرح مقيمه، يسطح من البعد نسيمه ويسعد على القرب نديمه.. ومن ذلك ما يبنى على الضمّ، فصاحبه مرفوع عنه كلفة الاختيار، غير معاتب على اختلاف الأطوار، ولا متلوّن الحكم عند تفاوت الآثار..»[١] ومن ذلك أن اللغة توازي الوجود لدى الصوفية كما مرّ بنا. وفي نَصٍّ آخر يعلل حركات الإعراب تعليلاً صوفياً آخر.

العامل:

لاحظنا أن نحو القلوب لا يعير العامل اللغوي أهمية، وقد يلغيه كما تبين في النصوص السابقة، وكما أكّد القشيري على ذلك في كثير من مواضع كتابه (نحو القلوب). وكذلك في تفسيره الكبير: (لطائف الإشارات) إذ يرى العامل الحقيقي هو الله تبارك وتعالى، لذلك لم يجوّز السؤال عن العامل أو التعليل ذلك أنهما بأمر الله تعالى وبمشيئته.. أما النحاة فأرجعوا كل شيء إلى العامل كما نعرف إذ حكّموه وجعلوه هو الذي يجلب الحركات ظاهراً ومقدراً وبنوا نظرية شائكة واسعة وألفوا فيها كتباً وكتباً [٢]، وقوله هذا يذكّرنا بقول ابن مضاء القرطبي الذي أرجع العمل إلى الله تعالى مرة وإلى المتكلم مرّة أخرى [٣].

ولولا ظاهرية ابن مضاء لقلنا انه قد تأثر بالقشيري أو بالمتصوفة في إلغائهم العامل النحوي، لكن القشيري يقرّ بالعامل الروحي المرتبط بالله تعالى وبمشيئته وحكمه في خلقه إذ نجد له تعليلات هنا وهناك تقرّ بالعامل لكنه العامل الروحي.

التعليل:

لا يرى الإمام القشيري علةً لكثير من الأحكام النحوية فيقول مثلاً في بسملة سورة الحجر: «سقطت ألف الوصل من كتابة (بسم الله) وليس لإسقاطها علة، وزيد في شكل الباء من (بسم الله) وليس لزيادتها علة، ليُعْلَم أنّ الإثبات والإسقاط بلا علة، فلا يقبل من قبل لاستحقاق علة، ولا ردّ من رد لاستحباب (استحقاقه) علة. فإن قيل في إسقاط الألف من بسم الله كثرة الاستعمال.. فلم يبعد إلا أن الإثبات

---

(١) نحو القلوب ١١ - ١٢.

(٢) ينظر: لمع الأدلة ١٦والاقتراح ٢٥.

(٣) ينظر: الرد على النحاة ٢٩.

والنفي ليس لهما علة، «يرفع من يشاء ويمنع من يشاء...»[(١)].

ومع ذلك نجده يعلل تعليلات روحية، يرجع كل علة إلى الله وهو أمر لا شك فيه، لكن الله تعالى خلق الأشياء بالأسباب الطبيعية، فلا يتقاطع هذا مع ما ذكره. من ذلك تعليله نصب الاسم كالحال والمتعجب منه والتمييز، والمفعول به والمفعول المطلق والمفعول لأجله والظرف والمفعول معه وغيرها. والمشهور لدى النحاة أن النصب علم المفعولية أو التكملة.

يرى القشيري أن في علم الإشارة، النصب أضعف الحركات فإذا دخل التعجب على الاسم خصّ بالفتح الذي هو أضعف الحركات، كذلك إذا دخل الإعجاب على المرء آل الى أضعف الحالات، فإن الإعجاب أشدُّ الآفات. وتنصب الحال لأنه مفعول، وتأتي بعد تمام الكلام لذلك صارت كالمستغنى عنه فنُصب.. والإشارة: المستغنى عنه له أضعف الحركات وأقل نصيب من الاستحقاق، ولهذا قيل: علامة المخلوق أوصاف النقص، لأنَّ المخلوق مستغنى عنه. قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾[(٢)].

وينصب التمييز تشبيهاً بالمفعول حيث أتى بعد تمام الكلام نحو: عندي عشرون درهماً «والإشارة أن المفعول لنقصانه عن الفاعل خصّ بالنصب لضعف المفعول وضعف الفتحة»[(٣)].

فعلتا القوة والضعف هما العلتان الأساسيتان اللتان في ضوئهما فسّر القشيري أكثر الحالات الإعرابية فالرفع أقوى الحركات فالمرفوع يستحق الرفعة كالفاعل والمبتدأ، والعلو للحق سبحانه وتعالى لأنه الفاعل على الحقيقة وليس لغيره قدرة على الاختراع، ولأنه المبتدأ في الأمور فهو الأول السابق واستحقا الرفعة والعظمة لهما. أما المنصوب فأنقص رتبة من الفاعل والمبتدأ لخفته فخصّ بما هو الأخف من الحركات، كذلك الخلق هم المفعولون فإنهم في حالة العجز والنقص لأنهم في أسر القدرة وتصريف القبضة والمفعول على أقسام: المفعول به والمفعول المطلق

(١) لطائف الإشارات ٢٧/١.

(٢) محمد ٣٨.

(٣) نحو القلوب ٣٦ - ٣٧.

والمفعول فيه ولأجله ومعه «كذلك المفعولات على أقسام: فالجمادات مفعولات على الاطلاق والحيوانات مفعول بها تجري عليها أحكامه سبحانه - في النفع والضر، والمكلفون مفعول لهم خلق لأجلهم الجنة والنار، وأحوال المكلفين فيها لأنهم يعملون بالمعاصي والطاعات فيها، والبلاء مفعول معه لأن بني آدم خلقوا والبلاء والعفاء معهم»[(١)]، أما المضاف إليه فله الخفض وهو أضعف الحركات الإضافية كذلك العبد ما دام مجرداً فله أقوى الحالات فإذا جاءت العلاقة صار إلى أضعف الحالات.

وبالطريقة نفسها التي لا ترى سوى الله ولله تعالى، وتتجاوز التعليلات العلمية والأسباب المنطقية التي يذكرها العلماء لتفسير الظواهر الطبيعية ومنها اللغوية. بالطريقة نفسها طريقة (المشابهات) يتناول كان وأخواتها وإن وأخواتها وبناء الفعل الماضي وإعراب الفعل المضارع. ويعلل تعليلات روحية فلسفية تربط بين الإنسان وقواعد اللغة [(٢)].

الخاتمة

إن الإسلام دين سماوي، سعى إلى تهذيب الروح، وترسيخ الأخلاق السامية في كل الميادين ولا سيّما في العلوم ونشر المعرفة ولولاه لما وصل الينا هذا التراث العلمي الهائل بمختلف الاختصاصات ومنها علوم العربية التي نشأت في ظل الجو الإسلامي الروحي الذي كان سائداً لدى الطوائف الأولى من رجال الدين والقرآن. وقد دلّت الدراسات اللغوية المتقدمة ان اللغة العربية لغة مقدسة، مرتبطة بالإسلام ارتباطاً روحياً لا انفصام له، إذ لا يوجد أحدهما بدون الآخر، وإن العناية الإلهية هي التي بلغت بالعربية إلى هذه الرتبة العالية من القوة والوضوح، وذلك لتهيئتها إلى الحدث العظيم (نزول القرآن الكريم) المعجزة المطلقة. وغير خاف على أولي العلم معنى الفصاحة العالية، إذ هي القوة الروحية، وهي مصدر العلم، وهي النجاح في القيادة والصبر في الملمات هي سمو النفس وقوة العقل وقمة

---

(١) نحو القلوب ٢١.

(٢) نفسه ٢٣.

الذكاء، وكل الخصال الحميدة.

وثمة حقائق أو نتائج أشرنا إليها تارة بإجمال وأخرى بتفصيل، منها:

- إن للتصوف الإسلامي نظرة إلى اللغة العربية فلسفية روحية، وقد بذلوا جهداً متفرِّقاً في بحوثهم لخدمة اللغة العربية، ولهم طروحات قد تتقاطع ظاهراً مع البحث الأكاديمي المعاصر، غيبية، وغريبة، ومغرقة في الفلسفة الإلهية، وإن استعانوا بالنحو وعلم اللغة إلا إن كلامهم عسير الفهم، غامض ما لم نرجع إلى أسس علم التصوف ومبادئه ومصطلحاته وفلسفيته.

- يرى الصوفية أن هناك توازياً بين الوجود واللغة، وإن حروف اللغة أرواح وملائكة، أما الحروف المنطوقة فهي تمثل أجساد هذه الأوراح وصورها الظاهرة.

- إن النحو الصوفي أو (نحو القلوب) لا صلة له بالنحو المعروف سوى المصطلح النحوي الذي استخدموه بدلالات صوفية وذلك إذا وجدوا أدنى موافقة بين الدلالتين وإن كانت بعيدة، وإن كانت غامضة.

- إن الشيخ ابن عربي – رحمه الله – من كبار علماء التصوّف الذين درسوا اللغة العربية دراسة روحية في ضوء الفلسفة الصوفية، وله جهود مخلصة وكبيرة في ذلك ولا سيّما في كتابه الموسوعي (الفتوحات المكية) تحتاج إلى جهد متواصل وزمن طويل لم يتوافر لدي لذلك أدعو اخواني الباحثين إلى مواصلة البحث في هذا الجانب وإن كان عسيراً، خدمة للغتنا الشريفة.

المصادر والمراجع

❑ القرآن الكريم.

❑ الاقتراح في علم أصول النحو، الإمام جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: د. أحمد سليم الحمصي، د. محمد احمد قاسم، ط١، جروس برس ١٩٨٨.

❑ بنية العقل العربي، دراسة تحليلية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، د. محمد عابد الجابري، ط٦، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٠.

❑ التصوّف الثورة الروحية في الإسلام، د. أبو العلا عفيفي، ط١، ١٩٦٣.

❑التعرف لمذاهب أهل التصوّف، أبو بكر محمد الكلاباذي (٣٨٠هـ)، تحقيق: د. يوحنا الحبيب، ط١، دار صادر، بيروت ٢٠٠١.

❑الحياة الروحية في الإسلام، د. محمد مصطفى حلمي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر ١٩٤٥.

❑دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة، طبعة طهران.

❑دائرة المعارف السحرية، مجموعة مؤلفين، ترجمة: خليل سابا وآخرون، دار النشر والتأليف التجارية ومطبعتها بمصر (د. ت).

❑الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر (د. ت).

❑رسائل ابن عربي، تقديم محمود الغراب، ضبط محمد شهاب الدين العربي، ط١، دار صادر، بيروت ١٩٩٧.

❑الرسالة القشيرية في علم التصوف، أبو القاسم القشيري (٤٦٥هـ)، دار التربية، مطبعة واوفسيت منير، بغداد (د. ت).

❑الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، الشيخ أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي (٣٢٢هـ)، تحقيق: حسين بن فيض الله الهمداني، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٩٦٤.

❑الفتوحات المكية، الشيخ محيي الدين بن عربي (٦٧٨هـ)، دار صادر، بيروت (د. ت).

❑فقه اللغة في الكتب العربية، د. عبدة الراجحي، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٠.

❑فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي، د. نصر حامد أبو زيد، ط١، دار التنوير، دار الوحدة بيروت ١٩٨٣.

❑كتاب الرياضة وأدب النفس، الحكيم الترمذي، تحقيق: د. أ. ج. أربري، البابي الحلبي بمصر ١٩٤٧.

❑كشاف اصطلاح الفنون، محمد علي الفاروقي التهانوي (١٠٢٥هـ)، تحقيق: ج. لطفي عبد البديع، د. عبد المنعم محمد حسنين، المؤسسة المصرية العامة،

القاهرة ١٩٦٣.

❑ الخليج، الدار العربية للموسوعات، بيروت ١٩٨٩.

❑ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم، جار الله الزمخشري (٥٨٣هـ)، ط١، دار الفكر ١٩٧٧.

❑ الكليات، أبو البقاء الكفوي (١٠٩٤هـ)، تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٨.

❑ لطائف الإشارات، الإمام القشيري، تحقيق: د. إبراهيم بسيوني، ط٢، الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٨١.

❑ لمع الأدلة في أصول النحو، أبو البركان الأنباري، مطبوع مع الأغراب في جدل الأعراب، تحقيق: سعيد الأفغاني ط٢، دار الفكر، بيروت ١٩٧١.

❑ مجاز القرآن، أبو عبيدة (٢١٠هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، ط١، نشر الخانجي بمصر ١٩٦٢.

❑ مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي (٦٠٤هـ)، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨١.

❑ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، طاش كبري زادة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥.

❑ مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني (٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان اداوودي، ط١، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ١٩٩٦.

❑ المقصد الأسنى في شرح معاني اسماء الله الحسنى، أبو حامد الغزالي، تحقيق: فضلة شحادة، ط٢، دار المشرق، بيروت ١٩٨٦.

❑ مكانة العقل في الفكر العربي، ندوة المجمع العلمي العراقي، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٩٨.

❑ نحو القلوب، الإمام أبو القاسم القشيري (٤٦٥هـ)، تحقيق: مرسي محمد علي، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).

❑ نحو وعي لغوي، د. مازن المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٩.

❑ نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، د. عرفان عبد الحميد فتاح، المكتب

الإسلامي، بيروت ١٩٧٤.

❑النص، السلطة، الحقيقية، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، د. نصر حامد أبو زيد، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ١٩٩٧.

المبحث الثامن

الخلاف النحوي

ماهيته، تاريخه، أسبابه، مصادره

إنّ الحديث عن نشأة النحو وتاريخه، وعن الخلاف في تحديد الواضع الأول للنحو سيكون حديثاً معاداً لا جديد فيه، إذ تكاد الدراسات في ذلك قديماً وحديثاً لا تحصى، ولا سيّما عند المعاصرين، فقد اختلفوا فيواضع النحو بين الامام علي (كرم الله وجهه) وابن أبي اسحق الحضرمي (١١٧ هـ) والخليل بنأحمد الفراهيدي (١٧٠هـ)[١]. وبعضهم أرجع وضع النحو الى تاريخ سابق لأبي الأسود وصدر الإسلام والامام علي[٢]. والمهم عندي هو تاريخ نشوء المذاهب النحوية، ونشأة الخلاف النحوي، والتحقق من صحة وجود المدارس النحوية، وتصحيح الأوهام الموروثة فيذلك.

ثمة أقوال للدارسين المعاصرين تؤكد غموض مرحلة نشأة النحوحتى ظهور الخليل بن أحمد[٣] وقد سمى الدكتور عبد العال سالم مكرم هذه المرحلة ،

---

(١) لمزيد من التفصيلات ينظر: بروكلمان ١٢٣/٢، ١٢٨. وضحى الإسلام ٢٨٨. والمدارس النحوية، د. ضيف١٥. ومدرسة البصرة النحوية٤١، ٥١، وردّ الأستاذ علي النجدي ناصف على كتاب ضيف المذكور، مجلة مجمع اللغة العربية - دمشق ج ٢٥، ١٩٦٩ ص١٨١، ومن تاريخ النحو، للافغاني٩٤، والمدارس النحوية، د. خديجة الحديثي، والحلقة المفقودة في تاريخ النحو العربي ٧، ١٦ وغيرذلك.

(٢) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة ٣٨، وفي حركة تجديد النحو وتيسيره، ص٨.

(٣) ينظر: بروكلمان ١٢٣/٢، ونشأة النحو، طنطاوي ٢٨، وضحى الإسلام ٢٨٥، ونشوء النحو ومدارسه، السيد حامد مصطفى، المعلم الجديد ع٢، س٥، ١٩٤٠ ص ١٢٣.

بـ«الحلقة المفقودة في تاريخ النحو»، وزعم أنه عثر عليها، وأكتشفها، وكانت قبل ذلك مجهولة ! ! [1].

ولقد أكد أكثر الدارسين قدامى ومعاصرين أن البصرة كانت أسبق في وضع النحو[2]. لكننا نجد روايات تنسب النحو إلى بعض البلدان في مراحل متقدمة والى نحاة في زمن أبي الأسود مثل تلميذه سعد بن شداد الكوفي الذي يعرف بـ(سعد الرابية)[3].

وقد تلمذ على أبي الأسود كثير من أهل الكوفة مثل: توبة الملائي [4]، معاصر عاصم بن أبي النجود المقرئ (١٢٧ هـ) وحمدان بن أيمن الطاوي المقرئ النحوي [5]... وغيرهم ممن اخذ عنهم الرؤاسي والهراء(١٨٧هـ)[6]. وفي المدينة كان شكست النحوي (١٣٠ هـ)[7].

نشأ النحو مرتبطا بالدراسات القرآنية ارتباطا وثيقا، وكان النحاة الأوائل قراءً في الغالب مثل: أبي الأسود الدؤلي (٦٩هـ) وتلاميذه: نصر بن عاصم (٩٠هـ)، وعبد الرحمن بن هرمز (١١٧ هـ)، ويحيى بن يعمر العدواني (١٢٩ هـ)، وعنبسة الفيل وميمون الأقرن، وغيرهم. وتلاميذ هؤلاء أيضا، والحضرمي وعيسى بن عمر (١٤٩هـ) والخليل والفراء (٢٠٧هـ) وغيرهم [8]. وكان اللحن في قراءة القرآن الكريم السبب الأول في وضع النحو العربي وكان الاختلاف في قراءاته سببا في الخلافات النحوية أيضا [9].

---

(١) ينظر: الحلقة المفقودة ٣.

(٢) ينظر: بروكلمان ٦/٢ ١٩٩٦ والمدارس النحوية، ضيف ٥٣، ومدرسة الكوفة ٣٩.

(٣) ينظر ترجمته في: نورالقبس ٢٤، وبغية الوعاة ٥٧٩/١. .

(٤) ينظر: كتاب السبعة ٧٠.

(٥) ترجمة في: نور القبس ٢٦٧، وانباه الرواة ١/ ٣٣٩.

(٦) لمزيد من التفصيلات ينظر: (المدارس النحوية) للدكتورة خديجة الحديثي ١٥١ - ١٦٠.

(٧) ينظر: الاغاني ١١٤/١ وبروكلمان ١٢٣/٢.

(٨) ينظر: معجم الادباء ٢٠٠/١ - ٢١٠ واخبار النحويين البصريين للسيرافي ١٧، وانباه الرواة ٢/ ١٧٢، ٣٨٠ ١٧٩/٤.

(٩) ينظر: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ٤٥، والمدارس النحوية لضيف ١٧، والمدارس النحوية لخديجة الحديثي ٥١، ٦٦، والاصول لتمام حسّان ٣٢ - ٣٥، والحلقة =

هكذا نشأ النحو في معظم الامصار الإسلامية وليس في البصرة فحسب مرتبطا بالقرآن الكريم وقراءاته. نجد ذلك في الكوفة [١] - كما سنرى. وفي مصر [٢] وغيرها من البلدان الإسلامية الأخرى.

أما قول بعضهم إن وضع النحو العربي كان قد تأثر بالفلسفة اليونانية أو النحو السرياني أو الهندي آنذاك فهو قول مردود عندنا ، والأدلة على ذلك كثيرة[٣].

وقد تضاربت الآراء فيتحديد بدء الخلاف النحوي ونشأته، فذهب بعضهم إلى أنه بدأ بين الرؤاسي والخليل (١٧٠هـ) أو بين يونس (١٨٢ هـ) والخليل، ومنهم من ذهب إلى أنه بدأ بين الكسائي(١٨٩ هـ) وسيبويه (١٨٠هـ)، ورأى أكثر الباحثين المعاصرين أن بداية الخلاف الحقيقي عند ظهور المذهب الكوفي بعد تلمذة النحاة الكوفيين على البصريين ثم انفصالهم على يد الكسائي و الفراء[٤].

ثم اشتّد الخلاف واتخذ أطار المذهبية بعد التقاء المذهبينفي بغداد وظهر نحاة متعصبون، انقسموا على انفسهم: - ثعلب(٢٩١هـ) وتلاميذه، والمبرد(٢٨٥ هـ) وتلاميذه. واشتد الأمر كثيراً بمجيء السيرافي(٣٦٨ هـ) والرماني(٣٨٤هـ) و أبي علي الفارسي (٣٧٧هـ) إذ اتخذ الخلاف شكلاً من أشكالالجدل والمنطق والفقه، ثم ظهرتالمذاهبالأخرىفي مصر والأندلس وغيرهما.

هذا ما تعارف عليه أكثر الباحثين، أما نحن فنرى أن الخلاف النحوي لم يبدأ

=

المفقودة ٢٧.

(١) ينظر مدرسة الكوفة ١٧، والمدارس النحوية لخديجة الحديثي ١٤٨.

(٢) ينظر: الدراساتاللغوية والنحوية فيمصر ٩١.

(٣) ينظر: بروكلمان ١٢٣/٢و المدارس النحوية لخديجة الحديثي ٣٩ - ٤٩، والنحو العربي والدرس الحديث لعبده الراجحي ص، و تاريخ التمدن الإسلامي ١٩٥/٣، والنحوالعربي بين الاصالة والتأثير رسالة ماجستير، سعد الكردي ، آداب دمشقص. وبحثالسيد حامد مصطفى فى (نشوء النحو العربي ومدارسه) المعلمالجديدع٢س٥.

(٤) ينظر ضحى الإسلام ٥٩٤/٢، و المدارس النحوية لضيف ٩٥، ومدرسة الكوفة ٦٧، وكتاب الإنصاف والخلاف النحوي للحلواني ص، ومسائل الخلاف النحوية بين مدرسة البصرة١١، والخلاف النحوي في كتاب اعراب القرآن للنحاس ١٠ - ١٢، والمسائل الخلافية النحوية في شرحا لمفصل ٨٩.

مع نشوء المذهب الكوفي، لأننا نشك بوجود (المدارس النحوية) إنما ظهر مبكراً قبل سيبويه والكسائي والخليل بن أحمد ، والأمثلة على ذلك كثيرة[١]. ولم يكن الخلاف آنذاك يصدر عن عصبية مذهبية، وإنما لأسباب أخرى سنذكرها فيما بعد ، لكنه اخذ يظهر أيضاً عند المتأخرين. فسيبويه كان لا يتعصب ضد الكوفيين كما ذهب بعضهم[٢]، وقد ردّ الدكتور محمد خير الحلواني ذلك وساق أدلة على عدم وجود خلاف نحوي حقيقي مع الكوفيين في كتاب سيبويه[٣] وكذا الأمر في كتاب المقتضب للمبرد، إذ لا نجد فيه عصبية ضد الكوفيين[٤]. لكنا نجد العصبية عند ثعلب [٥] وعند من جاء بعده كالزجاج (٣١٠هـ) [٦] وابن السراج(٣١٦هـ) وأبي بكر الانباري (٣٢٨ هـ) [٧]. وغيرهم ، وكان ثعلب أول من ألف كتاباً في الخلاف ثم تبعه الآخرون.

فالخلاف إذن بدأ مبكراً، لكنه لم يتخذ شكل العصبية المذهبية إلا عند المتأخرين، وقد أصبح كتاب سيبويه الاساس الذي يقوم عليه الخلاف فقد نظر فيه الأخفش (٢٢٥هـ) وكان يعلق عليه، تارة يخطّئ وتارة يستدرك[٨] والكسائي والفراء والمازني(٢٤٨هـ)...... وغيرهم. كلهم قرأوا الكتاب واهتموا به وأخذوا يعلقون عليه ويختلفون مع صاحبه في بعض المسائل [٩].

ثم جاء المبرد فجمع هذه التعليقات وزاد إليها شيئاً في كتاب سماه (مسائل

---

(١) تنظر نماذج كثيرة من الخلاف النحوي قبل سيبويه والخليل في كتاب (الحلقة المفقودة) : من تاريخ النحو العربي. وظاهرة الشذوذ في النحو العربي ١٣٤ - ١٤٥ وكتاب الإنصاف والخلاف النحوي ٧ للدكتور محمد خير الحلواني ، رسالة ماجستير ١٧.

(٢) ينظر : أبو علي الفارسي لعبد الفتاح شلبي ١٢٣.

(٣) ينظر: كتاب الإنصاف والخلاف النحوي ٢١، ٢٤.

(٤) ينظر الكامل ٢١٩/١، والمقتضب ١٣١/٢ - ٢١٩، ٣/٢.

(٥) ينظر مجالس ثعلب ٥٨، ١٧٨، ٢١٦، ٢٤٩، ٥٩٠، ٥٥٢.

(٦) ينظر: الاصول ٢١/١، ١٩٢، ٦٠/٣، ٢٠٣ ومعجم الادباء ١٩٨/١٨.

(٧) ينظر: الهمع ٦٦/٢، ٤٨/١ والمذكر والمؤنث ١٨٧/١، ٢٠٩/٢ - ٢٣٤، وينظر تفصيل ذلك في كتاب الإنصاف والخلاف النحوي ٢٤ - ٣٢ والمدارس النحوية، ضيف ١٣٨.

(٨) مراتب النحويين ٨٧، ٦٨.

(٩) ينظر: نزهة الانباء ١٤٣.

الغلط). ثم دار الخلاف حول هذه التعليقات، فألفت الردود والكتب مثل (الانتصار) لابن ولّاد(٣٣٢هـ) وغيره.

وهكذا زادت هذه المؤخذات والخلافات والردود وانتشرت كتب النقض خاصة فيالاندلس ومصر كما سنرى، ولا سيّما حول كتابي الجمل للزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) والمفصّل للزمخشري (ت٥٣٨هـ) وغيرهما[١].

أسباب الخلاف النحوي:

إن أسباب الخلاف النحوي كثيرة، ليس من السهولة حصرها، وقد عني كثير من الباحثين بذكرها قديماً وحديثاً، واختلفوا في عدها وحصرها وأهميتها الجوهرية والفرعية[٢].

وأرى أن من أهم أسباب الخلاف النحوي الذي نعده واقعاً بين عامة النحاة وليس بين اصحاب المذاهب الخمسة المعروفة حسب الآتي:

أولاً: اختلافهم في فهم القرآن الكريم وتفسيره وقراءاته يتبعه خلاف إعرابي ونحوي [٣]، وهو السبب الرئيس ليس للخلاف النحوي حسب بل لنشأة النحو والعلوم العربية والإسلامية الأخرى أيضاً، فثمة آياتكثيرة لا يصحّ حملها على ظاهرها لأن المعنى ليس عليه ، لذا لجأوا الى التأويل النحوي وهذا التأويل غالباً ما

---

(١) لقد تابع ذلك الدكتور زهيرعبد المحسن في رسالته للدكتوراه: المؤخذات النحوية حتى نهاية المئة الرابعة الهجرية ٧٥ - ٧٩.

(٢) ينظر: التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين ، ابن السيد البطليوسي ص ١١و ما بعدها. وكتاب الإنصاف والخلاف النحوي ٣٢ - ٤٠، ونشأة الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، مصطفى السقا، مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة ج١٠ عام ١٩٥٨ ص ٩١ - ١٠٣. والخلاف النحوي في كتاب اعراب القرآن للنحاس ١٤ - ٢١، ومسائل الخلاف النحوي بين علماء مدرسة البصرة ٢١ - ٥٣، للأستاذ كريم سلمان ، وقد توسّع بذكر الأسباب الخلافية. والمسائل الخلافية في كتاب الاصول ٩ - ١٠، رسالة ماجستير، محمد أمين البكري. والنحوفي شروح ديوان المتنبي ، رسالة ماجستير ، والمسائل الخلافية في شرح المفصل، رسالة ماجستير.

(٣) ينظر أمثلة ذلك: أثر القرّاء السبعة في اعمال الحروف العاملة وأهمالها، د. هاديعطية مطر، المورد مج ١٧ع، ١٩٨٨ ص٢ ٨ - ٥٠.

يكون سبباً للخلاف [١].

ثانيا: اختلافهم في المسموع من العرب واختلاف مقاييسهم في تحديد القبائل الفصيحة، واللهجات [٢] إذ «تكون الظواهر القليلة الشيوع مدعاة لاختلاف هؤلاء في النظرة إليها» [٣].

ثالثاً: اختلافهم في المنهج الذي سلكوه في الدرس النحوي، مثل النزعة العقلية والفلسفية لدى بعض النحاة، أو الاهتمام بالسماع وتغليبه على النزعة العقلية لدى بعضهم الآخر. وتأثر بعضهم بالعلوم الاجنبية أو الإسلامية مما يطبع درسهم أوتفكيرهم النحوي بطابع وسمات مميزة وقد عد بعض الباحثين ذلك السبب الوحيد والرئيس في الخلاف النحوي [٤].

رابعا: طبيعة النحو العربي، التي تقوم على الاجتهاد والتعليل تجعل النحوي يرتجل آراء نحوية ينفرد بها[٥] فكثرت هذه الآراء الانفرادية حتى أن السيوطي عقد بابا لها في كتابه (الاشباه و النظائر)، سماه: «التبر الذائب في الافراد والغرائب» [٦].

خامساً: جعلوا الشعر والنثر بمنزلة واحدة في الاحتجاج النحوي، ولم يفرقوا بينهما إذْ إنّ طبيعة لغة الشعر تختلف عن لغة النثر لاعتماده على بعض التعبيرات المباشرة والخيال [٧]، ويزيدها غموضاً كثرة تصنُّع بعض الشعراء لأسباب ذاتية كتصنع أبي الطيب وحبه إثارة الجدل والخلاف حول شعره [٨].

سادساً: الغموض الذي يعتري كثيراً من التراكيب اللغوية ، كان سببا أيضاً في الخلاف النحوي. وقد تناول ذلك الموضوع الدكتور حلمي خليل في كتابه،

---

(١) ينظر الاقتراح٢٩، والخلاف النحوي في كتاب اعراب القرآن للنحاس ٢٠ – ٢٣.

(٢) ينظر: الصاحبي ٢٣. والمزهر في علوم اللغة ٢١١/١، والاقتراح ٢٣.

(٣) كتاب الإنصاف والخلاف النحوي ٣٣.

(٤) نشأة الخلاف النحوي ، مجلة المجمع المصري ج١ سنة ١٩٥٨ ص٩٩.

(٥) ينظر: الاقتراح٣٥، والخصائص١٦٨/١، وكتاب الإنصاف والخلاف النحوي٣٧ و ما بعدها.

(٦) ينظر: صفحة ١/٣ – ١٤.

(٧) ينظر: في لغة الشعر ١٨، ٦٣، وأحكام صنعة الكلام٢٢١، وكتاب الإنصاف والخلاف النحوي٣٤.

(٨) تنظر رسالتنا (الماجستير): النحوفي شروح ديوانالمتنبي١١٥ – ١٢٥ .

(العربية والغموض) [١] وقد ساق أمثلة كثيرة على ذلك.

وثمة أسباب ثانوية للخلاف النحوي كصعوبة بعض المصادر النحوية ولا سيّما كتاب سيبويه في تنظيمه ومصطلحاته وغيرذلك [٢]. واختلاف البيئة والاتجاه السياسي لكل إقليم مثل الكوفة والبصرة. والمنافسة الشخصية بين النحاة ، والحرص على الحظوة لدى ذوي الجاه والمكانة مثل مناظرة سيبويه والكسائي المشهورة وما نجده بين ابن‌مالك(٦٧٢ هـ) والزمحشري (٥٣٨ هـ) وبين ابن هشام (٧٦١ هـ) وأبي حيان (٧٤٥ هـ)، وغيرهم، والتفاوت في المقدرة العلمية بين النحويين والمحصول العلمي لكل منهم كمّاً ونوعاً [٣] الى غير ذلك من الأسباب الثانوية الكثيرة.

مصادر الخلاف النحوي:

إنّ كتب الخلاف النحوي كثيرة جدا [٤]، سأحاول أنْ أعرّف ببعضها مما سأعتمده في الدراسة والتحليل في المباحث القادمة.

وثمة ملحوظة عامّة لا بدّ من ذكرها قبل التعّرف على كتب الخلاف هي إنّ هناك اختلافا بيّناً بين كتب الخلاف القديمة (كمسائل الغلط) لأبي العباس المبرد، و(الانتصار) لابن ولّاد (٣٣٢ هـ) وغيرهما. وبين كتب الخلاف المتأخرة (كالإنصاف) لأبي البركات الأنباري (٥٧٧ هـ) و(ائتلاف النصرة) لعبد اللطيف بن أبي بكر الزبيدي (٨٠٢ هـ). ويتمثل هذا الاختلاف فيما يتمثل في أنّ كتب الخلاف المتقدمة جاء أكثرها على شكل ردود وخلافات فردية بعيدة عن التعصّب المذهبي. وكان كتاب سيبويه الأساس لكتب الخلاف المتقدمة، وكانت هذه الكتب تختلف عن كتب الخلاف المتأخرة في عرض المسائل والترتيب والاسلوب وغير ذلك.

(١) ينظر: صفحة ١١٥ وما بعدها و ٢١٣ وما بعدها.

(٢) ينظر: (من أوهام النحاة في آراء صاحب الكتاب)د. موسى بناي العليلي مجلة المجمع العلمي العراقي مج ٢٨/ ١٩٧٧، ص٢٣٨ – ٢٥١.

(٣) مسائل الخلاف النحوي بين علماء مدرسة البصرة ٧٣.

(٤) ينظر: من تاريخ النحو ٩٠ – ٩٢، ومسائل الخلاف بين علماء مدرسة البصرة ٩١ – ٢٤٠، والمؤاخذات النحوية ١٤ – ١٧، والمسائل الخلافية في شرح المفصل ١ – ٢٧، والدراسات اللغوية في الأندلس ٣٥ – ٤٢.

ويبدو أن كتب الخلاف الأولى كانت متأثّرة بكتب القراءات مثل كتاب الفراء: «اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف» [(١)]. أمّا كتب المتأخرين فهي تبدو متأثرة بكتب الخلاف في الفقه الإسلامي والأصول مثل كتاب: «التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين». لابن السّيد البطليوسي (٥٢١ هـ)، وهو يعنى بالخلاف الفقهي وأسبابه بين المذاهب الإسلامية [(٢)].

ولعل من أبرز كتب التراث نذكر الآتي:

- (مسائل الغلط) لأبي العباس المبرد [(٣)] وهي المسائل التي أخذها على كتاب سيبويه، وعددها (١٣٣) مسألة. (٩٢) منها في النحو و(٤١) في اللغة وقد سبقه بعض النحاة الى عدد منها، مثل الأخفش والمازني، وقد رجع عن بعضها [(٤)].

- (الانتصار) لابن ولّاد (٣٣٢ هـ) وهو رد على المبرّد في كتابه السابق وانتصار لسيبويه [(٥)] وقد عرّف بهذا الكتاب ودرسه دراسة مفصّلة احد الباحثين وصنّف مسائله إلى مجموعات [(*)] وقد بقي الاهتمام بكتاب سيبويه سائدا حتى العصور المتأخرة إذ أثار حركة نقدية نحوية واسعة فأُلفت عشرات الكتب حوله بين نقد عليه، وانتصار له وردود، منها [(٦)]:

- «النصرة لسيبويه على جماعة النحويين» لابن درستويه (٣٤٧ هـ)، لم يتمّه و «مناظرة سيبويه للمبرد» له أيضا [(٧)]، «والخلاف بين سيبويه والمبرّد»

---

(١) ينظر: مناهج في التفسير، مصطفى الصاوي الجويني ٤٨.

(٢) ينظر: الصفحة (٩) من الكتاب، بتحقيق الدكتور احمد حسن كحيل، والدكتور حمزة النشرتي، ط٢، ١٩٨٢.

(٣) ينظر: مقدمة تحقيق المقتضب ١/٧ - ٩، والدراسات اللغوية والنحوية في مصر ٣٠٧ - ٣١٨، و(المبرد سيرته ومؤلفاته) لخديجة الحديثي ٢٧٠ - ٣٠٤.

(٤) ينظر: المقتضب (مقدمة التحقيق) ١/٩٣.

(٥) ينظر: نسختا دار صدام للمخطوطات رقم (٧٧٨) و(١٣٥٢).

(*) هو الدكتور زهير سلطان في رسالته (المؤاخذات النحوية) وقد اشار الى انه اعد (الانتصار) للطبع في الاردن.

(٦) ينظر: سيبويه امام النحاة ٣٧ - ٥١.

(٧) ينظر: الفهرست٦٦، ٦٩، وإنباه الرواة ٢/١١٤، وابن‌درستويه، د. عبدالله الجبوري١٧١.

للرماني، وله سبعة كتب أخرى تعنى بكتاب سيبويه[1]. و«تعليق على كتاب سيبويه» لابن برهان (٤٥٦ هـ) [2]. و«اصلاح ما وقع في أبيات سيبويه و في شرحها للأعلم من الوهم و الخلل» لابن هشام اللخمي (٥٧٠هـ) [3]. و «التنبيه على أغلاط الزمخشري في المفصّل و ما خالف فيه سيبويه» لأبي الحجاج الأندلسي (٦٢٥هـ)[4] و«ردّ على اعتراضات ابن الطراوة على سيبويه» و«اعتراضات على كتاب سيبويه» لابن الضائع (٦٨٠ هـ) [5] وغيرها.

- «المهذب في النحو » للدينوري(٢٩٨هـ) تلميذ ثعلب والمبرد، وهو من أقدم كتب الخلاف، لكنه مفقود [6].

- «اختلاف النحويين» لثعلب[7] (٢٩١ هـ).

- «ما اختلف فيه البصريون» لابن كيسان (٣٢٠هـ) [8]، وقد اختلفت المصادر بذكر اسمه، فذكره بعضهم باسم «المسائل على مذهب النحويين فيما اختلف فيه البصريون والكوفيون».

- «المُقنع في اختلاف البصريين والكوفيين» للنحاس أبي جعفر بن محمد (٣٣٨ هـ)، و هو ردعلى كتاب ثعلب المذكور: (اختلاف النحويين)[9]. وقد ذكره السيوطي باسم: «المبهج في اختلاف البصريين والكوفيين»[10].

- «الايضاح في علل النحو» للزجاجي (٣٣٩ هـ) وهو كتاب مطبوع مشهور

---

(١) ينظر: انباه الرواة ٢/٢٩٥.

(٢) ينظر: معجم المؤلفين ٢/١٣٨.

(٣) ينظر: كشف الظنون ٢/١٤٢٨.

(٤) ينظر: بغيبة الوعاة ٢/٣٦٢.

(٥) ينظر: بغية الوعاة ٢/٣٥٤، وكشف الظنون ٢/١٤٢٨.

(٦) ينظر: الدراسات اللغوية والنحوية في مصر ١٥٨ - ١٦٠.

(٧) ينظر: طبقات الزبيدي ٢٣٤، ومعجم الادباء ٥/١٤٣، بغية الوعاة ٥/١٤٣، كشف الظنون ١/٣٣.

(٨) ينظر: مدرسة البصرة ١٠٨، وإنباه الرواة ٣/٥٩، والفهرست ١٢٠ ومعجم الادباء ١٧/٣٧ ، والمدرسة البغدادية ١٢٢.

(٩) ينظر: القفطي(انباه الرواة)١٢/١٠١، والدراسات اللغوية والنحوية في مصر ١٥٨ - ١٦٠ و ابن درستويه للدكتور عبدالله الجبوري ١٤٤.

(١٠) بغية الوعاة ١/٣٦٢.

ذكر فيه سبع مسائل خلافية[١].

- «الارشاد في النحو» لابن درستويه (٣٤٧ هـ) وذهب الدكتور عبد الله الجبوري الى أن هذا الكتاب ليس في الخلاف. ولابن درستويه كتب في الخلاف كثيرة أكثرها ردود على النحاة مثل: «الرد على ابن خالويه في الكل والبعض » و«الرّد على أبي يزيد البلخي» (٣٢٢ هـ)، و «الرد على ثعلب في اختلاف النحويين»، و«الرد على القراء في القرآن»، و«الرّد على المفصل في شرح المقتضب»، و «النصرة لسيبويه على جماعة النحويين»، و«نقض كتاب الراونديعلى النحويين» [٢].

- «الاختلاف» لعبيد الله الأزدي (٣٤٨هـ) [٣].

- «الخلاف بين النحويين» لأبي الحسن الرماني (٣٨٤ هـ)[٤].

- «كفاية المتعلمين فياختلاف النحويين» لابن فارس(٣٩٥ هـ)[٥].

- «الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين » لأبي البركات الأنباري وهو أشهر كتب الخلاف - قديماً وحديثا - نقلوا عنه وتابعوه في كثير من المسائل في طريقة العرض والتنظيم [٦]. لكنه لم يذكر جميع المسائل، وانما ذكر مائة و إحدى وعشرين مسألة - كما سنرى و قد درس هذا الكتاب اكثر من باحث معاصر دراسة دقيقة تحليلية [٧]، فضلاً عن الدراسات

---

(١) ينظر: الايضاح في علل النحو٤٦، ٥٦، ٧٢.

(٢) ينظر: ابن درستويهص٤٧ ومابعدها ..

(٣) ينظر: الفهرست ٨٥، وبغية الوعاة ٢٨/٢ ، وهدية العارفين١ /٦٨. .

(٤) ذكره القفطي في: إنباه الرواة٢/٢٥٩.

(٥) ينظر كشف الظنون ١/٣٣.

(٦) من الذين نقلوا عنه نقلا حرفياً من القدامى دون الاشارة اليه صاحب كتاب «التبيان في شرح الديوان» المنسوب إلى العكبري: ينظر ١/٢٠٣ ، و(النحو في شروح ديوان المتنبي)٤٩.

(٧) أشهر دراسات كتاب الإنصاف هي، (كتاب الإنصاف والخلاف بين المدارس النحوية) رسالة دكتوراه ، جامعة عين شمس / عفاف محمد حسنين، وكتاب (الإنصاف والخلاف النحوي) للدكتور محمد خير الحلواني . و(أبوالبركات الأنباري في كتابه الإنصاف) للدكتور محيي الدين توفيق . فضلاً عن دراسة إبراهيم السامرائي مسائل منه فيكتابه «المدارس النحوية اسطورة وواقع ص ٦١ - ٩٤و الدكتور فاضل السامرائي في بحثه: (الإنصاففيمسائل =

العابرة [١]. ومن الملاحظ التي وقعنا عليها في هذا الكتاب انه كان سبباً في تشويه كثير من الحقائق في تاريخ النحو ومسائل الخلاف، وسبباً لأوهام موروثة كثيرة في الخلاف النحوي. ولتعميق فكرة المدارس لدى المتأخرين والمعاصرين، فضلاً عن ابتعاده عن الموضوعية والإنصاف، وعدم الدقّة فيعرض الآراء ونسبتها إلى أصحابها الحقيقيين. واتّصافه بالتعميم وهيصفة يرفضها البحث العلمي الدقيق المعاصر، وتعصبه والجهل بالمصادر التي اعتمدها وغير ذلك [٢]. ويؤيدنا فيما نذكر أكثر من باحث فقد زعم بعضهم مطمئناً أنكتاب الإنصاف لا يقدم إلينا صورة صحيحة عنالمذهبين، لأنّ حجج الفريقين فيه ليست خالصة، فقد تدخلأبو البركات مضيفاً إليها ومولّداً عليها[٣].

- «مسائل الخلاف في النحو» لعبد المنعم بن محمد الغرناطي (٥٩٧هـ) [٤].

- «التبيين في مسائل الخلاف بينالكوفيين والبصريين» لأبي البقاء العكبري (٦١٦هـ)[٥] وهو يختلف عن كتابه الآخر (مسائل خلافية في النحو) الذي نشره الدكتور محمد خير الحلواني [٦]. وللعكبري كتاب آخر في الخلاف اسمه (التعليقة في الخلاف) و قد ذكر حاجيخليفة أنّه لم يرَ تعليقه في الخلاف غير تعليقه القاضي أبي يعلى[٧].

«نزهة العين فياختلاف المذهبين» لصاحبكتاب: «التبيان في شرح الديوان»

=

الخلاف بين البصريين والكوفيين لابن الأنباري) مجلة كلية الآداب بغداد ١٣/١٩٧٠ هو تكرار لأحد فصول كتابه: (ابو البركات الأنباري و دراساته النحوية)٦٠ ومابعدها.

(١) مثلدراسة مهدي المخزومي في كتابه: مدرسة الكوفة ٣٥٩ و ما بعدها.

(٢) ينظر تفصيل ذلك في كتاب الإنصاف والخلاف النحوي ٦٤، ٩٨، ١٠٠، ١٥٩، ١١٧، ٢٠٩ – ٢١٥.

(٣) المصدر نفسه ١٤٥.

(٤) ذكره السيوطيفيالبغية٢/١١٦، وينظر: كشف الظنون٢/١٦٦٩.

(٥) ذكره السيوطي في الاشباه والنظائر ونشره محققاً د. عبد الرحمن العثيمين وينظر: ائتلاف النصرة ١٢.

(٦) وقد نُشر محققاً أيضاً في السعودية وهو كتاب ضخم كثير المسائل.

(٧) ينظر: كشف الظنون١/٢٢٤.

المنسوب إلى العكبري . وكان ينسب نفسه الى الكوفيين و ينتصر لهم فيه [(١)]، لكنه نقل عن كتاب الإنصاف نقلا حرفياً من غير زيادة سواء في المادة الموضوعية و طريقة عرضها أم في المنهج أم في الجدل المنطقي الذي يعد سمة من سمات (الإنصاف) وقد اتضح لي ذلك من خلال نقوله الكثيرة في كتابه: (التبيان في شرح الديوان)[(٢)].

- «مسائل الخلاف في النحو»، لجمال الدين حسين بن إياس معاصر العكبري [(٣)].

- «الاسعاف في الخلاف» لابن إياز الحسين بن بدر (٦٨١هـ) [(٤)].

- (رؤوس المسائل في الخلاف» لأبي إسحاق إبراهيم بن أصبح[(٥)].

- «مسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين» ، للشيخ أبي رشيد سعيد بن محمد بن سعيد النيسابوري[(٦)].

- «ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة»[(٧)]، لعبد اللطيف بن أبي بكر الزبيدي (٨٠٢هـ) وهو كتاب موجز لكنه كثير . المسائل، رتّبها المؤلف على أقسام الكلمة: الاسم والفعل والحرف، بلغت (٢٢٣) مسألة، وبذلك زاد على الإنصاف بمسألة ومئة غير ما أغفله من مسائل الإنصاف وأحلّ محله مسائل أخرى.

- «الموفي في النحو الكوفي» للكنغراوي (١٣٤٩ هـ) [(٨)] صدر الدين

(١) ينظر: التبيان في شرح الديوان ٢٧٧/١، ١٣٦/٢، ١٥٣ ١٨٤/٣، ١١٥/٤ ففيه نقول كثيرة عن الكتاب المذكور.

(٢) ينظر رسالتنا: النحو في شروح ديوان المتنبي٤٩، ٩٦، ١١٨.

(٣) ينظر: كشف الظنون ١٦٦٩/٢.

(٤) ذكره السيوطي في: بغية الوعاة ٥٣٢/١.

(٥) ذكره السيوطي في همع الهوامع ١٤٨/٢.

(٦) مطبوع بليدن، مكتبة جامعة القاهرة، رقم ٤٣٤٥.

(٧) نشر الكتاب بتحقيق أستاذنا الدكتور طارق الجنابي، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ١٩٨٧.

(٨) تحقيق وشرح الأستاذمحمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق وقد أخذ الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة على المحقق بعض الملاحظات نشرها بمجلة المجمع العلمي العربي - دمشق ج ٤/ مج ٧، ١٩٥٢ص ٦١٧ وما بعدها، وقد ردّ عليه =

الاستانبولي، جمع فيه ما تفرق من آراء اهل الكوفة النحوية من مصادر المتأخرين لا سيّما الإنصاف، لذا فهو لا يمثل لنا النحو الكوفي، والإنصاف أيضا لا يمثل هذا المذهب، وهو كتاب موجز الاسلوب فجاء أشبه بأسلوب المتون المعقدة. ويُعد هذا الكتاب من كتب الخلاف لعنايته بنحو أحد المذاهب النحوية مقابل النحو البصري.

وثمة كتب أخرى في الخلاف الفردي والتنافس العلمي والشخصي مثل (الرّد على ثعلب) لابن درستويه (٣٤٧هـ) وآخر للزجاجي (٣٣٧ هـ) [١]و(الانتصار لثعلب) لأحمد بن فارس [٢].

ومن كتب الخلاف النحوي المهمة، كتب النحو الجامعة الطويلة، نذكر منها:

- «الأصول» لابن السراج (٣١٦ هـ). الذي اهتم بذكر الخلاف ومسائله كثيراً، النحوية واللغوية والصرفية. وقد كتبت رسالة ماجستير في هذا الموضوع باسم: (المسائل الخلافية في كتاب الاصول) [٣]، قال صاحبها " وما أظن أن كتاباً نحويا فيه من الخلاف ما في الاصول " [٤].

- «اعراب القرآن» لأبي جعغر النحاس (٣٣٨ هـ). يعد من أهم كتب الخلاف المتقدمة وأوثقها وأوفرها مادة، تحرى النحاس الدقة في عرض مسائل الخلاف، ذكر أكثر من مئتي مسألة، لم يذكر منها الانصاف سوى (ست وأربعين). وقد أفردت رسالة ماجستير في ذلك باسم: «الخلاف النحوي في كتاب اعراب القرآن للنحاس»[٥].

- ومنها شرح السيرافي (٣٦٨ هـ) على كتاب سيبويه. وكتب أبي علي الفارسي، وكتب ابن جني لا سيما شرحه على ديوان المتنبي المسمى بـ(الفسر)،

=

الأستاذ البيطار بالعدد نفسه ص ٦٢٣ - ٦٢٦.

(١) ذكرهما ابن النديم في (الفهرست)٩٤.

(٢) ذكرهما السيوطي في (بغية الوعاة)٢١٤، ٣٥٤. وياقوت الحموي في معجم الادباء ٨٥/٣.

(٣) محمد أمين بكري، باشراف الدكتور عبد الحسين الفتلي، آداب / بغداد ١٩٨٩.

(٤) تنظر الصفحة ٧.

(٥) لجبار عباس صالح الخالدي، جامعة صلاح الدين / كلية الآداب ١٩٨٨.

والشروح الأخرى [١]. وقد كثر ذكر الخلاف أيضا في شروح المتون والمنظومات، وشروح الدواوين الشعرية.

وقد نلقى نوعين من الخلاف: خلافاً عاماً بين النحاة، وخلافاً بين الناظم والشارح. وبين الشارح والشراح الآخرين للمتن، مثل شروح كتاب سيبويه [٢] وشروح كتاب الجمل [٣]، وشروح الكافية [٤] وشروح كتاب المفصل[٥] وغيرها.

ويكثر هذا النوع من الكتب الجامعة، عند المتأخرين، حتى تكون كتبهم أشبه بالموسوعات النحوية الكبيرة، فلا يكادون يتركون مسألة نحوية الا وذكروها. وقد تنافسوا في ذلك مثل:

١ - شرح الرضي على كافية ابن الحاجب [٦].

٢ - شرح المفصل لابن يعيش (٦٤٣ هـ) الذي يعد من أكثر كتب النحو المطوّلة ذكرا لمسائل الخلاف [٧].

٣ - كتب ابن مالك (٦٧٢ هـ) مثل: شرح الكافية الشافية[٨]، وكتاب التسهيل [٩]، وقد قامت على كتب ابن مالك حركة نحوية واسعة من الشروح

---

(١) ينظر: النحو في شروح ديوان المتنبي ١١٥ - ١٢٦.

(٢) ينظر: سيبويه امام النحاة ٣٦ وما بعدها.

(٣) ينظر: مقدمة تحقيق كتاب البطليوسي: الحلل في اصلاح الخلل ١٠.

(٤) ينظر: شروح كافية ابن الحاجب، رسالة دكتوراه.

(٥) ينظر: المسائل الخلافية في شرح المفصل، رسالة ماجستير.

(٦) ينظر: الآراء الكوفية التي رجّحها الرضي في شرحه على الكافية، رسالة ماجستير ٣٥ وما بعدها.

(٧) ينظر: (المسائل الخلافية في شرح (المفصل) رسالة الماجستير أحلام محمد خليل، آداب - بغداد ١٩٨٩.

(٨) ينظر: شروح الكافية الشافية، د. عبد المنعم أحمد هريدي ٣٣٤، ٦٠٧، ١١٩٨، ١٢٠٦، ١٥٧٩.

(٩) تنظر: رسالة الماجستير: (مسائل الخلاف النحوي في تسهيل ابن مالك) عام ١٩٨٩ آداب / بغداد ص ٤٥، ٤٩.

والردود خاصة على منظومته الألفية [١]، وكتاب التسهيل، وما جاء عَرَضا في المصادر النحوية التي تلته لا سيما في كتب الزمخشري [٢].

٤ - كتب أبي حيان الأندلسي (٧٤٥ هـ)، لا سيما: (التذييل والتكميل في شرح التسهيل) وارتشاف الضرب[٣]، الذي هو اختصار لكتابه (التذييل) وتكملة له في بعض المواضع التي لم يذكرها أبو حيان[٤].

٥ - كتب ابن هشام (٧٦١ هـ) ولا سيما كتابه (المغني)[٥].

٦ - كتب السيوطي(٩١١ هـ)، ولا سيما كتابيه: همع الهوامع، والاشباه والنظائر، إذْ ذكر أكثر مسائل الخلاف المعروفة [٦].

٧ - شرح التصريح للشيخ خالد الازهري (٩٠٥ هـ) [٧].

٨ - شرح الاشموني (٩٢٩ هـ) وحاشية الصبان [٨].

٩ - حاشية الخضري (١٢٨٧ هـ) على شرح ابن عقيل [٩].

وغير ذلك من كتب المتأخرين الكثيرة مثل: (نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل)، لمحمد بن أبي بكر الدلائي [١٠]، وحاشية أبي النجاء على شرح الأزهري

---

(١) ينظر: المدرسة النحوية في مصر والشام ١٧٢ وما بعدها.

(٢) مثل: الكشاف، ٢ / ٢٣٩، ٣ / ١١٥، وقد افرد فهمي حسن النمر كتابه لذلك باسم: (مسائل الخلاف بين الزمخشري وابن مالك).

(٣) ينظر: مثلا: ١ / ٢٦٤، ٣٣٥، ٣ / ٤٠٣، ٤٠٥، ٤١٣، ٥٠٥، ٥٤٧.

(٤) ينظر: ارتشاف الضرب ١ / ٣.

(٥) ينظر: ابن هشام الأنصاري اثاره ومذهبه النحوي ٣٩٥ وما بعدها، وابن هشام الأنصاري حياته ومنهجه ١٩٦.

(٦) ينظر: الهمع ١ / ٤، ١٧١، ٢١٥، ٢ / ٢٧، ٩٠، ١٣٧، والاشباه والنظائر ٤ / ١٢٣ وما بعدها. والسيوطي النحوي د. عدنان محمد سلمان، ومدرسة البصرة ١٠٩ - ١١٠. ومسائل الخلاف بين علماء مدرسة البصرة ١١٥.

(٧) ينظر: شرح التصريح على التوضيح ١ / ٦٢، ١٩٥، ٢ / ٩٥، ١٢٤، ١٤٣، ١٨٩.

(٨) ينظر: حاشية الصبان ١ / ٧٦، ١٩٥، ٢ / ٤٥، ٥٩، ٤ / ٢٨، ٦٩.

(٩) ينظر: حاشية الخضري ١ / ٥٦، ٦٤، ٩١، ٢ / ١٩، ٥٢، ٨٤.

(١٠) ينظر: مج ١ / ج١ / ص ١٧٩، ١٩٣، ٢٢٠، مج ٢ / ج٤ / ص ١٢٦٣، ١٢٧٠، ١٢٨٠.

على الآجرومية [1]. وحاشية مشكور السجاعي على قطر الندى (١١٩٧ هـ) [2] أما المعاصرون، فتكاد كتبهم في الخلاف والمدارس النحوية وتاريخ النحو لا تحصى، مما سننظر فيه لاحقا.

---

(١) ينظر: ١٢، ٢٥، ٣٧، ٦٣ ٧٠.

(٢) ينظر: ٩، ١٨، ٢٧، ٤٨، ٦٠.

المبحث التاسع

الخلاف النَّحوي والتَّيسير

سأحاول في هذا الفصل، ربط الدراسات النحوية المعاصرة بالموروث النحوي بما فيه الخلاف النحوي، لكي يُتبيّن المدى الذي استند اليه أصحاب محاولات التيسير النحوي وهم ينظرون في الموروث النحوي ولا سيما ذلك الخلاف النحوي الواسع المتشعب.

أمّا منهجنا فيقوم على دراسة المسائل الخلافية ثم عرضها في ضوء ما صدر عن المحدثين من دعاة التيسير النحوي المعاصر للوقوف على الآراء والأفكار التي يمكن الاعتماد عليها في التيسير النحوي. وبهذا العمل نخضع أول مرة الخلاف النحوي لمبدأ التطبيق او الاستعمال اللغوي، ونحاول توجيه التيسير الى خدمة الاستعمال اللغوي. وسأعتمد على محاولات التيسير الشاملة المشهورة ذات الجانبين النظري والتطبيقي من غير أنْ نتعرّض الى محاولات اصلاح الكتاب النحوي التي يعدها بعضهم جزءا من محاولات التيسير فهي وإنْ كانت كذلك لكنّها لا تمسّ المادة الموضوعية التي نحن بصددها إلا نادرا بوصفها أحد مظاهر المنهج التعليمي الميسّر، وسوف أتناول الموضوعات النحوية على وفق ترتيب ابن مالك، لأنه الأشهر والمألوف لدى المتعلمين، محاولا ايضاح جملة من القضايا النحوية التي رأيت أنّها جديرة بالدراسة والتمحيص لأنها كانت سببا في اختلاف مناهج أصحاب التيسير كما سنرى، وأذكر منها علاقة التيسير بالخلاف النحوي، ومفهوم النحو والاعراب، والعامل النحوي بين القدامى وأصحاب محاولات التيسير النحوي وغير ذلك.

لقد اعتمد أصحاب محاولات التيسير النحوي المعاصر على الخلاف النحوي اعتمادا كبيرا، وقد صرّح بعضهم بذلك، وكانوا يبحثون في الخلاف النحوي المتعدد ليجدوا ما يناسب العصر، ويتفق مع توجههم في الدراسة،

فيأخذون به ويدعون اليه وإن كان رأيا غير مشهورٍ، ويهملون غيره وإن كان رأيا مشهورا تتناقله الكتب النحوية، ويأخذ به أكثر النحاة، ولا سيما الذي يتناقض وما يهدفون اليه من اصلاح وتيسير (١).

كان هذا من أهمّ الأسس التي استند اليها التيسير الحديث، وهو اختيار الأسهل من الآراء، أو ابتكار رأي أسهل يقوم على الشاهد وتؤازره الحُجّة، من ذلك ما شاع منذ عام ١٩٥٠ من العناية بمذهب الكوفيين (٢)، والدعوة الى إحيائه والأخذ به، لأنــه يتّسم بالسهولة والتساهل والاكثار من الاستشهاد بالقرآن الكريم وقراءاته، فضلا عن قربه من روح اللغة والدرس الحديث، على العكس من المذهب البصري الذي تشدّد في السماع وأكثر من الاعتماد على المنطق والفلسفة (٣)، وقد كان المستشرقون أوّل من نبّه إلى ذلك (٤). ثم تبعهم الباحثون العرب، وكان الدكتور مصطفى جواد رحمه الله أقدم من دعــا الى ذلــك (٥)، ثم كثرت بعده الدعوات التي تشيد بجهود الكوفيين وبمذاهبهم (٦). وكان الدكتور مهدي المخزومي رحمه الله من

(١) النحو المنهجي ٥٣، ١٢٥ ودراسات في العربية وتاريخها ٢٤٥، وتشذيب منهج النحو ٨ - ٩، وكلا وكلتا، مصطفى السقا، آداب، جامعة فؤاد الاول مج ٨، ع ٢، ديسمبر ١٩٤٦، ص ١٥، وبعض وجوه التهذيب والتيسير في القواعد النحوية، مجمع اللغة العربية، الدورة ٣٦، ١٩٧٠، ص ٩٨ - ١١٩، والنحو الوافي ١/٧٦، ٢٨٩، ٢/١٢٤، ٢/٥٠٢، ٨٦، ٥٩٩، ٦١٣، والأمثلة على ذلك تملأ الكتاب. واللغة والنحو بين القديم والجديد ٩٠ - ١١٠. وخطى متعثرة على طريق تجديد النحو ٢٠٣، وأبو زكريا الفرّاء ٥١٩، وتهذيب المقدمة اللغوية ٢٨٨، وابن الانباري في كتابه الإنصاف ٢٩٧، وتييسير العربية بين القديم والحديث ٧.

(٢) نطلق كلمة (الكوفيين) هنا وفي المواضع الأخرى من الرسالة ونعني بها في الغالب آراء الفرّاء والكسائي.

(٣) ينظر: القرآن الكريم وأثره في الدراسات اللغوية ٩٨، ١٣٣.

(٤) ينظر: بروكلمان ٢/١٩٦.

(٥) ينظر: النحو الكوفي وفائدته في تيسير قواعد اللغة العربية، المعلم الجديد، ج٣، مايس ١٩٥٠ س١٣ ص ٢١٣.

(٦) مثل: عبد الحميدحسن في بحثه: (المذهب الكوفي وأثره في التطوير والتيسير). والدكتور مصطفى السقا في بحثه (نشاة الخلاف بين النحويين)، مجلة مجمع اللغة العربية ج ٣ / ١٩٥٨، ص ٩١ - ١٠١، والدكتور صاحب أبو جناح في: (خطى متعثرة على طريق تجديد
=

أبرز الداعين الى إحياء المذهب الكوفي والاستفادة منه في التيسير المعاصر، ويأخذ على أصحاب التيسير أنهم لم يفيدوا من المذهب الكوفي في تجديد النحو العربي أو تيسيره [١].

وأذكرمن الآراء الكوفية التي دعا اليها أصحاب التيسير النحوي، إعراب خبر كان وثاني مفعولي ظننت حالا، ورفع المنادى العلم، وجواز تأكيد النكرة تأكيدا معنويا، وجواز العطف على الضمير المخفوض، وجواز ترك صرف مالا ينصرف ضرورة وغير ذلك مما ستتناوله مفرقا في مواضع أخرى.

والذي أرى أنّ التيسير لا يكون بالأخذ بمذهب نحوي دون آخر، وقد أثبتنا قبلُ أنّ المذاهب النحوية لم تقتصر على المذاهب الخمسة المعروفة، بل هي متعددة بعدد أئمة النحو المشهورين. أما التيسير الحقيقي فيكون بدراسة التراث النحوي كله بكل مذاهبه دراسة جديدة، وتهذيبه باختيار الأفضل والأيسر وابعاد غير ذلك مما علق بالنحو خلال مسيرته الطويلة، فقد كان الكوفيون أصحاب منطق وفلسفة، يطعنون في بعض القراءات كما كان البصريون، وقد شاركوهم في التعليل والعامل والتأويل وغير ذلك مما أخذه أصحاب التيسير على النحو القديم [٢] فضلا

=

النحو) ١٥٠ – ١٥٢، والدكتور عبد العال سالم مكرم في (القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية) ٩٠ – ١٣٣، والدكتور أحمد مختار عمر في: (البحث اللغوي عند العرب)٩٧. والدكتور فاضل السامرائي في: (رأي الكوفيين في النقص والتمام في الافعال) مجلة المجمع العلمي العراقي ج٢/مج١ع، ١٩٩٠. ود. حسني محمود حُسني في: (مسألة جواز تاكيد النكرة معنوياً بين الكوفيين والبصريين) مجلة المجمع الاردني، ع ١٣ و١٤، س ٤، تموز، ١٩٨١ ص ٨٦. وغيرهم.

(١) ينظر: مدرسة الكوفة ٤٠٥ – ٤١٤. ودعوة جادة في اصلاح العربية، المعلم الجديد ج١ س ١٨ ص ٢٣، ١٩٥٤ ص ٢٩. وقد أخذ غير واحد على المخزومي اندفاعه في ذلك. ينظر مثلا: المدارس النحوية اسطورة وواقع ٥٠. والنحو العربي نقد وبناء ٣٨، ٤٩، ونحو لغة عربية سليمة ١٩.

(٢) ينظر: النحو العربي نقد وبناء ٤٩، والمدارس النحوية اسطورة وواقع ٥٨، ونحو لغة عربية سليمة ١٩ – ٢٠.

عن ذلك فقد تابع كثير من القدامى الكوفيين في مسائل وآراء متعددة [١]، لكن لم نقرأ عنهم أنهم جعلوا المذهب الكوفي خير المذاهب النحوية.

إننا ندعو الى الأخذ ببعض آراء الكوفيين ولا سيما آراء الفراء، ولا ندعو الى الأخذ بها كلها، إلى ما دعا إليه بعضهم أن يدرس النحو الكوفي سنة واحدة في الجامعة احياءً له واشادةً به، لما فيه من حلول لمشكلات النحو العربي[٢]. إنما ندعو الى الأخذ بكل رأي نحوي يسير يناسب قابليات التلاميذ، وإن كان رأيا غير مشهور، أو كان صاحبه غير معروف. وبذلك يكون للخلاف أهمية كبرى في تنشيط الدرس النحوي ولا يكون سببا من أسباب تعقيد النحو وتعسيره، كما ذهب بعضهم.

مفهوم النحو:

لا بد لدارس النحو أن يدرك مفهوم النحو وأن يحدّده، لأن الاختلاف فيه يؤدي الى اختلاف في المسائل والمناهج النحوية، وهو مفهوم متباين بين النحاة خلال العصور، فعند سيبويه مثلا يشمل مباحث منها: التراكيب، والصرف والأصوات[٣]، وهو مفهوم شامل أخذ به الدرس النحوي الحديث [٤]. وقد تابع سيبويه كثير من النحاة في هذا المفهوم الشامل، نذكر منهم: المبرد [٥] والزمخشري [٦]، وابن

---

(١) فقد تابعهم أبو البركات في سبع مسائل هي: ٧و٨و٢٦و٩٧و١٠١و١٠٦. وتابعهم الرضي في ٣٩ مسألة، وتابعهم الأخفش في خمسين مسألة. ينظر: أبو البركات الأنباري في كتابه الإنصاف ١٥، ومدرسة البصرة ٤٩ - ١٦٦. والنحو الكوفي وأثره في التفسير، رسالة دكتوراه ٨٥، ٢٦٦. والآراء الكوفية التي رجّحها الرضي في شرحه، رسالة ماجستير (تنظر الخاتمة). ومنهج الأخفش الاوسط، عبد الامير الورد ٣٩٧ - ٤٠٥.

(٢) دعا الى ذلك بعض المشاركين في ندوة جامعة الكوفة ١٩٩٠. ينظر مقال الدكتور نعمة رحيم العزاوي: (ألنا مدارس نحوية، على هامش ندوة جامعة الكوفة)، جريدة الجمهورية، الخميس ١٢/تموز / ١٩٩٠.

(٣) ينظر: الكتاب ١٩/١ - ٢٢.

(٤) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية، واللغة العربية معناها ومبناها ٨٦ - ٧٨، وفي النحو العربي نقد وتوجيه ١٩ - ٣٠.

(٥) ينظر: المقتضب ٨٥/١.

(٦) ينظر: المفصل ٣٦.

مالك [١] وغيرهم. ويبدو أنّ أقدم التعريفات التي قيلت بشأن مصطلح (النحو) مما وصل إلينا هو تعريف ابن جني: «هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والاضافة والنسب والتراكيب وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها رُدَّ به اليها» [٢].

ويكاد يجمع النحاة على أنّ النحو: «علم مستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله عزّ وجل، وكلام الفصحاء العرب» لكننا نجد كثيرا من أصحاب التيسير ينسبون الى النحاة المتأخرين مفهوما ضيق العبارة يقصر النحو على الحرف الأخير من الكلمة [٣]. والحق أنّ أكثر المتأخرين لا يأخذون بهذا المفهوم فقد نقل السيوطي مثلا تعريفا لبعض النحاة هو أنّ النحو «صناعة علمية ينظر بها أصحابها في ألفاظ كلام العرب من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم لتعريف النسبة بين صيغة النظم وصورة المعنى، فيتوصل باحداهما الى الأخرى» [٤]. وهو تعريف يفهم النحو فهما أوسع من ضبط الحركات في أواخر الكلمات. وعرّف التهانوي (القرن الثاني عشر الهجري) النحو فقال: «هو علم يعرف به كيفية التركيب العربي صحة وسقاما وكيفية ما يتعلق بالألفاظ من حيث وقوعها فيه...» [٥]. في ضوء ذلك يمكننا القول: إنّ أغلب المتأخرين كانوا لا يقصرون النحو على الاعراب بل هو عندهم مفهوم شامل يجمع النحو والصرف [٦].

---

(١) ينظر: صدر منظومة (الالفية).

(٢) الخصائص ٣٥/١.

(٣) ينظر: احياء النحو ١٦ – ٢٠، ونظرات في اللغة ٣٠، وفي اصلاح النحو ١ – ١٤، وظاهرة الاعراب ١٥، ودراسات في اللغة والنحو ٤٤، والنحو العربي دراسة نصية ٩ – ٢١.

(٤) الاقتراح ٧، وينظر: حاشية الصبان ١٦/١، وحاشية الامير ٣/١.

(٥) كشاف اصطلاحات الفنون ١٨/١.

(٦) ينظر: فصول في فقه العربية ١٥٠.

لقد أسرع بعض أصحاب محاولات التيسير النحوي أيضا وأخذوا على القدامى فصلهم النحو عن علم المعاني ثم عدّوا ذلك سبباً لصعوبة النحو [(١)]، ودعوا الى الربط بينهما. والحقّ أنّ القدامى لم يهملوا هذا الجانب في دراساتهم النحوية، بل كان النحو عندهم لصيقا بالمعنى، لأنّ الأسباب التي كانت وراء وجوده تخصّ فهم القرآن الكريم. وقد شمل كتاب سيبويه كثيرا من المباحث في المعنى[(٢)]، ونجد ذلك عند السيرافي [(٣)]، وابن جني [(٤)]، حتى اكتمل الربط بين النحو والمعنى عند عبد القاهر الجرجاني ونظريته في النظم، [(٥)]ونجد ذلك أيضا عند الزمخشري [(٦)]، وابن مضاء القرطبي [(٧)]، وابن هشام [(٨)] وغيرهم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى انبرى عدد من الدارسين المعاصرين للردّ على من أتهّم النحاة بأنهم قصروا مفهوم النحو على الحرف الأخير من الكلمة، وأنهم فصلوا بين النحو وعلم المعاني، وردّوا قول الأستاذ إبراهيم مصطفى [(٩)] في أنه أول من اتجه اتجاها جديدا بالنحو تجاوز أواخر الكلم وعلامات الاعراب الى مراعاة نظم الكلام والمعنى [(١٠)].

---

(١) ينظر: احياء النحو ١٦ - ٢٠، والمباحث اللغوية في العراق ٩، ونحو القرآن ١٦، وأصول النحو العربي ٢٦٥، ودراسات في اللغة والنحو ٤٤٤، ومقالة الدكتور نعمة العزاوي. (معاني النحو)، الجمهورية ١٨ / آب ١٩٨٧. ومحمد عبد الخالق عُضيمة وجهوده النحوية، رسالة ماجستير ١٢٣.

(٢) ينظر: الكتاب ١/٢١٩، ٣١٦.

(٣) في مناظرته لمتى بن يونس المشهورة، ينظر: المقابسات للتوحيدي ٨٠.

(٤) ينظر: الخصائص ١/٢٧٩.

(٥) ينظر: دلائل الاعجاز ٢٣، وينظر تفصيل ذلك في: منهج البحث النحوي عند الجرجاني ٤٧٠، ٤٨٠ وقد تتبع د. حاتم الضامن جذور هذه النظرية فوجدها عند كثير من النحاة، ينظر: نظرية النظم، الموسوعة الصغيرة رقم (٤٧). ١/٩/١٩٥٩.

(٦) ينظر: الدراسات النحوية عند الزمخشري ٣٧٥.

(٧) ينظر: الرد على النحاة ١٢١ - ١٢٦.

(٨) ينظر: مغني اللبيب (المقدمة)، ونحو المعاني ٣ - ٧.

(٩) ينظر: احياء النحو ١٦ - ٢٠.

(١٠) ينظر: الاتجاهات النحوية الحديثة ١١٨، ٢٧٣، والنحو والنحاة بين الأزهر والجامعة ١٥، ٦٠، ٦٨، والنحو المنهجي ٥٢، ودراسات في علم اللغة العربية وتاريخها ٨١، والنحو =

وقد اعتمد أصحاب التيسير الذين دعوا الى ربط النحو بالمعنى، [١] على النحاة القدامى وردّدوا أقوالهم، فكيف يكون القدامى قد أهملوا ذلك.

العامل النحوي:

حظيت نظرية العامل بدراسات وأبحاث متعددة تناولت تعريفها ونشأتها وتاريخها والخلاف فيها وفي أقسامها. خلاصتها، إنّ الاعراب أثر يجلبه العامل، وإنه نشأ نشأة لغوية على يد النحاة الأوائل كالخليل وغيره، ثم بدأ تأثير الفلسفة والمنطق بعد سيبويه. وقد اتفق النحاة على أثر العوامل لكنهم اختلفوا في التفصيلات [٢].

لقد حاول بعض النحاة القدامى إلغاء نظرية العامل، ونجد أصول ذلك عند الكسائي والفراء وغيرهما [٣]. لكن أهم ما وصل إلينا من آراء القدامى في العامل

=

بين التجديد والتقليد ٣٤، ومنهج البحث النحوي بين التراث والعاصرة ١٠٥ - ١٨٠، وأساليب الطلب عند النحويين ٢٣ - ٨٠، والنحو والتيسيير، محاضرة د. فاضل السامرائي في المجمع العلمي العراقي ١١/١/١٩٣.

(١) ينظر: رأي في موضوع علم النحو ١٠٥، ونحو المعاني ١٧، ونحو التيسير ٣ - ٧، ١٦، ومعاني النحو، مقالة الدكتور العزاوي ١٨/اب /١٩٨٧، الجمهورية، والنحو والتيسير، محاضرة الدكتور فاضل السامرائي، ومن قضايا تعليم اللغة العربية ١٠٦ وقد درس ذلك بالتفصيل الدكتور محمد حسين الصغير معتمدا على الدراسات السابقة لا سيّما دعوة الجواري، ينظر كتابي الصغير: علم المعاني بين الأصل النحوي والموروث البلاغي (مقدمة الكتاب)، ونحو التجديد في دراسات الدكتور الجواري ١٢٥ وما بعدها.

(٢) ينظر: العوامل المائة النحوية ١٥ وما بعدها، وثمار الصناعة ١١، ٣٤، ٧٦، وأصول النحو العربي ١٣٨ - ٤١٩، وظاهرة الاعراب في النحو العربي ٦١ - ٨٦، وقضايا التقدير النحوي ٧١، والعلامة الاعرابية ١٥٩ وما بعدها وباب التنازع عند النحويين، رسالة ماجستير ٦ وما بعدها.

(٣) ينظر: العوامل المائة (مقدمة التحقيق) ١٥ - ١٨، وشرح الرضي ٨٧/١، ١٤٨، ١٦٣ وحاشية الصبان ٤١٥/١، وأبو زكريا الفرّاء ٣٢٥، وابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية ١٣٨، ومحاولات حديثة في تيسير النحو العربي ١٢٤، والاعراب على الخلاف، د. صاحب أبو جناح ٧٣ - ٧٥.

رأيان: أحدهما لابن جني والآخر لابن مضاء القرطبي[١]. أما ابن جني فكان يرى العامل هو المتكلم نفسه لكنه لم يحاول إلغاءه [٢]. وقد رفض بعض المعاصرين فكرته لأنها تتنافى مع الطابع الاجتماعي للغة. [٣] وأيّده بعضهم الآخر وعدّ قوله هذا محاولة لبناء نحو جديد [٤]. وعلى أية حال فإنّا لم نجد لرأي ابن جني هذا صمودا في مؤلفاته وأبحاثه النحوية الأخرى.

أمّا ابن مضاء فكان أوّل الداعين صراحة الى إلغاء العامل، وكل ما يترتب عليه من حذف وتقدير واستتار ومتعلقات الجار والمجرور وبابي التنازع والاشتغال، وهاجم النحاة هجوما عنيفا في ذلك [٥]، لكن دعوته هذه لم تلق تأييدا إلا عند أصحاب التيسير المعاصرين، لا سيما في دعوتهم الى إلغاء نظرية العامل وذهبوا الى أنها السبب الرئيس لكل مشكلات النحو وتعقيده. لكن لم يقم أحد منهم بتصنيف النحو على أساس جديد ينفي أثر العامل بل نجده في تأليفهم النحوية[٦].

وكان إبراهيم مصطفى أول المتأثرين بابن مضاء [٧] وإن لم يصرّح بذلك، وتابعه آخرون منهم: الدكتور شوقي ضيف [٨]، وعبد المتعال الصعيدي [٩]، والدكتور مهدي المخزومي [١٠] والدكتور أحمد عبد الستار الجواري[١١]،

(١) أشهر مصنف وصل الينا في العمل والعوامل النحوية هو (ثمار الصناعة) للجليس النحوي، فقد تحدث عنها بقدر ليس موجودا بمصنف آخر نعرفه، ينظر: (مقدمة التحقيق).

(٢) ينظر: الخصائص ١/١٠٩، ١١٧، وشرح الرضي ١/١٨، ٢١، والاقتراح ٢٤، وفقة اللغة في الكتب العربية ١٥٧، والعلامة الاعرابية ١٧٠، وابن مضاء القرطبي وجهوده النحوية ١٣٩.

(٣) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية ٥١، والمفتاح لتعريب النحو ١٣٢.

(٤) ينظر: ظُهر الإسلام ٢/١١٧، والعامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه ٦٧، ومدرسة الكوفة ٢٦٥.

(٥) ينظر: الرد على النحاة ٧٨ - ١٠٧.

(٦) ينظر: العلامة الاعرابية ١٩٠، وباب التنازع عند النحويين ٢٦.

(٧) ينظر: إحياء النحو ٤٥ - ٥٠.

(٨) في محاولته المستوحاة من أفكار ابن مضاء، ينظر: الرد على النحاة (مقدمة التحقيق) ٤٨، ٥٦، ثم تراجع عن نفيه للعامل كما ذكر الدكتور فتحي الدجني: الجملة النحوية ٦٥.

(٩) ينظر: النحو الجديد ١٢٢.

(١٠) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه ٨١.

(١١) اضطربت فكرة العامل عنده فهو يلغي العامل في موضع ويأخذ به في موضع آخر، ينظر: =

والمحامي علي الكسار [١] والأستاذ يوسف كركوش [٢] والدكتور صاحب أبو جناح [٣] وغيرهم وحاول بعضهم تقديم بعض الآراء والأفكار بديلا لنظرية العامل لكن لم نجد في ذلك ما يمكن أن يرقى الى مستوى النظرية العلمية التي يمكن أن تعمّ وتسود في التأليف النحوي، ولعل أبرز هذه الأفكار: (مقولة الاسناد) وهي قديمة[٤] وقد حاول المحدثون تجديدها [٥]، ونظرية (تضافر القرائن) وهي أفكار قديمة مستمدة من آراء الجرجاني في النظم[٦]. ويبدو أنّ تمام حسان الذي دعا الى ذلك قد أخذ بآراء عبد القاهر وصاغها في اطارحديث، فقد ركّز على السياق لأنه المكان الطبيعي لبيان المعاني الوظيفية للكلمات [٧].

وثمة فئة اخرى من الدارسين المعاصرين، تؤيد نظرية العامل وتدافع عنها وتهاجم ابن مضاء الذي دعا الى إلغائها ومن تبعه من المعاصرين عربا ومستشرقين [٨].

=

نحو التيسير ٣٩، ونحو الفعل ٢٧، ٦١، ٦٧، ونحو القرآن ٦٩.

(١) ينظر: المفتاح لتعريب النحو ٨٥.

(٢) ينظر: رأي في الاعراب ٢٨.

(٣) ينظر: الاعراب على الخلاف، المورد مج ١٣ ج ٣، ١٩٨٤، ص ٧٣.

(٤) ينظر: الكتاب ١/٢٣، ٢/٢٦، والمفصل ١٥.

(٥) ينظر: إحياء النحو ١٩٤. وفي النحو العربي نقد وتوجيه ٨١، ونحو التيسير ٧٧، ٨٠، ٩٧، والمفتاح لتعريب النحو ٦٥.

(٦) ينظر: دلائل الاعجاز ٤٣، ٩٧، والرد على النحاة ١٢٦، ١٤٧.

(٧) ينظر: مناهج البحث في اللغة ٢٣٣، واللغة بين المعيارية والوصفية ١٨١، ٥١، وكيف نعلّم غير الناطقين بالعربية تحديد المعنى النحوي في غيبة العلامة الاعرابية، مجلة أم القرى ع١، ١٩٨٣، ص ١٩ - ٣٤، وأصول النحو العربي، د. محمد عيد٢٦٧، ٢٧٠. وينظر: تفصيلات في هذه النظريات البديلة: ظاهرة الاعراب ٧٧ - ٨١، والعلامة الاعرابية ٢٨٨، وما بعدها، وباب التنازع عند النحويين ٥٠ - ٥٧.

(٨) مثل: الأستاذ علي النجدي ناصف في كتابه: (من قضايا اللغة والنحو) ٨٣ - ١٠١، وعباس محمود العقاد في كتابه (أشتات مجتمعات في اللغة والأدب) ٢٩، والدكتور محمد خير الحلواني في (أصول النحو العربي) ١٣٨ - ٢١٩. والدكتور عبد حسين الفتلي في بحثه: (اسلوب النداء ونظرية العامل)، آداب المستنصرية ع ٤، س ٤، ١٩٧٤، ص ٣٤. والدكتور فتحي الدجني في كتابه: (الجملة النحوية)٩٥، و(ظاهرة الشذوذ في النحو العربي) ٤٤٥.

=

ومن الثابت أنّ من صفات البحث العلمي: تعليل الأشياء وتفسير الظواهر بما يربط الحادث بسببه، والنتائج بعللها، وبهذا تكون نظرية العامل التي أخذت من جهد النحاة الكثير انجازا علميا مرموقا، يوصل الأشياء بأسبابها. وقد ترتّب على نظرية العامل قضايا فرعية متعددة كان لها الأثر الواضح في بناء النظرية اللغوية، ومن هذه لقضايا:

- فكرة الترتيب الذي بموجبه «تقتفي الكلمات في نظمها آثار المعاني، ويكون ترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس» [١].

- والحذف والتقدير.

- والزيادة [٢].

إنّ الدرس النحوي لا يمكنه الاستغناء عن العامل لأنه أهم وأيسر وسيلة لتعليم النحو، ولم يكن العامل سببا لتعقيد النحو كما زعم بعضهم ولا سيما العامل اللغوي [٣] الذي عرفه النحاة الاوائل، غير المتأثر بالمنطق الذي دخل مؤخرا فأفسد العامل [٤]، ومن أمثلته: الاعراب على الخلاف، والقصد اليه وغير ذلك مما تنبّه اليه القدامى كالخليل وسيبويه ومن تابعهما كابن الطراوة (٥٣٨ هـ) وتلميذه السهيلي (٥٨١ هـ) فقد فسرا كثيرا من حالات النصب في ضوء مفهوم المخالفة كالاستثناء وتمام الكلام مثل: (له عشرون درهما)، والقصد اليه مثل (سبحان الله) و(ويل زيد وويحه) [٥].

=

والدكتور رشيد العبيدي، ذكر ذلك في مناقشته رسالة الدكتوراه: (الزيادة على الجملة العربية)، محمد جواد الطريحي، ١٩٩٤/١١/١، كلية الآداب / جامعة المستنصرية.

(١) دلائل الاعجاز ٤٠، والتعريفات ٢١.

(٢) ينظر: ملامح النظرية التحويلية ٢٥ وما بعدها.

(٣) هكذا سمّاه المخزومي وتابعه الدكتور أبو جناح. ينظر: مدرسة الكوفة ٢٦٠، والاعراب على الخلاف ٧٤.

(٤) ينظر: العلامة الاعرابية ١٦٧.

(٥) ينظر: الكتاب ٧٥/١، ٣٦٥، ٣٩٥، وشرح التصريح ٣٩٥/١، ونتائج الفكر للسهيلي ١١٠/١، وأبو الحسن بن الطراوة وأثره في النحو ٧٤٠. ومدرسة الكوفة ٢٦٠ - ٢٩٦. والاعراب على الخلاف في الجملة العربية ٧٣.

إنّ للعامل أهمية في التعليم لا بدّ لها وأعني العامل اللغوي المتجرّد من الشوائب كالفلسفة والمنطق التي علقت في اثناء رحلة النحو الطويلة. الى ذلك ذهب كبار النحاة المعاصرين مثل عباس حسن الذي كان يمثل الموقف المعتدل المتمثل بمراعاة جانب الانصاف لجهد القدامى العظيم مع دعوة الى تجرّد العوامل من التكلف والفلسفة، قال - مبينا أسباب الأخذ بالعامل - على الرغم من المشكلات التي يسببها: - «وإنما هو الأخذ بالأيسر عملا وتطبيقا وافادة على الرغم من أنه ليس هو الحق في الواقع المقطوع به، ذلك أنّ الواقع اليقين يقطع بأن الذي يجلب الحركات ويغيرها ويدار بينها انما هو المتكلم ما في ذلك شك، لكن لا بأس أن ننسى أو نتناسى هذا الواقع مادامت الفائدة محققّه في النسيان او التناسي والضرر لا اثر له» (١).

إننا لا ندعو الى الأخذ بكل ما جاء عن القدامى بشأن العامل ولا نرفضه رفضا مطلقا، ونرى ضرورة الأخذ به بعد تجرده من التكلف والفلسفة والمنطق. إنّ العامل الذي نقبله هو الذي يفسر واقعاً لغويا، وذلك يربط الاشياء بأسبابها لا الذي يحاول أن يخلق واقعا لغويا فيفسره.

ولقد تنبه بعض القدامى الى هدف التيسير من نظرية العامل ودورها في تسهيل تعلّم النحو وكان عبد القاهر الجرجاني خيرمن مثّل هذا الاتجاه، فقد درس العامل دراسة مفصّلة على وفق مراحل آخرها تؤدي الى النظم، وقد تابعه في ذلك بعض المعاصرين (٢). فثمة نحاة رفضوا المغالاة في التعليل والعامل دون أن يرفضوا نظرية العامل مثل ابن مضاء الذي قال بثلاث علل ولم ينكر أولاها وهي التعليمية، وهو ما أدعو اليه أيضا. وأخيرا أقول: لقد أثبتت أحدث نظرية لغوية هي: التوليدية صحة ما ذهب إليه النحاة المتقدمون بشأن أهمية العامل ودوره في الوقوف على الحقائق اللغوية التي ينتظمها التركيب وتحددها القواعد(٣).

---

(١) اللغة والنحو بين القديم والحديث ١٨٦، ١٩١، والنحو الوافي ١/٧٣، ٤٤١. وينظر: العلامة الاعرابية ١٩٠، وظاهرة الاعراب ١٨٥.

(٢) ينظر: مقدمة تحقيق كتابه (العوامل المائة) ٣ - ٣٥، د. البدراوي زهران.

(٣) ينظر: تفصيل ذلك في (نظرية النحو العربي)، د. نهاد الموسى ٣٦، ٤١، و(النحو العربي =

الاعراب:

الاعراب كما يرى أغلب النحاة، أثر يجلبه العامل، ولهذا ارتبطت نظرية العامل ارتباطا مباشرا بظاهرة الاعراب، ومثلما قام خلاف في (العامل) كان هناك خلاف في هذه الظاهرة قديما وحديثا.

ولست بصدد الحديث في الاعراب بوصفه ظاهرة لغوية في كلام العرب، فقد سبقني الى ذلك كثير من الباحثين (١)، غير أن الذي يعنيني هو أوجه الخلاف الحاصل في هذه الظاهرة بين القدماء من جهة وموقف أصحاب التيسير ونتائجه من جهة اخرى، ومما لا شكّ فيه أن الاعراب قد دخل الكلام ليفرّق بين المعاني من الفاعلية والمفعولية والاضافة وغير ذلك من المعاني الوظيفية في حين نفي قطرب (٢٠٦ هـ) أنْ يكون للاعراب معنى، وإنما جيء به للتخلص من التقاء الساكنين عند اتصال الكلام (٢). ويرى بعضهم (٣) أن هذا الرأي للخليل مستندا الى قول سيبويه الآتي: «وزعم الخليل أنّ الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوُصَل الى التكلم به، والبناءُ هو الساكن الذي لا زيادة فيه، فالفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو فكل واحدة شيءٌ مما ذكرت لك» (٤).

=

والدرس الحديث)، عبده الراجحي ١٤، ١٤١.

(١) ينظر: على سبيل المثال: ظاهرة الإعراب في النحو العربي، والعلامة الاعرابية ١٥٩ وما بعدها، ودراسات في فقة اللغة ١١٧ - ١٤٠، وفصول في فقة اللغة ٣٦٩ - ٣٩٥، وفقة اللغة العربية، د. اميل بديع يعقوب ١٢٧ - ١٤٣، وقضية الاعراب في النحو العربي، د. عبد الحسين المبارك، مجلة الضاد ج٣ تموز ١٩٨٩ ص١١١، والدراسات النحوية عند الزمخشري ٣٣٣، وعلل الاعراب والحركات د. قيس الأوسي، المورد مج٢١، ع١، ١٩٩٣ ص٥٧. والاتجاهات النحوية الحديثة ١٣٥ - ١٧٨.

(٢) الايضاح في علل النحو ٧٠، والخصائص ٣٥/١، وثمار الصناعة ٥٦، ومسائل خلافية للعكبري، مسألة ١٢ ص ٩٥ - ١١٤. وابن يعيش ٧٣/١. وشرح الرضي ١٧/١ - ٢٠، والاشباه والنظائر ٧٢/١، ٧٨.

(٣) ينظر: مدرسة البصرة ١٠٦، والفعل زمانه وأبنيته ٢٣٣، والوجيز في فقه اللغة ٢٩٦ ومحاولات حديثة في تيسير النحو العربي ٤٣، وتيسير العربية ٤٠.

(٤) الكتاب ٢٤١/٤ - ٢٤٢.

إن عبارة سيبويه لا تدل على أنّ الخليل كان لا ينفي معاني الاعراب ولبعض المحدثين أكثر من دليل [١]على ذلك من كتاب سيبويه نفسه.

إذن ثمة خلاف في دلالة الاعراب على المعاني فالجمهور يقرها وقطرب ينفيها، وقد تابع أصحاب التيسير كلا المذهبين، وحاولوا الافادة منهما في محاولاتهم، وقد اختلفوا في ذلك، بل نشب صراع بينهم بشأن أهمية الاعراب ودلالته، فمنهم من تابع قطربا وحاول إحياء مذهبه [٢]، وأهم هؤلاء الدكتور إبراهيم انيس[٣] والأستاذ الكفوري[٤]، وأمين الخولي[٥]، وفؤاد طرزي[٦]، وجبر ضومط[٧]، ومحمد كمال الدين[٨]، وعبد القادر المغربي[٩] وغيرهم.

أما المستعربون فلهم موقفان أيضا الأول يؤكد أصالة الأعراب في اللغة العربية، ومن هؤلاء نولدكة وبرجشتراسر [١٠]، ومنهم مَن يشكك في كون العربية الفصحى كانت معربة ومن هؤلاء كارل فوللرز، وباول كالة[١١]. وقد حاول بعض المحدثين إنكار الاعراب أصلا، فالعربية على رأيه ليست لغة معربة، والاعراب ليس

(١) لقد ناقش د. محمد حماسة عبد اللطيف عبارة سيبويه وأقواله الأخرى في الحركات فوجد أنه كان يقر بدلالة الحركات على المعاني، ينظر: الكتاب ١/١٨٧، ٢١٣، ٣٠٣، وينظر: العلامة الاعرابية ٢١٥.

(٢) جعلهم الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف أربع طوائف، ينظر: العلامة الاعرابية ٢٧٢ - ٣٠٩.

(٣) ينظر: من أسرار اللغة ١٨٣ - ٢٣٩. ورأي في الاعراب، مجلة المجمع، القاهرة ج٣، ١٩٥٨ ص٥٥. وقد ردّ عليه غير واحد، ينظر: النحو بين التجديد والتقليد ٥٩، ٦٩، ونحو وعي لغوي ٧٨.

(٤) ينظر: اللغة العربية في ماضيها ٨٤ - ٨٦.

(٥) اقترح توحيد اعراب المثنى وجمع المؤنث السالم والممنوع من الصرف، ينظر: مناهج تجديد ٤٧.

(٦) ينظر: تيسير العربية وتطورها ١٥٣.

(٧) ينظر: فلسفة اللغة العربية وتطورها ١٥٣.

(٨) ينظر: تيسير العربية ٥٢.

(٩) ينظر: مجلة المجمع - دمشق مج ٣ ص ٢٣٧.

(١٠) ينظر: التطور النحوي ٣٣٦.

(١١) ينظر: فصول في فقه اللغة العربية ٣٣٣ وما بعدها.

صفة من صفاتها وخصيصة من خصائصها، وقد صدر رأي هؤلاء عن تأثّر ببعض دعوات المستعربين المشبوهة كدعوة باول كالة.

إنّ هذا وغيره إنّما يسيء إلى العربية إساءة بالغة ويعمل على تهشيمها وترويج الادعاءات الباطلة بشأنها، للقضاء على الهوية العربية الأصيلة، وأعني اللغة بعد أن يمنح فرصة سانحة لأعداء العربية في استخدام الرطانات والعاميات وما إليهما. وازاء هذه الجماعات المتحاملة نجد فريقا من المعاصرين ممن عدوا من أصحاب التيسير قد أكدّ دلالة العلامات الاعرابية على المعاني وهم في ذلك مختلفون أيضا. ففي حين يرى بعضهم أنّ للرفع معنى الفاعلية وللنصب معنى المفعولية وللجر معنى الاضافة وهو رأي القدماء (١)، ويرى فريق آخر أن الضمة علم الاسناد والكسرة علم الاضافة والفتحة ليست بعلامة، بل حركة خفيفة مستحبة لا تدل على معنى (٢)، وهو رأي اعتمد أصحابه على القدماء فيه أيضا. في حين رأى آخرون أنّ تفسير الفتحة غريب فردوه وفسروها تفسيرا تاريخيا (٣) إذ وجدوها قديمة في الفصحى لها جذور عميقة موغلة في تاريخ اللغة السامية الأم: وهو تفسير أقرب الى البحث العلمي الدقيق لأنه يتتبع الظاهرة في التاريخ، وقد سبق اليه المستشرقون مثل يوهان فك وباول كاله وغيرهما (٤).

لقد تعددت المحاولات لتفسير دلالة الحركات. فذهب بعضهم إلى أنّ الاعراب يخضع لقانون (الفاعلية) على ثلاث درجات بين القوة والتوسط والركود. وحاول تفسير حركات الفعل المضارع (٥). ومنهم ذهب إلى مبدأ قوة الحركات:

---

(١) ينظر: النحو والنحاة بين الازهر والجامعة ١٣٥ - ١٥٠، ونحو وعي لغوي ٧٣، واللغة الشاعرة ٢١، واتجاهات البحث اللغوي ٤٥٩/٢، في فقه اللغة ٧٧.

(٢) ينظر: إحياء النحو ٥٣، ٧٢، ٧٨، وراي في الاعراب ٤٨ وفي النحو العربي نقد وتوجيه ٧٦، ونحو التيسير ٦٦، والنحو المعقول ٩٦ - ١١٥.

(٣) ينظر: التطور اللغوي التاريخي ٥. ومدرسة البصرة ٣١٨، وفصول في فقه اللغة.

(٤) ينظر: في تاريخ العربية، نهاد الموسى ١٠٧، ١٥٤، وظاهرة الاعراب ٩، والفعل زمانه وابنيته ٢٢٥ والتطور اللغوي التاريخي ٤٦ - ٥٠.

(٥) ينظر: المفتاح ١٧٣، وباب التنازع ٤٣، ١٨٤، ورأي في الاعراب ٢٨.

الضمة أقواها ثم الفتحة فالكسرة، أما السكون فانعدام الحركة [١] وبعضهم ذهب إلى أنّ الضمة تدل على القوة والقرب وأن الفتحة علامة الضعف والبعد والكسرة تدل على علامة ارتباط بين كلمتين، والسكون يعني العدم الزمني والقطع والجزم [٢].

وثمة آراء متعددة ومختلفة [٣]. لكن الذي أراه هو ما ذهب اليه أحد الباحثين الذي قرر أنّ الاعراب في العربية استجابة لأحد مؤثرين: الأول: مؤثر معنوي تجد فيه الاعراب خاضعا للمعنى خضوعا مطلقا فيكشف عن الفاعلية والمفعولية والهيئة والزمان والمكان... الخ. والثاني: مؤثر لفظي نجد فيه الاعراب يجاري المعنى ولا يعبر عنه بل يخضع للعلاقات اللفظية في التركيب خضوع الاعراب للألفاظ [٤].

أقسام الكلام:

يكاد النحاة يجمعون على أن تقسيم الكلام على ثلاثة أقسام: - اسم وفعل وحرف. الا أنّ بعضهم زاد قسما رابعا هو اسم الفعل وسماه: (الخالفة) [٥]، لكنهم اختلفوا اختلافا كبيرا في حدّ كل قسم [٦] وفي الألفاظ التي تندرج تحته، كاختلافتهم في اسم الفعل بين الاسمية والفعلية، وفي (عسى) بين الحرفية والفعلية، واختلافهم في اسم الفاعل بين الفعلية والاسمية وغير ذلك [٧].

وقبل الخوض في هذا الموضوع يجب أن نضع حقيقة مهمة نصب أعيننا

---

(١) ينظر: النحو المنطقي، د. صفاء خلوصي، مجلة الأستاذ مج ١٣ ١و٢، ١٩٦٥.

(٢) ينظر: راي في تسمية الحركة الاعرابية وأسباب هذه الحركة، د. محمد محمود محمدين، اللسان العربي مج ١٨، ج١، ١٩٨٠ ص ١٦١.

(٣) مثل رأي الارسوزي. ينظر: المؤلفات الكاملة (١) العبقرية العربية في لسانها، ٨٥ ومحمد علي كمال الدين: (تيسير العربية) ٢٧ - ٣٨، ٥٢. ود. محمد حماسة (العلامة الإعرابية) ٢٩٩ - ٢٤٥.

(٤) ينظر: (أصول النحو العربي). د. محمد خير الحلواني ١٣٩.

(٥) ينظر: همع الهوامع ١٥/٢ وحاشية السجاعي ٩.

(٦) ينظر: أمثلة من التعاريف المختلفة في أصول اللغة والنحو. د. فؤاد حنّا ترزي ١٣٩ - ١٤٦.

(٧) ينظر: التصريح على التوضيح ١٩٦/٢، وهمع الهوامع ١٥/٢، والاشباه والنظائر ٢/٣. وقد تتبع د. فاضل الساقي اختلاف النحاة في هذا الباب مع دراسة وافية ينظر: أقسام الكلام العربي ٦٥ وما بعدها.

هي [١]: إن أيّ تقسيم لغوي ليس نهائيا، ولا بد أن تشذّ عنه بعض الألفاظ لطبيعة اللغة وسعتها وتعدد المعنى الواحد ودلالة المفردة على الزمن وتضمنها معنى الحدث او فقدانه.

ولهذا الباب صلة وثقى بالخلاف النحوي، فقد اختلف النحاة في مسائل كثيرة منه كما سنرى، وله صلة وثقى اخرى بالتيسير النحوي، فقد يؤدي أهماله الى وقوع التلاميذ في حيرة لوجود ألفاظ كثيرة يضيق بها التقسيم الثلاثي الموروث نحو اسماء الشرط واسماء الاستفهام.

لقد أخذ المعاصرون على القدامى تقسيمهم الثلاثي الضيّق، لذلك قدّموا تقسيما جديدا لكنهم اختلفوا في عدده فمنهم من جعله رباعيا ومنهم من جعله سداسيا ومنهم من جعله سباعيا او ثمانيا. لاختلافهم في الأسس التي أخذوا بها نحو: المعنى، والصيغة الصرفية، ووظيفة اللفظ في الكلام، والشكل الاملائي، والسياق، والصورة الاعرابية [٢] فهو عند الدكتور إبراهيم انيس [٣]، (الاسم) ويشمل: الاسم العام نحو شجرة وانسان والعلم. و(الصفة) نحو كبير وأحمر. و(الضمير) ويشمل: الضمائر والاشارات والموصولات، وألفاظ العدد وكل ما يستعاض به عن تكرار الاسم. (والمصدر) (والأداة).

وهوعند الدكتور المخزومي [٤]: فعل واسم وأداة وكناية، وقدم الدكتور فؤاد حنا ترزي [٥] تقسيماً خماسيا يشمل: الاسم والضمير، والفعل والظرف والأداة. أمّا تقسيم الدكتور تمام حسان [٦] فسباعي وهو الأسم، والصفة، والفعل، والضمير، والخالفة، والظرف، والأداة. وقد تابعه الدكتور فاضل الساقي [٧]، لكنه توسّع بالموضوع كثيرا واعتمد على آراء النحاة القدامى اعتمادا كبيرا. ودعا الدكتور حسن

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٦٣، وأقسام الكلام العربي ٢٦٩.

(٢) ينظر تفصيل ذلك في: أقسام الكلام العربي ١٠٩.

(٣) ينظر: من أسرار اللغة ١١٠ وما بعدها.

(٤) ينظر: في النحو العربي نقد وتطبيق ٣١.

(٥) ينظر: في أصول اللغة والنحو ١٤٨.

(٦) ينظر: اللغة العربية مبناها ومعناها ٨٧، ومناهج البحث في اللغة ١٩٦.

(٧) ينظر: أقسام الكلام العربي ٢٦، ٩٢ - ٩٤.

عون[١] إلى الأخذ بالتقسيم الروماني وهو تقسيم ثماني قوامه: الاسم، والفعل، والحرف، والصفة، والظرف، والضمير والاشارة والموصول، ولنا أنْ نناقش هذه الأقسام التي ذكرها المعاصرون، معتمدين على القدامى أيضا، ثم نحاول أن نتوجه بالرأي الذي نرى فيه خدمة للتيسير.

الاسم:

اختلف النحاة في حدّ الاسم وفي علاماته اختلافاً كبيرا. فقالوا: انه ما جاز أنْ يكون فاعلا أو مفعولا أو دخل عليه حرف خفض، أو الالف واللام وانفراده بقبول الجر والتنوين، ويصلح أنْ يكون موصوفا أو مصغرا ومنادىً، ومتحدثاً عنه، وأنْ يضاف ويثني ويجمع... الى غير ذلك مما يعكس الاضطراب والحيرة في حدّ الاسم [٢]. ولقد نبّه الى هذا الاضطراب قديما ابن فارس والبطليوسي، وحديثا بعض المحدثين [٣]، فقد اعترضوا بأن من الاسماء ما لا يكون فاعلاً ولا مفعولا ولا يدخله حرف الجر كاسماء الشرط والاستفهام، ولعمري، ولا يكون. ومن الاسماء ما لا يدخلها الالف واللام، كاسماء الاشارة والمضمرات، ومنها ما لايصلح للتصغير ولا ينوّن نحو: منْ، وما، وجَيْر، وأيمن الله. ومنها ما لا يقع الا في النداء مثل ياهناء أقبل. ومنها ما لايوصف مثل: كيف وأين.

قال البطليوسي: جميع ما ذكروه من هذه الأقوال لا يصحّ أنْ يكون حدّ الاسم، وانما هو رسم وتقريب لأن شرط الحدّ ان يستغرق المحدود كما ذكرناه، وهذه الأقوال كلها لا تستغرقه إلا ان بعضها أقرب للتحديد من بعض»[٤].

اذن ثمّة ألفاظ لا بدّ أنْ تخرج من الاسماء لأنها خارجة عن حدّ الاسم، أو ينبغي وضع حدّ جديد يدرج تحته كل أنواع الاسم التي ذكرها النحاة القدامى:

(١) ينظر: قضية النحو والنحاة جهل ام حذلقة ام عقوق، المجلة ع ١٥٨ شباط ١٩٧٠ س ١٤ ص ٤.

(٢) هذا خلاصة ما ذكر النحاة القدامى والمتأخرون ينظر: الصاحبي في فقه اللغة ٤٩ - ٥١. والحلل في اصلاح الخلل ٥٦ - ٦٥، والجمل ١٧ - ١٨، والاشباه والنظائر ٤/٢ والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ١٤ - ١٨. وأقسام الكلام العربي ٤٤ - ٥٩.

(٣) تنظر: المصادر انفسها.

(٤) الحلل في اصلاح الخلل ٦٢ واصلاح الخلل الواقع في الجمل ١١.

العلم والضمير والاشارة والموصول، وألفاظ العدد والظروف وأسماء الاستفهام والشرط وغير ذلك. والحدّ الأمثل للاسم الذي يحفظنا من الوقوع بمثل ذلك الاضطراب هو: ان الاسم كلمة تدلّ بذاتها على شيء محسوس أو غير محسوس يعرف بالعقل نحو: بيت، شجاعة، أو إنه كلمة تدلّ على مسمىً سواء كان هذا المسمى حسّياً أو معنوياً، ليس الزمن جزءاً منه (١).

لقد نادى بعض المعاصرين باخراج الضمير واسميّ الاشارة والموصول وغيرها من الاسماء، ودعوا الى افرادها في قسم قائم بذاته لاتفاقها في الشكل والوظيفة، وتعبيرها عن وظيفة الاستعاضة عن تكرار الاسم الظاهر (٢). والذي أراه (متابعة للقدامى) أنّ أكثر هذه الألفاظ أقسام تندرج تحت الاسم وهي فروع منه لأنها تعوّض عنه أو ترمز له ولا تقابله كما تقابل الفعل والحرف ولا تشاركها في المعنى، لذا لم يفرد النحاة القدامى لها قسماً آخر انما أدرجوها تحت قسم الاسماء، على الرغم من أنّهم لمحوا في المضمرات التي اختصّت بالاسماء دون الأفعال عدم انطباق علامات الاسم عليها لأنها لا تضمر ولا تكنّى ولا توصف. وهذا ما ذهب اليه ابن السراج (٣)، لكنه لم يفردها في قسم قائم بذاته، كما ذهب اليه بعض المعاصرين في تفسير قول ابن السراج (٤).

وأرى أنّ القدماء أقرب الى الحقيقة في تقسيمهم الثلاثي للاسم: ظاهر (٥) نحو محمد وفرس وكتاب، ومضمر نحو انت، ومبهم لا يتّضح معناه الا بشيء آخر هو اسم الاشارة واسم الموصول. وقد أحسّ الفراء - ووافقه الزجاج - بوجه الشبه بين أسماء الاشارة والموصولات فأجاز أنْ يكون اسم الاشارة موصولا: قال الفراء:

---

(١) النحو الوافي ١/٢٩.

(٢) ينظر: من أسرار اللغة ١١٠، ١٩٢. والأحرفية ٤٤، ٧٠ واللغة العربية معناها ٨٦ وما بعدها، ومناهج البحث في اللغة ١٩٦. وأقسام الكلام العربي ٩٢، ١٢٢، واتجاهات البحث اللغوي ٢/١٨٠ وفي النحو العربي قواعد وتطبيق ٤٦ - ٦٠، والتطور النحوي ٢٥، واتجاهات البحث اللغوي - لبنان ٢/ ١٨٠.

(٣) الاصول ١/٢٢١.

(٤) ينظر: أقسام الكلام العربي ١/٢٢١.

(٥) ومنه المستتر أيضا.

«العرب قد تذهب ب(هذا) (وذا) الى معنى الذي» (١) ولحظ أيضا وجه الشبه بين الضمير واسم الاشارة (٢). لذلك اقترح مصطفى جواد ادماج الاسماء الموصولة باسماء الاشارة (٣). وتابعه الدكتور محمد غناوي الزهيري الذي رأى «أنّ الموصولات ما هي إلّا اسماء اشارة تطورت تطورا بسيطا بتأثير عامل الحاجة الى ألفاظ جديدة أو مشتقة لاداء المعاني التي يبتدعها الأنسان كلما ارتقى وتقدم في حياته العقلية واللغوية» (٤). أمّا المخزومي فقد أفردها أيضا في قسم سماه (الكنايات والاشارات) وزاد عليها (المستفهم به) وهي كنايات تضمنت معنى همزة الاستفهام، (وكلمات الشرط) وهي كنايات تضمنت معنى (إنْ) الشرطية نحو: ما ومهما (٥).

ولا اتفق مع الدكتور المخزومي - رحمه الله - في ذلك: لأن الاشارات والمضمرات والموصولات فرع من الاسماء ولا تقابلها كما تقابل الأفعال والحروف وقد لمح القدامى ذلك فلم يفردوا لها قسما خاصا بها. أمّا اسماء الشرط والاستفهام، فأنا لا أجد شبهاً بينها وبين الاسماء الحقيقية، وأدعو الى عدها جميعا حروفا أو أدوات وهو رأي يدعمه الخلاف النحوي القديم، فقد كان بعض النحاة (٦) لا يفرّقون بين الاسماء والحروف منها(٧). وهو قول فيه تيسير لذلك دعا اليه بعض المعاصرين (٨).

أمّا الفرق بين النوعين فقد حدّدها النحاة بالآتي (٩): إن معنى الشرط هو ربط

(١) معاني القرآن ٣٨/١، ١٧٧، وأمالي ابن الشجري ١٧٠/٢ والإنصاف م ١٠٣ ص ١١٧، وائتلاف النصرة ٦٧ م ٥٩ وابن الأنباري في كتاب الإنصاف ٢٣٠. وأقسام الكلام العربي ٣٦.

(٢) ينظر: البسيط في شرح الجمل الزجاجي ٥٦١/١ وقد نسب صاحب الإنصاف ذلك الى الكوفيين م ١٠٣ ص ٧١٧.

(٣) ينظر: المباحث اللغوية في العراق ٣٧.

(٤) مجلة الأستاذ مج ٩ و١٩٦١/٣ و١٦٢ ص ١١٧ - ١٢٨، ١٧٣.

(٥) ينظر: في النحو العربي قواعد وتطبيق ٤٦ - ٦٠.

(٦) مثل الزجاجي وتابعه السهيلي وابن يسعون.

(٧) ينظر: الجمل ٤٠، ٤٥ وشرح التصريح ٢٤٨/٢.

(٨) ينظر: من أسرار اللغة ٦٥.

(٩) ينظر: شرح التصريح ٢٤٨/٢. وحاشية الصبان ٩/٤ - ١٣.

حدثين يتوقف ثانيهما على أولهما نحو: (إنْ تجتهدْ تنجحْ) والنجاح مرتبط بالاجتهاد ومتوقف عليه. «فإنْ اريد الربط بين الحدثين فقط، استعملت أحدى الأداتين (إنْ، اذما) ولذا كانتا حرفين لأنهما لا تؤديان إلّا معنى الربط وحده» [1] فإنْ يحدث أنْ يشترط مع الحدث زمن معين، وذلك حين نقول: (متى تجتهدْ تنجحْ) فالنجاح هنا ليس هو وحده المشروط (بالاجتهاد) وحده، بل إنْ زمن النجاح أيضا مشروط بزمن الاجتهاد، أي إن الاجتهاد والنجاح يتمّان في زمن واحد، ولهذا عدّت (متى) اسما للشرط لا حرفا له، لأنها فوق دلالتها على الشرط، تدل على الزمان أيضا، وما يقال عن أدوات الزمان الشرطية يقال عن أدوات: المكان: الشرطية (أين - انى - حيثما) (٣).

ان هذا الفرق الذي لمحه النحاة بين حروف ألفاظ الشرط واسمائه ليس كافيا لجعل متى وغيرها أسماءً للشرط.

الفعل:

خلاصة ما ذكره أكثر النحاة في حدّ الفعل: أنه ما دلّ على زمن وحدث [2] وقد اختلفوا في علاماته[3]، وقد ناقش ابن فارس والبطليوسي أقوال النحاة في حدّه وعلاماته وردّوا بعضها مثل اختلافهم في ليس وعسى ونعم وبئس بين الحرفية والفعلية، وفي كان وأخواتها وغير ذلك [4].

وثمة خلاف آخر في الفعل من حيث زمنه، فقد قسّموه الى: ماض وحاضر ومستقبل عند بعضهم. أمّا الفراء[5] فقد عدّ الأمر مقتطعا من الفعل المضارع لكنه زاد فعلا آخر سماه (الفعل الدائم) غالبا يدلّ على استمرار ووقوع الحدث

---

(١) المنهاج، الأنطاكي ٩٢ - ٩٥.

(٢) ينظر: الاصول ٣/١، المعرب ٤٥/١، الصاحبي ٥٢، وشرح المفصل ٢٤٣، وشرح شذور الذهب ٨.

(٣) ذكر السيوطي اختلاف النحاة بالتفصيل في ذلك، ينظر الهمع ٧/١. وقد تتبع ذلك أيضا، د. فاضل الساقي ينظر: اقسام الكلام العربي ٧٠.

(٤) ينظر: الصاحبي ٥٢، والحلل ٦٧ - ٧٧.

(٥) ينظر: معاني القرآن ١٦٥/١. ١٣٨، ٢٠٢/٢.

ودوامه [١]. وقد أخذ المخزومي بهذا الرأي الذي نُسِب الى الكوفيين عامة وقد زاد نوعا آخر سماه: «أبنية اخرى» تدل على طلب احداث الفعل وهو الأمر وله بناءان:
- أفعل وفعالِ [٢].

وقد نظر أحد المعاصرين في هذا الأمر نظرة متأملة، ناقدا تقسيم القدامى له، وقد اقترح تقسيما آخر، دعا فيه الى الحاق: (المصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل) بالمادة الفعلية من حيث افصاحها عن الزمان [٣] لكنه لم يدع الى افرادها في قسم خاص بها كما فعل غيره، [٤] وانما ألحقها بالمادة الفعلية، وهو رأي اؤيده لأن التحليل الدقيق يدعمه إذْ لم تعمل هذه الألفاظ في كل احوالها انما السياق هو الذي يحدّد معنى الكلمة أولا وهو الذي يحدد في الوقت نفسه ما هيتها من حيث الاسمية أو الفعلية أو الحرفية. فهناك كلمات كثيرة تأتي أفعالا حينا وحيناً تأتي حروفاً بحسب السياق مثل: (حاشا وعسى وخْلا)، وتأتي تامّة حينا وناقصة أحيانا مثل (كان وأحذ وخلولق وأصبح وأضحى وأبدى وراح وآض) وغير ذلك [٥].

ولتوضيح ما يدعو اليه أصحاب الرأي القائل بافراد اسم الفعل وغيره في قسم خاص نورد قول أحد الدارسين المعاصرين حيث قال [٦]: «وَرَد في كتب الصرف ان الصفات غير الاسماء وذلك حين تحدثت عن أبنية الاسماء فذكرت أنّ بعضها يكون للاسم وبعضها الآخر يكون للصفة وقد يشترك الاثنان في صيغة واحدة وبناء واحد، وذكرت كتب النحو أنّ الاسم ما دلّ على مسمى ليس الزمن جزءاً منه وأنّ الصفة ما دلّ على موصوف بالحدث لا يخلو من الدلالة الزمنية عند استعماله في الكلام، ففرقت من

(١) ينظر: الجمل ٢١، والحلل في اصلاح الخلل ٦٧، وأقسام الكلام العربي ٧٣.
(٢) في النحو العربي قواعد وتطبيق ٣١.
(٣) في النحو العربي نقد وبناء ١٠، ١٤٢.
(٤) مثل د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها ٩٨ - ١٠٣ ود. فاضل الساقي، (أقسام الكلام العربي) ١٣٦.
(٥) ينظر: معجم الاعراب والاملاء ٣١، ٤٢، ٧٠، ٧٢، ٢٣٥، ٢٦٣، ٣٥١، ٣٥٣.
(٦) أقسام الكلام العربي ٩٣.

حيث المعنى بين الاسماء والصفات لذلك نميل الى الأخذ بهذا، جاعلين الصفات قسما قائما بذاته لها سماتها الشكلية ومعانيها الوظيفية التي تنفرد بها عن الاسماء وبقية أقسام الكَلِم، ويمكن أن نعدّ (الصفة) عنوانا عاما يشمل ما يسمّى عند النحاة: (اسم الفاعل، واسم المفعول، وصيغ المبالغة، والصفة المشّبه، وأفعل التفضيل) لأن كلًّا منها يدل على موصوف بالحدث ويخضع لظروف قولية وسياقية تختلف عن الاسماء وبقية أقسام الكلام.

الأداة:

خلاصة أقوال القدامى والمعاصرين إنّ الحرف: كلمة تدل على معنى في غيرها [١]، لكنهم اختلفوا في كثير من الألفاظ بين الحرفية والاسمية والفعلية. وهذا يدل على حقيقة مهمة هي: عدم وجود تقسيم نهائي لاجزاء الكلام أو الكلمة بسبب طبيعة اللغة العربية وسعتها وكثرة المجاز فيها وتعدد المعاني حسب السياق. فقد عدّوا ألفاظا حروفا وهي اسماء مثل: (فوق، وتحت، وقبل، وبعد) واختلفوا في (عسى، وليس، ونِعْمَ، وبِئْسَ) بين الحرفية والفعلية [٢]، وكذلك في كان وأخواتها وهو رأي الزجاج، وتابعه ابن الضائع [٣].

لقد تابع هذا الرأي من أصحاب التسير الدكتور عبد الكريم حليفة فقال: «لأنّها تدلّ على حدث لا تضارع الفعل المتعدّي، ولذا أثبت الحروف» [٤] والدكتور تمام حسّان وزاد عليها: كان وأخواتها معتمدا على اقوال القدامى [٥].

و الذي نراه أن (كان وأخواتها) قسم من أقسام الفعل بنوعيها التامة والناقصة، لها مميزات تختصُّ بها عن الأفعال الأخرى وهذا غير كاف لأن نفردها في قسم خاص بها لأنها أكثر اتفاقا مع الأفعال منها الى الاسماء في الشكل والدلالة

(١) ينظر: شرح المفصل ١٩١/١، ونتائج التحصيل ١/١/ ١٥٨، وحاشية الصبّان ١٣/١ ومن أسرار اللغة ٤٠٧، وفي النحو العربي قواعد وتطبيق ٣٧، وأقسام الكلام العربي ٩٢.

(٢) ينظر: التفاهة في النحو للنحاس ٥١١. وهمع الهوامع ١/ ١٠، ومن أسرار اللغة ٢٠٧.

(٣) الجمل ٨، ٧٢. وهمع الهوامع ١٠/١، وحاشية النجائي ٨١.

(٤) تيسير العربية بين القديم والحديث ٥٨.

(٥) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ١٢٣ وهمع الهوامع ١١/١.

الزمنية والعمل.

اسم الفعل:

هو «اسم يدلّ على فعل معيّن، ويتضمّن معناه وزمنه وعمله من غير أنْ يقبل علامته، أو يتأثّر بالعوامل»[١] ان اسماء الأفعال تتميز من الاسماء والأفعال بصفات من جانب، وتتشابه معها بصفات أخرى، لذلك أطلق النحاة عليها تسمية تميزها من الأفعال والأسماء، لكنّ بعضهم اختلف فيها بين الاسمية والفعلية. وقد صرّح بعضهم أنْ اسماء الأفعال تمثّل قسما رابعا من أقسام الكلام العربي وسمّاها الخالفة [٢]. ويعني بذلك: خليفة الفعل ونائبه [٣].

وأرى أنه في الأخذ بهذا الرأي سعة وتيسيرا ومعالجة لكثير من الاضطراب والخلاف بين النحاة في ذلك [٤]، وهو خلاف كبير [٥]. ويؤيد المذهب القائل بالتقسيم الرابع ان حدّ النحاة للفعل وللاسم وعلاماتهما لاتنطبق عليه [٦]، لذلك ذهب بعض المعاصرين هذا المذهب [٧]، وعرّفها بعضهم بأنّها «كلمات تستعمل في أساليب افصاحية في أي من الأساليب التي تستعمل في الكشف عن موقف انفعالي [٨]. لكنه توسع فيها فجعلها تشمل اسم الفعل بأنواعه الثلاثة واسم الصوت وفعل التعجب وصيغة المدح والذم .

ودعا آخر الى إلغاء هذا الباب وتذويبه في أبواب ستة أُخر هي: الظرف والمصدر والتعجب واسماء الأصوات وصيغة المبالغة وفعل الأمر، فقد رد (أمامك ووراءك وغيرهما) الى باب الظرف، وردّ (رويد) الى المصدر، و(سرعان) و(شتان)

(١) ينظر: حاشية التجائي ١٣، والتوضيح والتكميل لشرح ابن عقيل ١/٢٣.
(٢) همع الهوامع ٢/١٠٥ وهو ابن صابر النحوي.
(٣) النحو الوافي ١/١٤٢.
(٤) المصدر نفسه ١/ ١٤٢.
(٥) ينظر تفصيل ذلك الخلاف في: شرح الأبيات لمشكلة الاعراب، أبو علي الفارسي، المورد، مج ٩، ١٤، ١٩٨٠، ص ٣١٧.
(٦) ينظر تفصيل ذلك في: شرح الاشموني ٢٧، والنحو الوافي ١/١٤٢.
(٧) ينظر: أقسام الكلام العربي ١٥٠.
(٨) اللغة العربية معناها ومبناها ١١٣.

الى التعجب، (صه ومه) الى الأصوات، و(وزن فَعَال) الى صيغ المبالغة [١]، وردّ باحث آخر اسماء الأفعال الى مراحل تاريخية قديمة لأسباب تخلّفت تختلف عن تطور اللغة وأساليبها وتنوعها بتطور اللغة، فبقيت هكذا فيها تخلف وقصور عن الكلمات الأخرى التي شملها التطور: قال هي «ليست سوى بقية من الأفعال على حالها الساذجة الاولى، قُدّر لها البقاء لأسباب تهيأت لها ولم تتهيأ لأخوة لها. فأفلتت هي ناجية من الأحداث ومضت تعبر الينا الأجيال والقرون أمّا أخواتها فقد تقطعت لها الأسباب فتخلفت وأدركها الفناء» [٢].

وهو رأي لا نسلّم به لإفراطه في الاتكاء على التفسير التاريخي وتطوّر اللغة والمجتمع لا سيّما أنّ الأستاذ الباحث لم يقدم لنا دراسة مفصلة في هذا الباب كما فعل غيره. بل لم يستند الى اصول تاريخية مستمدة من النصوص القديمة من الساميات.

وثمة باحث آخر دعا الى الغاء هذا الباب لعدم فائدته كثيراً [٣]، وهو رأي متعجّل لا نسلم به لأنه يبيح التدخل في اللغة لدراستها ووصفها، كما ينبغي لدارس اللغة.

الضمير:

ثمة خلافات بين النحاة في باب الضمير في مسائل رئيسية وفي مسائل فرعية، منها خلافات لا جدوى فيها لا سيما في موضوع تيسير الدرس النحوي مثل خلافهم في: أيأتي ضمير الفصل بعد نكرة ؟! وهل يؤنث ضمير الشان مع المذكر ؟ وهل تنوب الألف واللام عن الضمير، وغير ذلك [٤] مثل ما نجد في جميع الأبواب

---

(١) اسم الفعل دراسة وطريقة تيسير، د. سليم النعيمي، مجلة المجمع العلمي العراقي مج ١٦/ ١٩٨٦ ص٣.

(٢) ينظر: رأي في اسم الفعل: الأستاذ علي النجدي ناصف، مجلة مجمع اللغة العربي، القاهرة ج ٢٣ / ١٩٨٦ ص٣.

(٣) ينظر: الأحرفية، يوسف السودا ٤٠، واتجاهات البحث اللغوي ١٨٧.

(٤) ينظر: اعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٢٤، ٣ / ٢٨٤، ٢ / ٤٠٧. وقد درس الضمائر عبد الحق فاضل دراسة مفصّلة وحديثة تناولت اصول الضمائر ونشأتها وجذورها ينظر: اللسان العربي ع ٥ ص٢٧٣ - ٣٠٥ (أسرار الضمائر).

النحوية الأخرى من خلافات ليست فيها فائدة.

أمّا الخلافات التي تعنينا فهي الآراء الخلافية التي يمكن أنْ نفيد منها في قضية التيسير النحوي مثل رأي المازني في أنّ الألف والواو والنون ليست ضمائر وإنما إشارات وعلامات عن النوع والعدد (١).

ينقسم الضمير أقساما متعددة بحسب اعتبارات مختلفة، فينقسم على ثلاثة أقسام: ضمير متكلم ومخاطب وغائب بحسب مدلوله. والى بارز ومستتر بحسب ظهوره والى ضمير رفع او نصب بحسب موضعه (٢)

ويرى المخزومي أنّ الضمائر كلّها متصلة، أمّا المنفصلة مثل: انا وانت وهو واياي... الخ فهي مركبات ولسن مفردات لأن الضمير فيها على التوالي هو: الالف والتاء والياء(٣).

ولقد اختلفوا اختلافا كبيرا في ضمائر النصب المنفصلة: اياك وأخواتها:

١ - فقد ذهب الفرّاء الى أنّ الكاف والياء والهاء هي الضمائر وأنّ (إيا) عماد لها.

٢ - وذهب البصريون إلى أنّ (إيّا) هي الضمير وهذه اللواحق حروف لا موضع لها من الاعراب، ألحُقت بها كما ألحقت التاء بأن وفروعها، وكما الحقت الكاف باسماء الاشارة.

٣ - وذهب بعضهم الى أنّ الكلمة ليس فيها تركيب وأنّ (إيا) مع ما بعدها اسم واحد. وقد اهمله الأنباري لقلته (٤).

٤ - وذهب الخليل بن أحمد الى أنّ (ايا) ضمير مبهم يحتاج الى ما يخصصه، واللواحق هي الضمائر المتصلة، وقد اضيفت (ايا) اليها، بدليل ما سمعه من قول: (إذا بلغ الرجل الستين فاياه وايّا الشوابّ)(٥) فأضيف (ايا) الى الظاهر كما

---

(١) ينظر: الإنصاف ١ / ٥١٧، وأبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو ١٨٦.

(٢) النحو الوافي ١ / ٢١٩.

(٣) في النحو العربي قواعد وتطبيق ٥٠.

(٤) وهم قلّة من الكوفيين ينظر: شرح الرضي ٢ / ١٣، والإنصاف م ٩٨ ص ٢ / ٦٩٥.

(٥) الكتاب ١ / ٤١١، الإنصاف م ٩٨. املاء ما من به الرحمن ١ / ٤.

أضيف الى المضمر(١).

إنّ رأي الخليل هو أصح الآراء لأن السماع يدعمه. وإنّ رأي الفراء أقرب اليه. لكني أرى أنّ الرأي الأيسر. الذي ينبغي أنْ نأخذ به في مناهجنا الدراسية هو الرأي الثالث. وهو الرأي المهمل عند المتأخرين الذين كانوا ينتصرون للرأي الثاني المنسوب الى البصريين: لأنه في نظرهم قد قام الدليل على كون الكاف حرف خطاب «لامتناع أنْ يكون لها موضع من الاعراب الرفع والنصب والجرّ، فامتناع الرفع لأنها ليست من ضمائره، وامتناع النصب لأنها ليس لها ناصب، وامتناع الجر لأن الضمائر لا تضاف، لأنها معارف لا يفارقها تعريف الاضمار، فلا يجوز اضافتها الى غيرها. والرواية التي ذكرها الخليل لا يلتفت اليها، لقلتها وشذوذها. والله اعلم»(٢). هذا كلام ذكره المتأخرون، وهو بعيد عن الهدف الذي ننشده في التيسير اليوم وهو: اختيار الرأي الأيسر والأنسب. وقد صرّح بذلك أحد أصحاب التيسير فقال: إنْ كان الضمير غير مقتصر على نفسه بل في آخره زيادة مثل (ايا) (والتاء) «فانّ الأنسب اليوم ادماج الضمير والزيادة الحتمية معا عند الاعراب، وما بعدها حرف دال على التثنية أو على جمع المذكر السالم أو المؤنث السالم. فمن المستحسن رفض هذا التجزّئ رفضا قاطعا، وأن نتبع النحاة الداعيين الى اعتبار كلمة (إيا) مع ما يصاحبها لزومهما معا: الضمير، وأنّهما في الاعراب كلمة واحدة وكذلك (انتما) وباقي الفروع. هذا الرأي الحسن الواضح يناسبنا اليوم، لما فيه من تيسير وتخفيف واختصار، وليس فيه ما يسيء الى سلامة اللغة وفصاحتها» (٣).

ومن الآراء التي ذهب اليها النحاة باتفاق إنّ لكل فعل فاعلا، وشرطوا ألّا يتقدم الفاعل على الفعل، وانْ وجد فعلى تقدير فاعل للفعل وارضاءً للقاعدة، التي تقول إنّ الفاعل لا يتقدم على الفعل(٤).

(١) ينظر: الإنصاف م ٩٨ ص ٦٩٥، شرح الرضي ٢ / ١٢ / وهمع الهوامع ١ / ٦١ وائتلاف النصرة م ١٢٣ ص ١٠٤ ومدرسة الكوفة ٩١، والآراء الكوفية التي رجحها الرضي رسالة ماجستير ١٦.

(٢) ائتلاف النصرة م ١٢٣ ص ١٠٤.

(٣) النحو الوافي ٢٣٧/١.

(٤) ينظر: همع الهوامع ١ / ١٥٩، ٢٥٦.

ومن هنا رفض كثير من أصحاب التيسير تقدير الضمير المستتر وعدوه تعسيرا على التلاميذ ففي مثل: محمد قرأ او يقرأ وزينب قرأت أو تقرأ والتلميذان قرآ أو يقرآن والتلاميذ قرأوا ويقرؤون... وهكذا.

يرى أصحاب التيسير أنْ يكون اعراب ذلك: مسندا اليه ومسندا في حين ان الاعراب السائد هو: محمد: مبتدأ، وقرأ فعل وفاعل مستتر، والجملة في محل رفع خبر للمبتدأ (محمد).

والفرق بين الاتجاهين إنّ الاتجاه القديم يقرّ بوجود ضمير مستتر مقدّر، ولا يقرّ به هؤلاء، فقد قالوا: (إنّنا لا نرى داعيا الى تقدير الضمير واعرابه، وهذا الرأي لا يعوق فهم الجملة ولا ينتقص شيئا من أركانها، فالمعنى والاسناد مستوفٍ مستقيم»[١]. وانّ الاسلوب العربي واضح ومفهوم تقدم الفاعل فيه أو تأخر فالمعنى الذي نفهمه من (محمد قرأ) هو المعنى نفسه الذي نفهمه من (قرأ محمد) [٢] وقالوا أيضا: إننا ينبغي أنْ نتمسك بما نلفظ ولا نزيد ما يزعم النحاة في تخيّلاتهم من مستتر ومحذوف [٣].

ولأجل نفي الضمير المستتر ذهب أصحاب التيسير الى احياء رأي قديم للمازني يذهب الى أنّ الالف والواو ليست ضمائر لكنها أشارات وعلامات تتصل بالفعل لتدل على حالة الاسم الظاهر أو على عدده من حيث الافراد أو التثنية أو الجمع [٤].

والحق أننا نجد من النحاة القدماء من أخذ بهذا الرأي، فقد فرّق سيبويه بين: - (الزيدان قاما، وقاما الزيدان) ففي الأول عنده الالف اسم وهو ضميرالزيدين وفي الثاني الألف حرف مؤذن بأن الفعل للاثنين [٥]. وقد عرفنا رأي المازني، وكان الأخفش يرى أنّ ياء (تضربين) ليست ضميرا لكنها حرف يدل على مؤنث كما قيل

(١) الضمائر في اللغة العربية، عبد العليم إبراهيم، ضمن كتاب: (الاتجاهات الحديثة في النحو) ٩٣.

(٢) النحو المنهجي ٦٨.

(٣) نحو اللسان ونحو الفكر، د. العزاوي، الجمهورية ١٢ تموز ١٩٨٨.

(٤) الإنصاف ٢ / ٦٩٥ م ٩٨ والنحو المنهجي ٦٨ - ٧٥.

(٥) شرح ابن بعيش ٣ / ٨٧.

في هذين نفسه [١].

وكان ابن مضاء قد اعترض على تقدير الضمائر المستترة وقد تابع المازني في أنّ الالف والواو والنون علامات لاضمائر على التثنية والجمع [٢].

ضمير الفصل:

اختلف النحاة في ضمير الفصل. أله محل من الاعراب أم لا ؟ وقد نسبوا الى البصريين أنّهم قالوا: إنه فصل فلا محل له من الاعراب ويرى الكسائي أنّ له محلا من الاعراب بحسب ما بعده. وعدوا قوله هذا غريبا إذْ لم يتّبع اسم مابعده في الاعراب [٣].

وذهب الفراء إلى أنّ له محلا بحسب ما قبله أي هو توكيد له [٤]. وقد تردّد ابن الحاجب بين الرأيين فقد ذكر في أحد كتبه أنّ له محلا من الاعراب بحسب ما قبله أي توكيدا[٥] وفي كتاب آخر له [٦] أبطل أنْ يكون توكيدا، وذكر ابن الحاجب أيضا: أنه لاموضع له عند الخليل، وبعض العرب. بجعله مبتدأ وما بعده خبر [٧].

ودعا بعض أصحاب التيسير الى الأخذ بالرأي المنسوب الى الكوفيين بأن له محلا من الاعراب، يعرب توكيدا نحو: زيد هو الظريف، فهو توكيد لزيد. مثل «كنت أنت الرقيب عليهم» [٨] فأنت توكيد للتاء في كنت [٩]. وقد رفض بعض النحاة [١٠] أنْ يكون توكيدا لأن التوكيد أمّا أن يكون لفظيا وأمّا أن يكون معنويا فهو

---

(١) شرح الرضي ١/٩.

(٢) الرد على النحاة ٨٨.

(٣) شرح الرضي ٢/٢٧.

(٤) الإنصاف ١٠٠ ص ٢/٧٠٦، شرح الرضي ٢/٢٧، شرح ابن يعيش ٥/١٠٩، وائتلاف النصرة م ١١٧ ص١٠٠، وشرح ابن جماعة ٢٤٨، والنحو الوافي ١/ ٢٤٧ فيه تفصيلات مهمة.

(٥) الإيضاح في شرح المفصل ١/ ٤٧٠.

(٦) الأمالي ٤/ ١٠١.

(٧) ينظر: شرح الكافية لابن الحاجب ٧٠، وشرح ابن جماعة ٢٤٨، وشرح كافية ابن الحاجب ٤٩٩.

(٨) المائدة ١١٧.

(٩) خطى متعثرة ١٩٢ – ١٩٣.

(١٠) شرح الرضي ٢/٢٧، شرح ابن جماعة ٢٤٨.

ليس لفظيا، لأنه لم يكن اعادة وتكرار للفظ قبله، ولأنه منفصل والذي قبله متصل. وهو ليس معنويا لأن المعنوي إنّما يكون بألفاظ تحفظ ولا يقاس عليها، لذلك بطل أن يكون معنويا [١].

لقد تناول الأستاذ عباس حسن هذا الخلاف ثم قال :«أنسب الآراء وأيسرها هو الرأي الذي يتضمن الأمرين الآتيين:

١ - إنه في الحقيقة ليس ضميرا (بالرغم من دلالته على التكلم، أو الخطاب أو الغيبة) وإنما هو حرف خالص الحرفية، لا يحمل شيئا، فهو مثل (كاف الخطاب) في اسماء الاشارة وفي بعض كلمات اخرى مثل (ذلك، تلك النجاءك).... فمن الأنسب أيضا تسميته: (حرف الفصل)، ولا يحسن تسميته (ضمير الفصل) إلا مجازا بمراعاة شكله وصورته الحالية...

٢ - إنّ الاسم الذي بعده يعرب على حسب حاجة ما قبله، من غير نظر ولا اعتبار لحرف الفصل وما بعده من غير التفات اليه، فكأنه غير موجود، لأنه حرف مهمل أي لايعمل، والحرف لايكون مبتدأ ولاخبرا ولاغيرهما من أحوال الاسماء» [٢].

الذي أراه أن المعنى والسياق لا يمنعان من أن يكون هذا الاخير توكيدا ولا سيّما أن للتوكيد صورا كثيرة غير التوكيد اللفظي والمعنوي، منها التوكيد بضمير الفصل [٣] تناولها النحاة في أبواب متفرقة كثيرة. وأحسب أنّ سبب ذلك يعود الى أنّ النحاة تركوا ذلك الى البلاغيين الذين جمعوا أساليب التوكيد وضروبه ضمن مباحث علم المعاني.

ضمير الشأن:

ويسمى أيضا ضمير القصة أو ضمير الأمر أو الحديث أو المجهول وغير

---

(١) ينظر: النحو الوافي ١ / ٢٤٦.

(٢) النحو الوافي ١/٢٤٧ - ٢٤٩.

(٣) لقد تقصى عبد الرحمن المطرزي أساليب التوكيد في العربية والقرآن الكريم واحصى أنماطها وأنواعها ومواضعها في القرآن الكريم، وتناولها مجتمعة في كتابه: (أساليب التوكيد في القرآن الكريم).

ذلك [١] وهي تسميات ينبغي توحيدها والاقتصار على المشهور منها وهو (ضمير الشأن).

وهو أحد المواضع التي يعود فيها الضمير على متأخر لفظا ورتبة [٢] وهو رمز وايحاء الى الجملة المهمة التالية التي هي المدلول الذي يرمي اليه، والغرض الذي يتضمنه، مثل: هو الله أحد، هي الأيام خائنة... [٣]ولهذا الضمير أحكام تخالف الاصول والقواعد العامة والقياس مثل عوده على ما بعده لزوما، ومفسره لا يكون الا جملة، وانه لا يتبع بتابع، وهو ملازم للافراد [٤] لذلك رفض النحاة كثرة استخدامه.

وقد حذّر الأستاذ عباس حسن من الأساليب المشتملة على ضمير الشأن، لأنها «لا تكون صحيحة معدودة من الأساليب المشتملة على ضمير الشأن إلا إذا كانت صادرة من خبير بأصول اللغة مدرك للفروق بين التراكيب، ولولا هذا لصارت اللغة عبثا في تراكيبها، ينتهي الى فساد معانيها ولا شكّ أن حسن استخدام هذا الضمير، وتميزه من غيره لا يخلو من عسر كبير» [٥]وقد دعا بعضهم الى حذف هذا الضمير اذ لا نفع ولا ضرّ فيه [٦]، وهو قول غير صحيح لأن الشأن اسلوب بلاغي فصيح يستخدمه البلغاء في اللغة العالية [٧]لكن الذي ينبغي اعادة النظر فيه، المواضع الغامضة لضمير الشأن منها: إذا كان منصوبا بسبب وقوعه مفعولا به لفعل ناسخ ينصب مفعولين أصلهما مبتدأ أو خبر، وجب ابرازه واتصاله بعامله مثل (ظننته الصديق نافع).

واذا كان نوعا متصلا، وعامله فعل، فانه يستتر في هذا الفعل ويستكن فيه

(١) ينظر: النحو الوافي ١/٢٥٠ – ٢٥٢، ٢٥٩، وقد ذكر سبب كل تسميه.
(٢) المغنى ٢ / ٤٩٠ حاشية الدسوقي ١/ ١٣٤ – ١٣٥.
(٣) النحو الوافي ١/ ٢٥٠.
(٤) ينظر: مغني اللبيب ٤٩٠/٢ وابن يعيش ١١٤/٢ وحاشية الدسوقي ١٣٣/٢.
(٥) النحو الوافي ٢٥٠/١.
(٦) مثل يوسف سعادة. ينظر: تعديل القواعد ١٣ – ١٨ واتجاهات البحث اللغوي ١٨٧.
(٧) ينظر: معاني النحو ٦٢/١.

مثل: (ليس خلق الإنسان نفسه)[1]. (وكان علي عادل) ففي ليس وكان ضمير مستتر تقديره: الحال والشأن ويعرب اسما لها. والجملة بعده مفسرة له وهي خبر كان [2].

الضمير بعد (لولا):

ذهب الخليل ويونس الى أنّ الكاف والياء بعد لولا في: (لولاك ولولاي) في محل جر وهي هنا حرف شبيه بالزائد. بحجة أنّ الكاف والياء لا تكونان علامتي مضمر مرفوع.

وذهب الأخفش والفراء الى أنّ لولا ترفع الاسم بعدها وأنّ الكاف والياء في موضع رفع بها [3]، وهو رأي سليم لذلك تابعه أكثر النحاة كالزجاج وابن كيسان وأبي البركات الأنباري والرضي وابن الحاجب وعبد اللطيف الشرجي وغيرهم [4].

وقد دعا اليه بعض أصحاب التيسير لأنه رأي بعيد عن التكلف، وميسر يناسب مدارك التلاميذ [5].

أمّا الرأي الأول فهو غريب لأن ما يأتي من الاسم الظاهر بعد لولا لا يكون مجرورا فكيف في المضمر تكون جارة ؟ !

والاغرب رأي المبرد إذ أنكر هذا الاسلوب في العربية [6].

---

(١) في (ليس) ضمير الشان مستتر لأنها فعل ماض والفعل الماضي لايدخل على مثله: (خلق) فعل ماض. فلا بدّ من اسم يرتفع بالفعل. وهو رأي ابن مالك: شرح الكافية الشافية ٢١٥/١ وينظر: النحو الوافي ٢٥٤/١.

(٢) النحو الوافي ١/ ٢٥٤.

(٣) ينظرالكتاب ٢/ ٣٧٣. ومعاني القرآن للفراء ٨٤/٢، والإنصاف م ٩٧ ص ٦٨٧ وأمّالي ابن الشجري ٢/ ١١٢، وشرح ابن يعيش ١٢٢/٣. وائتلاف النصرة م ٥٥ ص ٦٥، وهمع الهوامع ٢٠٩/١.

(٤) ينظر: الجنى الداني ٤٥٦، وائتلاف النصرة م٥٥ ص ٦٥ والمؤاخذات النحوية ١٤٦، وأبو الحسن بن كيسان ١٤٤، والآراء الكوفية التي رجحها الرضي ٣/ ١٨، وشروح كافية ابن الحاجب ٤٩٨.

(٥) النحو الوافي ٢٤١/١.

(٦) الكامل ١٩٨/١.

المبحث العاشر

(النواسخ)

المبتدأ والخبر:

اختلف النحاة في مسائل كثيرة في باب المبتدأ والخبر، منها مسائل لا جدوى كبيرة فيها مثل خلافهم في عامل الرفع في المبتدأ والخبر [1] ومنها خلافات يمكننا أنْ نستفيد منها في قضية التيسير النحوي من ذلك خلافهم فيما يسد عن الخبر، وفي الخبر شبه الجملة وغير ذلك، مما أفاد منه أصحاب التيسير وتناولوه بالدرس والتحليل ومن هؤلاء إبراهيم مصطفى الذي اقترح: ضمّ الخبر الى التوابع، لأنه تابع للمبتدأ [2]، كما سيمر بنا ذلك في باب التوابع، في حين رأى الجواري [3] أنّ الخبر مرفوع لوقوعه في مرتبة الاسناد وقد دعا يوسف السودا الى حذف باب المبتدأ والخبر وجعل (الجملة الاسمية) بدلا منه بسبب كثرة خلافات النحاة وتخريجاتهم وتأويلاتهم في هذا الباب التي لا غنى فيها فضلا عن عدم حاجة الكتاب والشعراء والصحفيين وغيرهم اليوم لهذا الباب [4] ويقترب من السودا الدكتور العزاوي فقد أخذ على مؤلفي كتاب (قواعد اللغة العربية) للصف الاول المتوسط طريقة معالجتهم الموضوعات النحوية واسلوبهم القديم غير الوظيفي الذي لا يشعر الطالب بفائدتها والذي يقوم

---

(١) ينظر: الإنصاف م ٥ ص٤٤ وائتلاف النصرة م٥ص ٣٠، ونتائج التحصيل ج١ مج٣ ص٩٤٨ - ٩٥٣.

(٢) احياء النحو ١٢٦.

(٣) نحو التيسير ٧٩، ونحو القرآن ١٨، وجهود الدكتور الجواري، د. نعمة العزاوي، مجلة الضاد ١٠٩.

(٤) الأحرفية ٥٨، واتجاهات البحث اللغوي ١/١٨٥.

علـى التفـريق بـين الجملتـين الاسـمية والفعلـية، وهـذا يـبعدهم عـن سـلامة الـنطق ووظـيفة الـنحو المـرجوة وصـحة الفهـم. ويـبعدهم عـن مـشكلات كثيـرة في بـاب المبـتدأ والخبـر مـثل اعفـائهم مـن تقديـر فاعـل للفعـل (يـسافر) فـي (زيـد يسافر) وتقدير خبر للمبتدأ (زيد) [١].

فالـبديل اذن هـو دراسـة الجملـة، وهـي عـندهم: «ماكـان طـرفاها اسـمين» هـذه الجملـة الاسـمية، أمّـا الفعلـية فهـي «ماكـان أحـد طـرفيها، اسـما والآخـر فعلا سواء تقدم هذا الاسم ام تأخر» [٢].

وعلـى الـرغم مـن ضـيق هـذا التعـريف وابعـاده كثيـرا مـن التفـصيلات المهمـة التـي لا يمكـن لـدارس الـنحو تجاوزهـا، لكـنه يلغـي تفـصيلات أخـرى غير مهمة أيضا مثل انه يسدّ مسدّ الخبر ومتعلق الخبر شبه الجملة.

أمّـا مـا يـسدّ مـسدّ الخبـر فقـد اقتـرح أكثـر أصـحاب التيـسير الغـاءه [٣] وهـو نـوع مـن المبـتدأ لا يحـتاج الـى خبـر بـل الـى مـرفوع بعـده يُعـرب فـاعلا أو نائـب فاعـل بحـسب المبـتدأ (المـشتق، الوصـف المنكـر المـسبوق بنفـي أو اسـتفهام) وفـي ذلـك خـلاف فقـد أوجـبه البـصريون وأجـازه الأخفـش والكوفـيون وابـن مالـك [٤] وانمـا حمـل علـى الاضـمار، لأنـه الـركن الـذي يكـون بـه تمـام الجملـة، والـذي يـسد مـسد الخبـر أنـواع [٥] وقـد قـدّم الـنحاة أحكامـاً وفـروعا كثيـرة واخـتلفوا فـي الخبـر (المبـتدأ الوصـف المـتقدم) فهـو إمّـا أن يـتطابق مـع مـرفوعه فـي الافـراد والتثنـية والجمـع - وهـو الأحـسن - وهـنا يجـوز اعـرابه مبـتدأ مـرفوعه فـاعلا أو نائـب فاعـل بحـسب نـوع الوصـف (المبـتدأ)، ويجـوز اعـرابه

(١) في الكتاب اللغوي المدرسي، الضاد ج٤، تموز ١٩٩٠ ص٧١.

(٢) المصدر نفسه ٧٢.

(٣) ينظر مثلا: تيسير النحو التعليمي ٨٨، ولباب الاصول ٥٤ والمركّب الاسمي الاسنادي وأنماطه ٤١، وزوائد ضارة في النحو التعليمي، جريدة الجمهورية ١٧ اذار ١٩٩١.

(٤) ينظر: شرح ابن عقيل ١/ ١٩٢، وأوضح المسالك ٦٦/١، وهمع الهوامع، ٧/٢ وائتلاف النصرة ٧٩ وشرح التصريح ٥٧/١، والاشموني ٢٧٩/١، ونتائج التحصيل ج١ مج٣ ص ٩٤٣.

(٥) ذكر المهلبي له اثني عشر موضعا، ينظر: نظم الفرائد ٦٤ - ٦٦.

خبرا مقدما ومرفوعه مبتدأ مؤخر ومن احكام واصول طويلة وضعها النحاة. فنقول: أقام زيد أو أقائمان الزيدان وأقائمون الزيدون.

وإمّا ألّا يتطابق فيجب اعراب الوصف مبتدأ ومرفوعه يسدّ عن الخبر فقط، لئلا يترتب على ذلك أن يكون المبتدأ مثنى أو جمعا والخبر مفردا وهذا لايجوز [١] وقد نسب ابن أبي الربيع هذا الرأي الى الأخفش [٢]، وفي ذلك خلاف طويل [٣] وقد كان عباس حسن أكثر دقّة في اقتراحه نفي النوع الثاني، وهو: وجوب اعراب الوصف المشتق مبتدأ أو انّ مرفوعه يسدّ عن الخبر في حالة عدم المطابقة، لأن حجة النحاة هنا واهية اساسها التوهم والتخيّل والقياس الجدلي لا النفي ولا الظن.

قال: «الرأي السمح الذي يرتضيه العقل انّ التطابق في الافراد كالتطابق في التثنية وفي الجمع، فما يجوز في حالة الافراد، يجوز في غيره عند غير التطابق... ونستغني عن التطابق في حالتي التثنية والجمع وعن حكمه المستقل، ولم يترتب على ذلك ضرر في طريقة صوغ الاسلوب ولا في ضبط كلماته وحروفه ولا في معناه... وفوق هذا فرأينا يساير اللهجات الفصيحة التي تُناقض حجة النحاة في قولهم ان الفعل لا تلحقه تثنية ولا جمع وان ما يشبهه يسير على منواله»[٤]، وقد دعا بعضهم الى اعراب الوصف خبرا مقدما والمرفوع بعده مبتدأ مؤخراً وهذا يتلاءم مع المعنى لا اعرابه سادّ مسدّ الخبر [٥]ولجأ بعضهم - حلّا لذلك - الى الاعراب المنسوب الى الكوفيين وهو «انّ الوصف المشتق المبدوء به الجمل الذي هو اسم فاعل أو اسم مفعول يعرب فعلا دائما وانّ المرفوع بعده يعرب

---

(١) الكتاب ١٢١/٢، والإيضاح ١٤١/١ شرح المقدمة المحسبة ٣٨٩/٢، شرح ابن يعيش ٦/ ٧٩، شرح الجمل لابن عصفور ٥٢٢/١، شرح التصريح ٦٦/٢، همع الهوامع ٧٩/٥/٥، نتائج التحصيل ج١ مج٣ / ص٩٤٣ والنحو الوافي ٤٥٣/١.

(٢) ينظر: البسيط في شرح جمل الزجاجي ٥٨٤/١.

(٣) ينظر تفصيلات هذا الخلاف في: نتائج التحصيل ج١مج ٣ص ٩٤٣ - ٩٥٥.

(٤) النحو الوافي ٤٥٣/١.

(٥) المركب الاسمي الاسنادي وأنماطه، د. أبو السعود حسين الشاذلي ٢٧.

فاعلاً او نائب فاعل»[1] وهو رأي لا يحلّ المشكلة ولا يقلل من كثرة الخلافات في ذلك مثل الرأي الداعي الى الغاء هذا النوع من الخبر.

إنّ كثرة الأحكام والخلافات المتفرعة وتعقيدها وصعوبة الموضوع وتكلف النحاة في وضع قواعده واعتمادهم على أبيات مجهولة القائل، كل ذلك جعل بعض أصحاب التيسير يدعون الى الغاء قاعدة المبتدأ المستغني عن الخبر [2]

و يرى الدكتور مصطفى جواد أنّ سدّ الفاعل مسدّ الخبر مثل: (أسارٍ ذان) من الحيل النحوية، ولايرى: (أسارٍ) مبتدأ إنما هو خبر متقدم لأن الوصف من مستلزمات الخبر [3]. والى ذلك ذهب الدكتور إبراهيم السامرائي لأن الجملة تقوم على ركنين: مسند اليه ومسند [4].

الخبر شبه الجملة:

الخبر ثلاثة أنواع: مفرد: (جامد ووصف)، وجملة (اسمية وفعلية)، وشبه جملة: (الظرف والجار والمجرور). وقد قال النحاة: إنّ الخبر (شبه الجملة) متعلق بمحذوف هو الخبر تقديره (استقر) أو (مستقر)، أقام الظرف أو الجار والمجرور محله، ولا يجوز اظهار هذا المحذوف لأنه صار اصلاً مرفوضاً، والأصل: (زيد استقر عندك) في (زيد عندك). (فعندك) ظرف منصوب بالاستقرار المحذوف. والمحذوف واجب الحذف وهو الخبر الحقيقي وليس شبه الجملة وثمّة تفصيلات كثيرة وتقسيمات وتفريعات شاقة وجدل مرهق لا حاجة بنا اليه وخلافات طويلة [5]. لذلك اقترح عباس حسن جعل شبه الجملة هي الخبر في محل رفع تخلصاً من تلك التفريعات

---

(١) زوائد ضارّة في النحو التعليمي، د. نعمة العزاوي، الجمهورية ١١٧ اذار ١٩٩١.

(٢) الأحرفية ٣٥، تيسير النحو التعليمي ٨٨، زوائد ضارة في النحو التعليمي، الجمهورية ١٧ / اذار / ١٩٩١ د. العزاوي، والمركب الاسنادي ١٥٤ - ١٦٧.

(٣) ينظر: مصطفى جواد وجهوده ٢٢، ومصطفى جواد فيلسوف العربية ١٠٧.

(٤) ينظر: في النحو العربي نقد وبناء ٧٢.

(٥) ينظر شرح ابن يعيش ١/ ٤٧٥ وشرح الأنموذج للاردبيلي (مخطوط) ورقة ٢١. والخضري ١/ ٩٣، والنحو الوافي ١/٤٧٧.

الشاقة والجدل المرهق فضلا عن سهولة ويسر المقترح [١]. وهو رأي قديم فقد ذهب اليه الفراء وابن السراج وتابعه تلميذه الفارسي ثم ابن مضاء وغيرهم [٢].

كان وأخواتها:

المشهور في (كان وأخواتها) انها أفعال ناقصة تدخل على المبتدأ والخبر فترفع المبتدأ فيسمى اسمها، وتنصب الخبر فيسمى خبرها، وقد نسب هذا القول الى البصريين [٣].

و نسبوا الى الكوفيين أنهّم لايعدونها أفعالاً ناقصة بل أفعالاً تامة، فيكون الاسم المرفوع بعدها فاعلاً لها والاسم المنصوب حالاً لا خبراً، أو تشبيها بذلك كما ذهب اليه الفراء، فيما نقل صاحب الانصاف، وغيره من المتأخرين[٤].

هذا ما ذكره المتأخرون، وسرى هذا القول الى المعاصرين فذكروه على انّه من المسلّمات. ودعا أصحاب التيسير الى رأي الكوفيين ودافعوا عنه وعدّوه رأياً فيه تيسير يناسب العصر وأصحابه. وقد درس ذلك الدكتور فاضل السامرائي دراسة مفصلة [٥]، وتتبع اقوال النحاة ومصادر النحو فخرج بأنّ نسبة هذا القول الى الكوفيين نسبة خاطئة وإنّ حقيقة موقف نحاة الكوفة من الأفعال الناقصة لايختلف عن البصريين وأنهّم يقولون بكل ما

(١) ينظر: النحو الوافي ١/ ٤٧٧. وقد تابعه الدكتور أبو السعود حسنين في كتابه: المركب الاسنادي وأنماطه ٣٦، ٤١. والدكتور المخزومي في النحو العربي نقد وتوجيه ١٨١.

(٢) ينظر: شرح الرضي ١/ ٩٢، والرد على النحاة ٩٩.

(٣) ينظر: المرادي وكتابه توضيح مقاصد الالفية ٤٣٩.

(٤) ينظر: الإنصاف م ١١٩، ص ٢/ ٤٤١، ٨٢٦. وشرح الرضي ٢/٢٧٤، وأسرار العربية ١٣٨، وشرح ابن يعيش ٨٩/٧، وشرح التصريح ١/١١٠، ١٨٤، وهمع الهوامع ١/١١٠، وحاشية الصبان ١/٢٢٦، وشرح الاشموني ١/٢٢٦، والموفي في النحو الكوفي ١٣١، وحاشية الخضري ١/١١٠.

(٥) ينظر: حقيقة رأي الكوفيين في النقص والتمام في الأفعال، مجلة الجمع العلمي العراقي ج٢، مج ٤١، ١٩٩٠، ص ١٨٥.

يقوله البصريون بل يذهبون في ذلك الى أبعد منهم. وساق أدلّة كثيرة ونقولاً عن نحاة الكوفة وغيرهم [(١)] على خلاف ما نسب اليهم [(٢)].

يتبين أنّ ثمّة اضطراباً في النقل عن المتقدمين فينبغي التحقيق في نسبة الرأي قبل الأخذ به، والدعوة اليه، وإنْ كان رأياً سليماً فيه تيسير، لا يمكن الاستغناء عنه في مناهجنا الدراسية اليوم، فلا بأس أنْ نأخذ به وندعو اليه، ولكن ينبغي أنْ نتحقق من نسبته الى صاحبه أولاً، وأنْ لا نكتفي بما ينقله المتأخرون عن المتقدمين. فقد كان أكثر النحويين الذين كانوا ينتسبون الى المذهب البصري يذهبون الى أنّ (كان) نوعان: نوع يحتاج الى خبر وهي الناقصة ونوع لايحتاج الى خبر وهي التامة [(٣)]. وكان أبو محمد الفزاري وابن فضّال المجُاشعي (٤٧٩ هـ) يقولان: إنّ كان وأخواتها ترفع الاسم بعدها لأنه فاعل، وتنصب الخبر لأنه مفعول. او على التشبيه بالمفعول [(٤)]. وكان الزبيدي يرى الاسماء بعدها ترفع بالأفعال التي قبلها وتنصب بالاسماء التي تليها لأنها خبرها [(٥)]. وقال خالد الازهري: «انّما لم يسمّوا الاسم المرفوع فاعلاً، والمنصوب مفعولاً لأن هذه الأفعال في حال نقصانها تجرّدت عن الحديث الذي من شأنه أنّ يصدر عن الفاعل ويقع على المفعول فصارت كالروابط» [(٦)].

لقد دعا كثير من أصحاب التيسير الى الرأي المنسوب الى الكوفيين خطأ [(٧)]، ودافعوا عنه وقدموا أدِلّة كثيرة على صحته وأوردوا نقولا تؤيده.

---

(١) ينظر: معاني القرآن ٣٨٩/١، ٢٨١، ٢/ ١٣، ٨٣، ومجالس ثعلب ٤٣/١، ٦٠، شرح القصائد السبع الطوال ٤٤، ١٩١، ٥٥١، والجمل ١، ٣٧، والاصول ١/ ٢٦٧، والبغداديات ١١٣، واللمع ٩٥، والمقتضب ٢٣٦/٣.

(٢) ينظر: حقيقة رأي الكوفيين في النقص والتمام ١٨٥، وأبو البركات الأنباري في كتابه الإنصاف ٢١٩.

(٣) ينظر: البغداديات ١١٣، واللُّمع ٩٥ - ١٠١.

(٤) ينظر: شرح عيون الاعراب ٩٩.

(٥) ينظر: الواضح ٦٣ - ٦٥، وينظر: تيسير العربية بين القديم والحديث ٥٨.

(٦) شرح التصريح على التوضيح ١/ ١٨٤.

(٧) منهم إبراهيم مصطفى ومصطفى جواد وشوقي ضيف وعبد الحميد حسن ينظر: احياء النحو =

أذكر من هؤلاء الأستاذ شاكر الجودي الذي توسّع في الدعوة الى احياء هذا الرأي واتخاذه أوّل المقترحات الأربعة التي دعا اليها وهو: «أنْ يحذف من مناهج الدراسة موضوع الأفعال الناقصة ونلحق دراسته بموضوع الحال فيكون اسم الفعل الناقص فاعلا له، وخبره حالا صاحبها هذا الفاعل وعامله ذاك الفعل» [(١)].

وقد اعترض فريق آخر من أصحاب التيسير على هذا المقترح وعدّوه رأيا تنقصه الدقة، لأنّ الخبر ثابت والحال متحول، ولأنّ المعنى يختلف بين الحالتين، لأن الحال تبين الهيئة وهي أمر عارض في حين الخبر جزء أساس من الجملة، وانّ النحاة لم يفرضوا ذلك بل المعنى هو الذي فرضه [(٢)]. وقد ناقش هذه الردود أصحاب التيسير الداعون الى ذلك الرأي، وأطال بعضهم ليثبتوا: «أنّ الحال تكون معرفة في كثير من المواضع لدرجة أنّ تقييدها بالنكرة أمر ليس ذا بال» [(٣)]، واثبات وجه الشبه بين الحال وخبر كان بأنّ كل منهما هو المسند اليه في الجملة وكذلك في المعنى، وأنّ الحال ليست فضلة، وأنهما معرفتان ويتفقان في كونهما قد يشذّان عن ذلك. وأنّ كلاً منهما وصف وقد يتعددان ويأتيان جملة كما يردان مفردين وكلاهما يصلح للوقوع في جواب كيف الى غير ذلك من الأدلّة التي دعموها بالنصوص والشواهد [(٤)].

=

١٥١، والنحو الكوفي وفائدته في تيسير قواعد العربية، المعلم الجديد ج٣ مايس ١٩٥٠ ص ٣٩ وكلمات في مقترحات تيسير النحو، المعلم الجديد ٢٤٨ والمباحث اللغوية في العراق ١٠، ومصطفى جواد وجهوده اللغوية ١٠٧ وتيسير النحو التعليمي ٩٠. ونحو التيسير ٨١، وبعض وجوه التهذيب والتيسير في القواعد النحوية، مجمع اللغة العربية ١٩٧٠ الدورة ٣٦ ص ٩٩ - ١١٩، وأسرار الضمائر، عبد الحق فاضل، اللسان العربي ع ٥ ص ٢٧٣.

(١) تشذيب منهج النحو ١١ وما بعدها.

(٢) ينظر: كلمات في مقترحات تيسير النحو، المعلم الجديد ٢٤٨، ونحو التيسير ٨١، وتيسير النحو التعليمي ٩١.

(٣) تشذيب منهج النحو ١٣.

(٤) ينظر: تشذيب منهج النحو ١٣ - ٣٤. وتيسير النحو التعليمي ٩٠ - ٩٤.

إنّ ذلك مدعاة الى اضطراب الحقائق اللغوية والاحكام النحوية اذ تبدو خلالها اكثر دعوات التيسير ناقصة في أحكامها وشمولها، هذا اذا وضعنا في الاعتبار - وهو ما يجب فعله دائما - السياقات القرآنية التي تصطدم بمقولات بعض الذين دعوا دعوات معينة باسم التيسير، فالواقع اللغوي كما هو في القرآن الكريم، يؤكد مجيء كان تامة وناقصة وزائدة[١]. لذلك نحن نؤيد المخزومي في اقراره أربعة استعمالات مختلفة لكان ولم يتقيد بواحدة منها، وهي: لازمة، وناقصة، وزائدة «مفرغة من الأدلة على الحدث أو الوجود» وضميمة للمعرفة الزمانية، قال: «وتستعمل ضميمة لفعل، لتدل معها على ماضٍ منقطع مثل (كان قد فعل...) [٢].

إنّ المخزومي قد درس الموضوع دراسة جديدة معتمداً على الدراسات القديمة والحديثة. وأطلق على الأفعال الناقصة تسمية: أفعال الوجود، ولم يذكر بينها (صار) ولا (ليس) وأخواتها ولا (كاد) وأخواتها، وقد ذكرها ضمن الأفعال الشاذة [٣].

وتابع العزاوي المخزومي في استعمال أفعال الوجود والكينونة في تفصيلات اخرى، وقال عن طريقة المخزومي هذه انها «تحقق لنا هدفي النحو الأساسيين وهما صحّة النطق، وفهم الجملة، وادراك وظيفة كل عنصر فيها» [٤].

واقترح يوسف السودا أنْ تسمى (أفعالاً مساعدة) لأن أخبارها قد تكون فعلاً مضارعاً أو ماضياً لأنها إذا دخلت على جملة اسمية ساعدت على تفصيل الأزمنة وتحديدها وعلى تعيين العلاقات، والصلة بين فعل وفعل، وبين حدث وحدث، واقترح ابدال كلمة الخبر بكلمة (مظهر) [٥].

---

(١) دراسات لاسلوب القرآن، قسم ٣ج ١ص ٣٣٤.
(٢) في النحو العربي قواعد وتطبيق ١٨٣، ١٣٤.
(٣) المصدر نفسه ١٢٩.
(٤) ينظر: في الكتاب اللغوي المدرسي، الضاد ج٤ تموز ١٩٩٠، ص ٧٥.
(٥) الأحرفية ٦٨، موجز الأحرفية ١٤، ٢٨ - ٣٠، واتجاهات البحث اللغوي، لبنان ١٧٩/٢.

ولايخفى على الدارسين تأثر السودا بالدراسات اللغوية الغربية التي يحاول تطبيقها على الدرس النحوي العربي حتى امتد ذلك عنده الى استخدام المصطلحات الأعجمية كما هي.

من أخوات كان:

أفعال تشبهها تسمى أفعال التصيير وهي كثيرة في المعجمات النحوية نحو: آض، رجح، عاد، استحال، ارتدّ، تحول، غدا، راح، ابتدأ، بقي، دام، استمر، ثبت، اطّرد، صار وغيرها كثير [1]، ربما لا نستطيع احصائها.

والذي أراه أنّ المسألة ليست تحديد عدد هذه الأفعال لفظاً، بل معنىً فإن اكثر هذه الأفعال تأتي تامة حيناً وحيناً تأتي ناقصة لأن معناها (التصيير) فتكون من أخوات كان، وقد دعا كثير من أصحاب التيسير الى زيادة أفعال على الأفعال الناقصة من ذلك دعوة أحدهم الى زيادة، (غدا وبقي) لأنها تشبه (كان)[2].

والحق أنّ ما تركه النحاة القدماء قد بلغ من الدقة ما لا يحوجنا الى شيء من هذه الدعوات، او استدراك فعل هنا أو هناك على صنيع القدماء مما نظن انه قد فاتهم ذكره لا سيّما أنّ الاختلاف واقع في عدة هذه الأفعال عند القدماء انفسهم، فقد جعل الزمخشري [3]. (غدا وراح) بمعنى صار أو بمعنى وقع فعله في وقت الغدو والرواح، وضع ذلك الجمهور ومنهم ابن مالك، وقالوا المنصوب بعدهما حال اذ لايوجد إلّا نكرة.

---

(١) ينظر: معجم الاعراب والاملاء، والمعجم الشامل: (مواضع متفرقة). ودراسات لأسلوب القرآن ٤١١/١/٣. وتشذيب منهج النحو ١٨.

(٢) هو الأستاذ عبد العزيز عبد الله محمد في بحثه: الدرس النحوي أسباب ضعف الطلبة فيه ومعالجته. ضمن بحوث ندوة جامعة الموصل كلية التربية ١٩٨٨ (رفع مستوى الاداء باللغة العربية).

(٣) ينظر: المفصل ٣١، والإيضاح في شرح المفصل ٧٣/٢، وشرح ابن يعيش ٧/ ٩١ ومسائل خلافية بين الزمخشري وابن مالك ٣٦، في النحو العربي نقد وتوجيه ١٧٨ ومحاولات حديثة ٢٨٦.

و الـذي أراه أنّ المعنـى هـو الـذي يحـدد نـوع الفعـل فقـد يعمـل عمـل (كان) إذا كان بمعنى التصيير، وبخلاف ذلك لا يعمل.

والغـريب إنّ المخزومـي رأى ضـرورة اخـراج (صـار) مـن الأفعـال الناقصة، في حين جعلها مصطفى جواد امَّ الباب لا (كان) [١].

و رأي المخزومـي غـريب لا ارى فـيه تيـسيراً، ولا سـيّما أنّ مـن أهـداف التيـسير هـو التقلـيل مـن التفـسيرات والتحلـيلات لا الاكـثار مـنها. وأرى أنّ المعنى المراد هو الذي يحدد نوع الأفعال بين النقصان والتمام.

أفعال المقاربة:

أفعـال هـذا الـباب كثيـرة اذْ بلغـت أربعـين فعـلاً[٢]. لكـن المـشهور مـنها اربعة عشر فعلاً، وهي ثلاثة أنواع:

أفعال المقاربة: كاد وكرب وأوشك.

أفعال الرجاء: عسى وحرى واخلولق.

أفعال الشروع: شرع وجعل وأخذ وطفق وانشأ.

وقـد أثـبت الأسـتاذ عـباس حـسن أنّ (أوشـك) مـن أفعـال الـرجاء لا المقاربـة. وقـدّم فـيها مقتـرح تيـسير[٣]. فـي حـين جعلهـا القدامـى مـن (الأفعـال الناقـصة) لأنهـا لا تكتفـي بمـرفوعها بـل تحـتاج الـى الفعـل المـضارع كـي يتـضح معـناها. لـذلك اقتـرح بعـض أصـحاب التيـسير الغـاء بـاب كـان وأخـواتها، [٤] وقـد نـاقش المحدثـون أقـوال الـنحاة وقدّمـوا الـدلائل والـنقول لاثـبات مـا ذهـبوا الـيه، مـن ذلـك انـه يمكـن اعـراب اسـمهما فـاعلاً وخبـرهما حـالاً، ودعـوا الـى الأخـذ بمـا ذهـب الـيه سـيبويه وتابعـه المبـرد مـن أنّ كـاد وأخـواتها، إمّـا أنْ تعـدّ أفعـالا مـتعدية فـبعدها فاعـل ومفعـول، وإمّـا أنْ تُعـدّ أفعـالا قاصـرة ولازمـة،

---

(١) ينظر: مشكلات اللغة العربية وحلها، المعلم الجديد ع٢ س٥ مارت ١٩٤٠، ص ٩٨ وما بعدها.

(٢) همع الهوامع ١٢٩، تقويم جديد لكان وأخواتها، اللسان العربي ١١٦.

(٣) ينظر: النحو الوافي ٦١٩/٣.

(٤) تشذيب منهج ٥٠، وتيسير النحو التعليمي ٩٠.

فبعدها فاعل مرفوع ومصدر مؤوّل حذف معه الجر توسعا. والاولى أن ما بعدها فاعل ومفعول به [١].

وقد ذهب أحد الباحثين إلى أنّ هذه الأفعال لا دلالة لها على الزمن في حدّ ذاتها إلا بعد دخولها في جمل ذات أفعال مضارعة، فهي ذات دلالة تركيبية إذن، وعليه فهي أدوات لا أفعال، قال: «واذا كانت هذه الكلمات تساعد المضارع على التعبير عن الجهة الزمنية المعينة فإني اقترح ادراجها ضمن أدوات الجهة وهو المصطلح الذي يشمل كل الأدوات التي تساعد الفعل على اعطاء الدلالة الزمنية المعينة، فعسى مثلا تنهض بأداء الوظيفة التي تقوم بها السين التي هي أداة باتفاق» [٢] «وجمعا لطرفي الظاهرة الواحدة في مصطلح واحد اقترح تسمية أفعال المقاربة: (الأدوات الفعلية....)» [٣].

ان هذا عندي مذهب جدير بالقبول، لأنه مظهر من مظاهر التيسير لما فيه من الوضوح والبعد عن التكلّف.

ظنَّ وأخواتُها:

المشهور عند النحاة إنّها تنسخ المبتدأ والخبر فتجعل المبتدأ مفعولاً به أول والخبر مفعولاً به ثانياً. وهي كثيرة منها: حَجَا، عدّ، زعم، جعل، هَبْ، وجد، درى، علم، حسب، خال، رأى، صبر، ترك، اتخذ، فضلاً عن (ظَنَّ). وقد زاد عليها نحاة أفعالاً اخرى وجعلوا بعضها بمعنى (صّير) إذ يمكن التوسّع في مثل هذا النوع من الأفعال، فعد السكاكي (٦٢٦ هـ) مثلاً: (توهمت، وتيقنت، وشعرت، واعتقدت، وودّت) وغيرها من أخوات (ظنّ)[٤].

---

(١) ينظر: كتاب سيبويه ١/ ٤٧٧، والمقتضب ٦٧/٣، ومغني اللبيب ١/ ١٦٢ وهمع الهوامع ٢/ ١٣١ وشرح التصريح ٢٠٣/١، وحاشية الصبان ١/ ٣٠٧.

(٢) تقويم جديد لكان وأخواتها، اللسان العربي مج ١٢ ج١ ص١١٦.

(٣) المصدر نفسه ١١٨.

(٤) مفتاح العلوم ٤٥.

وقد خالف بعض النحاة ما اشتهر من عمل (ظنّ) وأخواتها وهو نصب المبتدأ والخبر أفعالا. لكنّ آراءهم هذه بقيت محفوظة دونما تطبيق لا سيما عند المتأخرين فقد أجاز الأخفش مثلا إلغاء ظنّ وأخواتها مع تقدمهن [١].

ويدعمه في ذلك الاستعمال اللغوي. قال الشاعر الفزاري [٢]:

كذلك أُدبتُ حتى صار من خُلُقي ... أني وجدتُ ملاكُ الشيمةِ الأدبُ

برفع المبتدأ والخبر (ملاكُ الشيمةِ الأدبُ) بعد فعل القلوب (وجد).

وقول كعب بن زهير [٣]:

أرجو وآمل أن تدنو مودّتها ... وما أخال لدينا منك تنويل

وقد رأى السهيلي أنّ (ظنّ) وأخواتها بمنزلة أعطيت في أنها استعلمت مع مفعوليها ابتداء، قال: والذي حمل النحويين على رأيهم فيها أنهّم رأوا أنّ هذه الأفعال يجوز الاتذكر فيتكون من مفعوليها مبتدأ وخبر.

قال: «و هذا باطل بدليل أنّك تقول: ظننت زيداً عمراً ولايجوز أنْ تقول: زيد عمرو الا على جهة التشبيه، وأنت لم ترد ذلك مع ظننت اذ القصد انك ظننت زيداً عمراً نفسه لاشبيه عمرو» [٤].

لقد اعتمد أصحاب التيسير على هذه الآراء وغيرها من آراء القدامى في إلغاء (باب ظن وأخواتها) تيسيراً على التلاميذ [٥]، ودعا بعضهم الى

(١) ينظر: شرح التصريح ١/ ٢٥٨، وهمع الهوامع ١٥٣/١، وشرح الاشموني ٢٥/١، وخطى متعثرة ٧٥ – ٧٨، ومنهج الأخفش الأوسط ٤٠.

(٢) البيت من شواهد: اوضح المسالك ١٨٩، وابن عقيل ١٥٢/١، وهمع الهوامع ٢/ ٢٢٩.

(٣) البيت من قصيدة كعب المشهورة: (بانت سعاد)، وله رواية اخرى، ينظر ديوانه بشرح السكري ٩. والبيت من شواهد النحاة المشهورة. ينظر: همع الهوامع ٣/ ٢٢٩، والاشموني ٢٩/٢.

(٤) همع الهوامع ٢٢٩/١: التصريح ١/ ٢٤٦، حاشية الصبان ١٣/٢. وتيسير النحو التعليمي ١٠٩ – ١١٠، والنصّ غير موجود في أمالي السهيلي، ولا في نتائج الفكر.

(٥) ينظر: خطى متعثرة ٧٥.

ضمّه الى باب المفعول المتعدي مثل: اعطى المعلم خالدا جائزة [١]، ومنهم من دعا الى جعل الأوّل [٢] مفعولا به أوّل والثاني حالا صاحبها المفعول به وعاملها الفعل.

والذي اراه أنْ نجعل الباب اختيارا في اعمال(ظن وأخواتها)أو الغاءها كما ورد ذلك في السماع كما مرّ بنا.

إنَّ وأخواتُها:

ثمّة خلافات في هذا الباب لا جدوى فيها: لم يستفد منها أصحاب التيسير، كاختلافهم في جواز سد (انّ المفتوحة ومعمولها) مسد اسم إنَّ [٣] وخلافهم في رافع خبر (إنّ) إذْ نسبوا الى البصريين أنهّم قالوا إنّه (ارتفع بـ(أن))، ومنع ذلك (الكوفيون) لأن أداة واحدة لا يصحّ ان تعمل عملين مختلفين في عبارة واحدة وانه مرفوع لأنه في الاصل مرفوع. وهو رأي الفراء الذي خالف فيه، الخليل وتابعه الأنباري [٤]. وقد ذهب مذهبهم من المعاصرين مصطفى جواد [٥]. في حين يرى الدكتور السيد يعقوب بكر رأيا قريبا من الرأي المنسوب الى الكوفيين [٦].

ولا شكّ في أنّ مثل هذه الخلافات لا فائدة كبيرة منها لا سيما التي

---

(١) ينظر: نقد المقترحات المصرية ١٠٩، النحو والنحاة بين الازهر والجامعة ٢٠٥ والمذهب الكوفي وأثره، عبد الحميد حسن ٥١٩. والنحو الكوفي وفائدته، الدكتور مصطفى جواد، المعلم الجديد ج٣ مايس ١٩٥٠، وتيسير النحو التعليمي ١١٠.

(٢) ينظر: تشذيب منهج النحو ٥٥.

(٣) الخلاف في ذلك بين الأخفش وهشام من جهة والجرمي من جهة اخرى، ينظر: همع الهوامع ١٨٥/١ ومنهج الأخفش الأوسط في الدراسات النحوية ٤١٠.

(٤) كتاب سيبويه ١٣١/٢، معاني القرآن ٣١٠/١ وشرح القصائد السبع الطوال ٤٥، والإنصاف م ٢٢، ص ١ / ١٧٦ وشرح ابن يعيش ١٠٢/١، وشرح الرضي ٢٤٦/٢، والموفي في النحو الكوفي ٤٤، وائتلاف النصرة م ٤٦ ص ١٦٦.

(٥) المباحث اللغوية في العراق ٩، ومصطفى جواد وجهوده اللغوية ١١٥.

(٦) ينظر تفصيل ذلك: دراسات لغوية، مجلة كلية الاداب، جامعة القاهرة مج ١٨ ج١ / ١٩٥٦ ص١٠٧.

يتصل منها بنظرية العامل. وثمّة خلاف آخر أخذ أهميته عند المحدثين لارتباطه بنظرية إبراهيم مصطفى في الاسناد فقد اعترض نظريته تفسير نصب اسم إنّ، فأخذ يتمحّل تفسيرات لكي لا يخرج ذلك عن الأصل الذي قرّره في أنّ الضمّ علم الاسناد: فقال: «ان النحاة قد أخطأوا فهم هذا الباب وتدوينه، ثم تجرأوا على تغليط العرب في بعض أحكامه». [1] فقد ورد اسم إنّ مرفوعا كثيراً في القرآن الكريم والحديث الشريف والقراءات والشعر العربي، فقد قرأ نافع وحمزة والكسائي وغيرهم: «إنّ هذان لساحران» بتشديد نون (إنّ) [2]، وكقوله صلى الله عليه وسلم: (إنّ من أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون) وفي كلام العرب الفصيح ورد اسم انّ مرفوعا كثيرا، أو معطوفا عليه بالرفع واكّدوه بالرفع. وقد تأوّل النحاة اعسف تأويل لتفسير رفع اسم إنّ، وزادهم إبراهيم مصطفى غرابة في تفسير ذلك، فقد اعتمد الاحصاءات في القرآن الكريم فوجد أنّ أكثر ما تستعمل (إنّ) في القرآن الكريم متصلة بالضمير مثل: أنّا، وإنّي وإنّك وإنّه [3]. وقد فسّر ذلك إبراهيم مصطفى بقوله: «إنهّم لما أكثروا من اتباع إنّ بالضمير جعلوه ضمير نصب ووصلوه بها وكثر هذا حتى غلب على فهمهم أنّ الموضع للنصب، فلما جاء الاسم الظاهر نصب أيضا. وهذا موضع دقيق في العربية ولكنه صحيح مطرد عند الاختبار، اثبته النحاة وسموه الاعراب على التوهّم» [4].

ولم يُرضِ هذا التفسير كثيرا من أصحاب التيسير فعدّوه تأويلا بعيدا والشواهد التي ذكرها عدوها من قبيل المستوى اللهجي [5]. لكنّهم اختلفوا في ردّه أيضا فقد تابع بعضهم ثعلبا وغيره من القدامى إذْ ذهب ثعلب الى

---

(١) احياء النحو ٦٥.

(٢) من سورة طه، الاية ٦٣. وينظر: كتاب السبعة ٤١٩، ومختصر في شواذ القرآن ٨٨، ومعجم القراءات القرآنية ٤/ ٨٩، والكشّاف ٥٤٣/٢، وينظر: شرح الرضي ١٧٢/٢، والمغني ٢٢/١، وشرح التصريح ١٢٧/١.

(٣) احياء النحو ٦٨.

(٤) المصدر نفسه ٧٠.

(٥) محاولات حديثة ٥٢.

أنّ السبب هو إنّ اسم إنّ أصبح بمنزلة المركب فاستطال لذا حُرّك بالحركة الخفيفة [١]. ورد ذلك آخرون وقالوا: إنّ ذلك التركيب نوع من الاتصال وليس كتركيب الأعداد [٢]. وذهب بعضهم إلى أن (إنّ وأخواتها) تنصب الاسم بعدها لأن فيها معنى الفعل ويجوز الرفع إذا عدت حروفا ولم يقصد بها تشبيها بالفعل. وهو تفسير غير موفق.

وقد وضع النحاة قواعد وأصولا لضبط حركة همزة (إنّ) فاحكموا ذلك [٣] من غير أنْ يفرضوا قاعدة، بل حاولوا وضع قواعد تصف اللغة العربية ليسهل تعلمها، وهي مهمّة النحوي الحقيقية. لكن بعض المعاصرين دعا الى جعل همزة إنّ مكسورة دائما [٤]. وهي دعوة بعيدة عن التيسير الحقيقي الذي ينبغي أنْ يكون، لأن التيسير لا يبيح التدخل في اللغة وطبيعتها، وإنّما طريقة يسيرة لتعلم اللغة ومعرفة قوانينها.

وقد اختلفوا أيضا في عمل (إنْ وأنْ) المخففتين من الثقيلتين. فذهب عدد من النحويين الى بقاء عملهما وذهب آخرون الى اهمالهما، لا سيما (إنْ المكسورة)، أمّا (أنْ المفتوحة) فذهب اكثرهم الى أنّ عملهما لا يبطل اذا خُفّفت، وإنْ ورد اسم بعدها مرفوع فانّما هو على اضمار الشأن والقصة لا على إبطال عملها [٥].

وقد نسبوا الرأي القائل باعمال (إنْ المكسورة المحفضة) الى الكوفيين وهو قول غير دقيق، وكذلك نسبوا إليهم إلغاء اعمال (كأنْ) المخففة. وقد أخذ هذا القول بعض أصحاب التيسير [٦] فدعوا الى الغاء عمل أنْ المخففة (وكأنْ) كقوله تعالى:

(١) ينظر: مجالس ثعلب ٨١/١ ونحو التيسير ٨١، وفي النحو العربي نقد وتوجيه ٨٧ وفلسفة المنصوبات ٢٣٤، وجهود الدكتور الجواري، د. العزاوي، الضاد. ص ١٠٩.

(٢) ينظر: جهود الدكتور الجواري ١٠٩، ومحاولات حديثة ٢٨٦.

(٣) ينظر: همع الهوامع ١٦٥/٣ - ١٧١، والاشموني ٢٧٦/١.

(٤) ينظر: تعديل القواعد ١٣ ولباب الاصول ٥٦.

(٥) ينظر تفصيل ذلك: الإنصاف م ٢٤ ص١ / ١٩٥، وائتلاف النصرة ١٧٠.

(٦) ينظر: تيسير النحو التعليمي ١٠٣ - ١٠٥، وتعديل القواعد النحوية ١٧ واتجاهات البحث اللغوي - لبنان ١٨٢/٢.

﴿ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ ﴾ [(١)] و﴿ كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾[(٢)]. وهو رأي فيه تيسير وتقليل من القواعد النحوية.

لا وما ولات العاملات عمل ليس:

لقد دعا بعض أصحاب التيسير [(٣)] الى الغاء عمل هذه الأدوات بهدف تيسير النحو. معتمدين على آراء عدد من النحاة فيها.

أمّا (لا) فقد اختلف النحاة في عملها، ونفى بعضهم عملها كالأخفش الأوسط والزجاج والرضي وأبي حيان [(٤)] إذْ اعتمد النحاة في وضع هذا الباب على بيتين فقط أحدهما: لشاعر مجهول[(٥)]:

تعزّ فلا شيء على الارض باقيا ولا وزرَ مما قضى اللهُ واقيا

وبيت للنابغة الجعدي (٧):

وحلّت سواد القلب لا أنا باغيا سواها ولا عن حُبِّها متراخيا

ونسب بعضهم الى البصريين أنهّم كانوا يشترطون لعمل (لا) أنْ تعمل في النكرتين وأنّ الكوفيين لا يشترطون ذلك [(٦)].

إنّ مثل هذا الخلاف لا فائدة فيه، فضلا عن تعميم النسبة الى المذهبين دون تحديد، وهذا ما نرفضه لأنه يتنافى مع البحث الدقيق.

ونرى أنّ ما دعا اليه بعض أصحاب التيسير له ما يسوغه إذْ الأمر فيه تيسير حسن يبعدنا عن الخلافات غير المجدية، ونرى ادماجها مع (لا) النافية للجنس في العمل دون المعنى [(٧)] لأن المعنى مختلف والحركة دليل

(١) من سورة البلد ٧.

(٢) من سورة يونس ٢٤.

(٣) مثل: شاكر الجودي (تشذيب منهج النحو) ٥٢، ود. شوقي ضيف (تيسير النحو التعليمي) ٩٧ - ٩٩.

(٤) ينظر: شرح الرضي ١/١٠١، وهمع الهوامع ٢/١١٩ وحاشية الصّبّان ١/٢٠٤، وحاشية الدسوقي ١/ ٢٤٨. ودراسات لاسلوب القرآن قسم ١ج٢ ص٥٧١.

(٥) البيتان من شواهد الكتاب ١/ ٣٥٧، والمقتضب ٤/ ٣٨٢ وحاشية الصبان ١/ ٢٠٤.

(٦) ينظر: النحو الوافي ١/٦٠٢.

(٧) ينظر: احياء النحو ١٣٠.

هـذا الاخـتلاف وأمّـا (مـا) الحجازيـة فقـد نـسب الـى الكوفيـين [١] أنهّـم كانـوا يعـربون المـرفوع بعـدها مبـتدأ والمنـصوب خبـرا بتقديـر بـاء محذوفـة، لأنّ العـرب لا تنطـبق بهـا غالـبا الا ومعهـا الـباء متّـصلة بالخبـر كقـوله تعالـى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٢].

ولهـذا دعـا د. شـوقي ضـيف [٣] إلـى إلغـاء عمـل (مـا) العاملـة عمـل لـيس وهـي الحجازيـة معـتمدا علـى مـا نـسب الـى الكوفيـين. بهـدف التيـسير، لكـنّا نـرى اعـراب الكوفيـين لا يقـلّ عـسرا عـن الاعـراب المألـوف فـضلا عـن غـرابته على المتعلمين الصغار، إذْ لا يعقل تقدير الباء المحذوفة بسهولة ويسر.

أمـا (لات) فقـد اخـتلف الـنحاة فـي عملهـا أيـضا، إذْ ذهـب الأخفـش وأبـو حـيان الـى أنهـا لا تعمـل شـيئا، أمّـا الظـرف بعـدها فمنـصوب، واذا جـاء مـرفوعا فمبـتدأ والخبـر محـذوف [٤]. ولهـا مـثال واحـد فـي القـرآن الكـريم قـال تعالـى ﴿ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾[٥] ورأى بعـض المحدثـين الاقتـصار علـى حالـة النـصب كمـا فـي الآيـة الكـريمة وإنّ مـا بعـدها منـصوب علـى الظـرفية وانهـا أداة نفـي خاصة بالظروف [٦]، وهو رأي سديد نؤيده.

لا النافية للجنس:

ذكـرت كـتب الخـلاف: أن الاسـم المفـرد النكـرة والمنفـي بـ(لا) النافـية للجـنس منـصوب بهـا عـند الكوفيـين. وعـند البـصريين مبنـي علـى الفـتح. لأن الأصـل عـند الكوفيـين: (لا أجـد رجـلا عـندك). وقـد انتـصر بعـض المتأخـرين للبـصريين[٧]، وكـان علـيهم أن يـتحققوا مـن المـسألة قـبل مـتابعة أحـد الفـريقين.

(١) مغنى اللبيب ٣٣٥ وهمع الهوامع ١١٠/٢ وتيسير النحو التعليمي ٩٧.
(٢) من سورة هود ١٢٣، والنمل ٩٣.
(٣) تيسير النحو التعليمي٩٧.
(٤) ينظـر: مغنـي اللبـيب ٢٨١، وهمـع الهوامـع ٢١/٢، وحاشـية الـصبان ١/ ٢٠٥، ودراسـات الاسلوب القرآن، قسم ١/ ج، ص٥٥٣.
(٥) من سورة (ص) ٣.
(٦) تيسير النحو التعليمي ٩٩.
(٧) أمالي الشجري ٢٢٢/٢، الإنصاف م ٥٣ ص ٣٦٦. وائتلاف النصرة م ٣٢ ص ٥٠.

لأن هذه المسألة هي احدى المسائل التي يتضح فيها التعميم والابهام وعدم الدقّة في نسبة الآراء ألى أصحابها.

وما نُسب الى الكوفيين هو في حقيقيته منسوب الى الأخفش والمبّرد [١]. اما الفرّاء وأبو بكر الانباري وغيرهما فذهبا الى أن اسم لا النافية للجنس مبني. أما سيبويه فذهب الى انه معرب منصوب بلا تنوين، وتابعه الزجاجي والسيرافي [٢].

لقد تابع بعض أصحاب التيسير الكوفيين وانتصر لهم. وكان ينبغي لهم أن يتحققوا من نسبة الآراء بدقة قبل هذا [٣]. وقد اضطرب الدكتور مصطفى جواد في هذه المسألة، اذ وافق البصريين أولا ثم عاد فوافق الكوفيين في موضع آخر [٤]. وعالج الموضوع الأستاذ إبراهيم مصطفى لغرض اثبات صحة الأصل الذي قرره في عنوان: (مواضع أجاز النحاة فيها وجهين من الاعراب) [٥] فنقد النحاة لأنهم فرّقوا بين لا النافية والنافية للجنس. فخلص الى: أن (لا) تنفي نفيا عاما مستغرقا في الفعل وفي الاسم، فإذا كانت في نفي الاسم مفردة فإنّه يشار الى الاستغراق بالتزام التنكير وعدم التنوين، وإذا كانت مكرّرة كفى التكرار في الدلالة على ما يراد من الشمول والاستفراق.

هذا معنى (لا) وطريق استعمالها. أما اعراب الاسم بعدها، فإنّه إذا كان مرفوعا بعد (لا) المكررة، فوجهه واضح لأنّه مُتحدّث عنه حقّه الرفع، وليس اعرابه بمحلّ خلاف وجدل عند النحاة... وأما الاسم المنصوب.. فيبدو أول الأمر انه مُتحدّث عنه، وأنه صدر جملة اسمية تامة، والمتأوّل غير هذا فإنه ليس يعدّ من الخبر ولا شيء يتحدث به، تقول: لا خير،

(١) ينظر: المقتضب ٤ / ٣٥١، ٣٦٠، ٣٨٧.

(٢) ينظر: الكتاب ١/ ٣٤٥ والجمل ٢٤١، وشرح الرضي ١/ ٢٣٥، ٥٣، والمؤاخذات النحوية ٨٦.

(٣) ينظر: النحو المنهجي ٩٩ – ١٠٦، وخطئ متعثرة ١٨٥ – ١٨٨.

(٤) النحويون والمنادى، مجلة لغة العرب ج ٩س ١٩٢٨/٦ ص ٦٧.

(٥) احياء النحو ١٢٩.

لابأس، فيتم الكلام، ويقدّر النحاة الخبر مخذوفاً، أي غير موجود، أو حاصل وهو لغو لا يزيد تقديره في المعنى شيئا (١).

وهو تفسير فيه شيء من التأويل لذلك فضّل بعض المحدثين تفسير القدامى في فتح اسم لا النافية للجنس هو: أنه مبني على الفتح أما لتضمنه معنى من أو أنهما ركبا فأصبحا اسما واحدا (٢).

ودعا بعض أصحاب التيسير (٣) الى الاخذ بالرأي المنسوب الى الكوفيين وهو جعل اسم (لا) منصوبا مطلقا بأنواعه الثلاثة: المفرد، والمضاف، والشبيه بالمضاف، وأنْ يقال في اعراب الاسم المفرد: إنه منصوب بغير تنوين وهذا يغنينا - على ما ذكر الأستاذ برانق - عن كلام النحاة وتفصيلاتهم وخلافاتهم ويسهل على الطلاب درسهم. فضلا عن الآراء القديمة التي كانت سبقت الى هذا الاقتراح (٤).

ولا أرى ما رآه الأستاذ برائق، اختصارا، لأننا نزيد بذلك مصطلحات جديدة وقسما آخر يضاف الى المعرب المنون، والمبني وهو (المعرب المنصوب بغير تنوين)، فلا هو بالمبني، ولا هو بالمعرب المتمكن، وقد يقع بينه وبين الممنوع من الصرف - على فرق ما بينهما - خلط أو تماس، لذا ردّ الأستاذ عباس حسن هذا الرأي وعدّه رأيا ضعيفا وناقشه(٥).

وكان القدامى لا يجعلون اسم (لا) النافية للجنس مبنياً اذا كان مثنى او مجموعا، لكن المازني خالفهم وجعله مبنياً من باب التركيب، وتابعه من

(١) إحياء النحو ١٤٠، وقد اختلفوا في جواز حذف خبر لا النافية للجنس ووجوبه، ينظر: مسائل خلافية بين الزمخشري وابن مالك٤٩.

(٢) ينظر: النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة ٢٠١، ونحو المعاني ١٢٨، وجهود الدكتور الجواري في تجديد النحو، د. نعمة العزاوي١١٠.

(٣) النحو المنهجي ٩٩ - ١٠٦، وخطئ متعثرة ١٨٥. والأحرفية ١٠٧، وتعديل القواعد ١٢، وفي اصلاح النحو العربي ١٢٠، واتجاهات البحث اللغوي - لبنان١٧٨/٢.

(٤) شرح المفصل ١/ ١٠٦، وشرح الرضي ٢٥٥/١، وحاشية الخضري ١٤٢/١ وما بعدها.

(٥) ينظر تفصيل ذلك في: النحو الوافي ٦٩٤/١.

المعاصرين الدكتور رشيد العبيدي وعدّ ذلك تيسيرا [١].

والحقّ أن التيسير لا يقوم على توحيد القواعد وتشعبها فقط، لا سيّما إذا كان هذا التوحيد يتعارض مع المسموع من العرب.

لا سيّما:

اختلف النحاة في اعراب (لا سيّما) والاسم الذي بعدها مثل: (لا سيّما زيد) فذهب أبو علي الفارسي الى أن (سيّ) حال منصوبة، وذهب ابن هشام الى أنّ (لا) في صيغتها نافية للجنس و(سيّ) اسمها، و(ما) زائدة، وزيد مضاف اليه مجرور، وقيل (ما) في (سيّما) ليست زائدة، بل هي اسم موصول، وما بعدها مرفوع خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير (لاسيّ الذي هو زيد). وقيل: بل (ما) نكرة موصوفة، وجملة (هو زيد) صفة لها. وقيل أن (ما) حرف كافّ لسي عن الاضافة، والاسم بعدها تمييز منصوب اذا كان نكرة في مثل (ما أعظم الخير لا سيّما خيرا لمصلحة الجماعة). أما نصب الاسم بعدها فلأنّ (لا سيّما) من أدوات الاستثناء وانها تفرد ما بعدها بالأولوية على ما قبلها [٢].

إنّ أقرب الأراء إلى تيسير اعراب (لا سيّما زيدٌ)، هو رأي ابن هشام، لوضوحه وبعده عن التأويل وكان الأستاذ عباس حسن خير من ربط بين التراث والدرس النحوي المعاصر، وكان تيسيره يصدر عن خبرة عميقة بالتراث، لا عن نظرة ضيّقة سطحية. وكان كثير المقترحات والاهتمام بتيسير الدرس النحوي، فلا تكاد تمر مسألة نحوية إلا ولهُ فيها رأي يميل به الى تيسيرها على المتعلمين، بعد أن يفصل الكلام عليها تفصيلا دقيقا.

قال في اعراب (لا سيّما) والاسم الذي بعدها: «إذا كان الاسم الذي بعدها يجوز فيه الأوجه الثلاثة) (الرفع والنصب والجر)، فما الداعي الى كد الذهن بمعرفة اعراباتها وتفصيل كل اعراب ؟. الحق أنّه لا داعي لذلك، فالمهم - وهو حسبنا - أن نعلمَ الغرض الصحيح من اسلوبها، وطريقة

---

(١) أبو عثمان المازني ٢٤٩.

(٢) ينظر: مغني اللبيب ١/ ١٤٨، وهمع الهوامع ٣/ ٢٩١ فما بعدها، وحاشية الصبان ١٢٩/٢.

استعمالها وإنّ كلّ اسم بعدها يجوز فيه الحركات الثلاث، من غير تعرض لتوجيه كل حركة او اعراب ذلك الاسم واعرابها» [(١)].

إن الخلاف الواسع الكبير بين النحاة في ذلك يجعلنا نؤيد الأستاذ عباس حسن ولا سيما أنّ الاسم الذي بعدها يجوز فيه مطلق الأوجه الاعرابية المعروفة لذلك عّد الدكتور ضيف (لا سيّما) لغزاً [(٢)].

﴿ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[(٣)] ورأى بعض المحدثين الاقتصار على حالة النصب كما في الآية الكريمة وإنّ ما بعدها منصوب على الظرفية وانها أداة نفي خاصة بالظروف [(٤)]، وهو رأي سديد نؤيده.

---

(١) النحو الوافي ٥١٥/١ وينظر: ٤٠١/١.

(٢) تيسير النحو التعليمي ١٠٨.

(٣) من سورة (ص) ٣.

(٤) تيسير النحو التعليمي ٩٩.

المؤلف



● **الأستاذ الدكتور حسن منديل حسن العكيلي.**

من مواليد: بغداد١٧/٨/١٩٦٢، أستاذ النحو والاسلوبية - القرآن الكريم في قسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد. ورئيس لجنة اختبار صلاحية للتدريس - جامعة بغداد. له ثلاث شهادات (دكتوراه):

- الدكتوراه الاولى١٩٩٧. في اللغة العربية/النحو، الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب.
- الدكتوراه الثانية. في بلاغة القرآن الكريم، جامعة بغداد - في ٦/٤/٢٠٠٨.
- شهادة (ما بعد الدكتوراه): ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ جامعة بغداد/ الامر الجامعي، رقم (٦٣٠٥)، ١٥/٤/٢٠٠٤.
- الماجستير: ١٩٩١ - ١٩٩٢/ النحو، جامعة الموصل/ كلية الآداب.
- البكالوريوس: ١٩٨٥ - ١٩٨٦جامعة الموصل - كلية التربية.

● انتخب رئيساً لقسم اللغة العربية/ كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد في ٢٧/ ٥/٢٠٠٣.

● أسس الدراسة المسائية في كلية التربية للبنات وكلف بمهام معاون العميد للدراسة المسائية، الأمر الجامعي ٦/٧/د/٩٧٤ في٨/٩/٢٠٠٨.

● عضو الهيئة الادارية للمنظمة العراقية لاساتذة الجامعات والكفاءات المستقلة.

● عضو اللجنة العليا لمهرجان لقاء الأشقاء السنوي للهوايات والحرف المتنوعة الذي ترعاه وزارة الثقافة.

●رشحت لانتخابات مجالس المحافظات ضمن قائمة شهيد المحراب والقوى المستقلة ٢٩٠ تسلسل ١٧.

●له من المكافآت والشكر والقدم الكثير: من الوزارة والجامعة والكلية في مناسبات علمية وادارية عديدة منها: لفتح الدراسات العليا في كلية المعلمين، ولوضع المناهج للكليات الاهلية، ولاستئناف الدراسة المسائية في كلية التربية للبنات، ولارتفاع نسبة النجاح في مادة (فقه اللغة) في المرحلة الرابعة/كلية التربية للبنات/ ٩٩ - ٢٠٠٠. و(لحسن سير الدوام في السنة الاستثنائية) بعد الحرب ٢٠/ ١٠/٢٠٠٣. وتهنئة السيد رئيس الجامعة لحصوله على الدكتوراه الثانية ٢٠٠٨/٣، وغيرها.

●شارك في لجان علمية وادارية ورأس بعضا منها: لجنة الدراسات العليا لمناقشة المناهج وتطويرها ٠ الامر الوزاري رقم ب ب/٣٣في ٢٠٠٦/١/٣. ولجنة تحديث المناهج والاساليب الدراسية الأمر الجامعي عدد ١ء/٩٣٣٢في ٢٢/٦/ ٢٠٠٦. واللجنة العلمية واللجنة الثقافية ولجنة الدراسات العليا واللجنة الامتحانية في كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية٠ ورأس لسنوات عدة ندوة بغداد العلمية وندوة اعجاز القرآن السنويتين فى الكلية نفسها وندوة القرآن الكريم لهيئة الحاسبات والمعلوماتية. وعضو اللجنة التحضيرية لمؤتمر النخب والكفآت لعشائر عكيل برعاية دولة رئيس الوزراء الأستاذ نوري المالكي، في فندق المنصور ٢٦/٨/ ٢٠٠٩.

●*الكتب والبحوث:*

١. النحو في شروح ديوان المتنبي. طبع في الاردن - دار الضياء ٢٠٠٦

٢. الخلاف النحوي في ضوء محاولات التيسير الحديثة. دار الضياء، عمان - الاردن ٢٠٠٥.

٣. تفسير بلاغي للقرآن الكريم (اسرار البيان القرآني). مخطوط.

٤. اعجاز القرآن في اسلوب العدول النحوي والبلاغي في القرآن الكريم؛ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ٢٠٠٩.

٥. التيسير النحوي بين المحافظة والتجديد، مجلة كلية التربية للبنات مجلد ١١

العدد٢ لعام ٢٠٠١.

٦. اسس انتخاب الآراء النحوية لدى الأستاذ عباس حسن، المجلة نفسها مج ١٣ العدد ٤ للعام ٢٠٠٢.

٧. نظرات في اعجاز القرآن، نشر في مجلة الكلية مجلد ١٥ عدد ١ للعام ٢٠٠٣

٨. الجانب الروحي في اللغة العربية، طبعتان: دار المغرب، بغداد ٢٠٠٤ودار الضياء، الاردن ٢٠٠٦.

٩. النظام النحوي للقرآن الكريم، مجلة كلية التربية للبنات٢٠٠٨.

١٠.القياس النحوي بين التجريد العقلي والاستعمال الغوي، مجلة كلية آداب الكوفة ٢٠٠٨.

١١.منهج الاطروحات في رد الشبهات في كتاب (منة المنان) للسيد الشهيد الصدر الثاني (قدس).

١٢.نظرات في النزاهة والاعلام. للمشاركة في المؤتمر العلمي السنوي لهيئة النزاهة٢٠٠٩.

١٣.أسرار أسلوب القرآن الكريم، للمشركة في مسابقة الهيئة العليا للقرآن الكريم، مجلس الوزراء.

١٤.الدكتور مصطفى جمال الدين، نحويا وأديبا، تحت الطبع.

١٥.الثقافة اللغوية، سلسلة مقالات نشرت في مجلة صوت الجامعة.

١٦.وبحوث اخرى، ومقالات في الصحف والمجلات والمواقع الالكترونية.

البريد الالكتروني: aligeali@Gmail. com

فهرس المحتويات

GRAMMATICAL STUDIES

by

Dr. Ḥasan Mandīl Ḥasan al-ᶜUkayli

دار الكتب العلمية

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

DKi

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban